فكر وفن
٥

أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ

بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ

سُورَة قٓ آية ٦

HABEN SIE NICHT DEN HIMMEL

ÜBER SICH ANGESCHAUT,

WIE WIR IHN ERBAUT UND

GESCHMÜCKT HABEN

UND ER KEINE LÜCKEN HAT?

SURE 50, VERS 6

فكر وفن

العدد الخامس ١٩٦٥ العام الثالث

يصدرها: البرت تايلا و اناماری شیمل

الفهرست

يقدم الناشر ودار النشر شكرهم لكل من شرفهم بمعونته فى تحضير هذه المجموعة
وبدون مساعدتهم لكان من المحال ان تحصل هذه المجموعة على شكلها الحالى الجميل
ننشد القراء الكرام ان يداوموا فى ارسال معاونتهم وآرائهم القيمة ونحن لهم من الشاكرين

ترجمات: Dr. Muhammad Ali Hachicho, Köln; Dr. M. A. Ibrahim, Winterthur; Dr. Arnold Hottinger, Beirut; Magdi Youssef, Köln.

Nr. 5 1965 3. Jahr

FIKRUN WA FANN

Herausgeber:
Albert Theile und Annemarie Schimmel

الفهرست

دار النشر: Übersee-Verlag, Hamburg 36, Neue Rabenstr. 28, Bundesrepublik Deutschland
تظهر مجلة ''فكر وفن'' العربية موقتا مرتين فى السنة – الاشتراك: ١٠ مارك ألمانى. – النسخة الواحدة: ٦,٠٠ مارك ألمانى؛ ثمن الاشتراك المخفض للطلبة:
٣ مارك المانى، النسخة الواحدة: ماركان. – تقدم طلبات الاشتراك إلى دار النشر
تصنع الكليشيهات: Chemiegraphische Kunstanstalt Friedrich Heitgres, Hamburg
الطباعة: Druck: J. J. Augustin, Buchdruckerei, Glückstadt ·
ادارة التحرير: Adresse der Redaktion: Albert Theile, Unterägeri, Zug, Switzerland

حول تفتح الانسان

مقتطفات من أعمال

هاينريش بستالوتزى

كان التربوى السويسرى الكبير: هاينريش بستالوتزى الذى عاش بين عامى ١٧٤٦ و١٨٢٧. يضع مهمة تربية النشء فى مقدمة واجبات الدولة. فالبشرية المثقفة فى رأيه هى البشرية الحقة التى «يعم خيرها العالم».
ولعل المقتطفات التى اخترناها من أعمال بستالوتزى (حيث يعد أهمها كتابه: «لينهارد وجرترود» ومؤلفه المعنون: «كيف تعلم جرترود أطفالها؟») جديرة بأن تبعثنا على التأمل والتفكر.. وإليكها:

«إن تفتح إحدى طاقاتنا بصورة متحيزة لجانب دون سواه ليس بالتفتح الحقيقى ولا الطبيعى وإنما هو ثقافة سرابية لاتعدو أن تكون بمثابة المعدن الرنان والجرس المصلصل للثقافة البشرية ولكنها ليست بالثقافة البشرية ذاتها..»

*

«وإنى لست أنكر أن هذه الوسيلة قد تؤدى إلى إيجاد صناع للثياب وللأحذية وتجار ومحاربين من نوع جيد، ولكنى لا أقر أنه فى إمكان هذا النهج أن يخرج صانعا للثياب أو تاجرا تتحقق فيه سمات الانسان بالمعنى الرفيع لهذه الكلمة.»

*

«لابد أن تشتمل الوسائل التعليمية فى مجموعها على كل ما من شأنه أولا: أن يوقظ أحاسيس القلب وينفث فيها الحياة، ثانيا: أن يطور ويشكل طاقاتنا الروحية والنفسية، ثالثا: أن ينظم ويوجه سلوكنا الخارجى النابع من تلك المشاعر التى أوقظت والطاقات الروحية التى شكلت وتبلورت، بحيث يؤدى كل ذلك فى النهاية إلى تناسق طاقة تعبيرنا الخارجى وكياننا الباطنى مع كافة ظروف وواجبات حياتنا.»

*

«والآن بقدر ما يتحقق للتربية أن تبعث الحياة من جديد فى طبيعة النشء الانسانية، فى كل من ملكاتها المنسجمة مع بعضها البعض، وبقدر ما يتيسر لها أن تدرب هذه الملكات وتشغلها، بقدر ما ينمو فى نفوس النشء ذلك الاحساس الواعى بالقيمة الباطنة الناجمة بالضرورة عن شحذ القدرات البشرية وتدريبها على نحو متناسق. وهكذا يقترب الانسان بصورة جوهرية من الدرجة التى تجعل فى إمكانه أن يدرك أنه ليس مجرد كائن شهوانى ترابى فحسب، وأن طاقاته ليست مجرد طاقات أرضية، بل يبدأ على العكس — فى التعرف على القيم الالهية الرفيعة التى تشتمل عليها طبيعته، وفى اعتبار نفسه كائنا إلهيا، وتقدير ملكاته وطاقاته على أنها ملكات وطاقات سموية. وهو بذلك يخطو متقدما نحو المستوى الذى يتيح لمطالب الطبيعة السامية فى الانسان أن تتفتح وتزدهر فى قوة وحيوية منتصرة على طغيان الشهوة البدائية. وهو فى غمار إحساسه بسمو ذاته يحلق بها مرتفعا عن التراب العالق بوجوده الأرضى وعن محيط بيئته الأرضية..»

*


«الله قريب حيثما يظهر الناس المحبة لبعضهم البعض».

*

«حيث ينعدم الحب يسود الموت والفساد ظهر البسيطة. فأفضل قوى الانسان لاتلبث أن تجدب وتذبل إن لم يحب المرء أخاه..»

ترجمة: مجدى يوسف

كريستيان رولفس Christian Rohlfs (١٨٤٩ الى ١٩٣٨): ازهار بيضاء (Calla). نشكر ادارة متحف Museum am Ostwall فى مدينة دورتموند لانعامها علينا بكليشه هذه اللوحة. ◀



هل نعانى أزمة حضارية ؟

بقلم ادوارد شبرانغر

إدوارد شبرانغر: فيلسوف وعالم نفسى وتربوى. ولد فى السابع والعشرين من الشهر السادس من عام ١٨٨٢ فى ضاحية «جروس ليشترفلده» بالقرب من برلين. وقداستهل «شبرانغر» حياته العلمية كمدرس بجامعة برلين (عام ١٩٠٩) ثم انتقل عام ١٩١١ إلى جامعة «لايبتزج» ولكنه عاد ثانية إلى برلين فى عام ١٩٢٠ حيث درس بجامعتها حتى عام ١٩٤٥. وقد قضى «شبرانغر» الفترة بين عامى ١٩٣٦ و ١٩٣٧ كأستاذ زائر فى اليابان. وفى عام ١٩٤٤ أعتقل فى برلين لأسباب متعلقة بثورة الشعب الألمانى على هتلر فى العشرين من الشهر السابع من تلك السنة. وتقلد «شبرانغر» بعد الحرب منصب مدير جامعة برلين غير أنه اضطر لأسباب سياسية إلى مغادرة هذه المدينة حيث عمل أستاذا بجامعة توبنجن فى عام ١٩٤٦. وقد وضع «شبرانغر» أسسا جديدة لعلم النفس فتحت أبوابا حديثة لفهم الشخصية وتطورها. كما وضح فى بحوثه الفلسفية البناء الفكرى والحضارى للحياة. أما فى مجال التربية والتعليم فقد حظت أعمال شبرانغر على قدركبير من الاهتمام. ونحن نذكر هنا من بين مؤلفاته العديدة: «سيكلوجيه المراهقة» (الطبعة الأولى فى سنة ١٩٢٤ والطبعة الخامسة والعشرين فى عام ١٩٥٨) و «أشكال الحياة» (الطبعة الأولى فى عام ١٩٢١ والثامنة فى سنة ١٩٥٠). وقد ترجمت مؤلفات هذا العالم الفيلسوف إلى العديد من اللغات الأوربية والآسيوية حيث حققت أفكاره انتشارا كبيرا فى عالم الفكر.

يعانى الناس دوما ذلك القطاع الزمنى الذى يعنى «الحاضر» بالنسبة لهم على أنه أزمة. ومن خلال صيغة الزمان الذى يغلف وجودنا فى هذا العالم ينجم الايقاع الأصلى للحياة. أما «الحاضر» فينطوى على قدر من رهبة الاشراف على عتبة هوة لا قرار لها. ولو أننا التفتنا إلى الوراء لنلقى نظرة على ذلك «الحاضر» لشعرنا بتناقضه مع الأمن الذى كنا نرفل فيه فى طفولتنا. ومهما كان ماضينا مترعا بالآلام فقد صار فى القليل مقررا على نحو جلى لا يحتمل لبسا أو غموض، بل ومن المحتمل أن تكون آثاره قد زالت وجروحه قد طابت. بينما نجد المستقبل على النقيض من ذلك. فهو ما زال مبهم المعالم وما من أحد يدرى ما إذا كان مجراه سيتبدل إلى أسوء أو أفضل. أما اللحظة التى يلتقى فيها الماضى والمستقبل، تلك اللحظة التى تجول معنا وتلازمنا دوما، فهى التى نطلق عليها: حاضرنا. حاضرنا الذى أبدا لا يكف عن التهديد. فالاحساس بالوجود فى إطار «الحاضر» يؤدى دوما إلى افتقاد مقومات السعادة والكمال. وعلى الرغم من أن الانسان يتوق إلى مستقبل أفضل إلا أنه يهاب المجهول ويخاف المصير والموت. وهنا تحمل لفظة «الأزمة»، التى تعنى فى الأصل الفرقة والانفصال، معنى الوضع القلق المتوتر الذى لا يمكن ولا يصح أن يظل على هذه الصورة.

كل منا يدعو حاضره: الزمن العصيب. وكلنا يصفه كذلك من خلال أبعاد منظوره التاريخى و «الوجودى». ذلك أن الايقاع الأصلى للوجود فى هذا العالم يجلب معه هذا الاحساس من تلقاء ذاته. على أننا لو رغبنا أن نصدر حكما موضوعيا على فترة ما بكونها أسوء من سواها أم لا، لتعين علينا أن ننظر إليها بمنظار يعلو على منطق التغير والتاريخ. فمن خلال هذا المنظار وحده يمكن وصف التاريخ بأنه ماض فى سبيله السوى أو الطيب أو الذى ارتأته الإرادة الإلهية، على النحو الذى تصوره الفلاسفة أوغسطين وهيجل وفيشتيه. إن الخطوط العريضة التى تمر بها حياة الفرد تعود للظهور فى حياة جيل حضارى كامل. وعلى ذلك فان كافة المفاهيم التاريخية القائمة على التجربة مستمدة من واقع الحاضر الملموس الذى من خلاله نلخص الماضى والمستقبل والحاضر معا وبقبضة واحدة ثم نضفى معنى ودلالة على هذا «الكل» الجديد. وهكذا فان أى حقبة مغايرة لن تلبث أن تدرك معنى التاريخ على نحو مغاير. بينما لا يجرؤ سوى الفلاسفة على خوض الغياهب الوعرة حينما لا يقنعون بمجرد أن يخبروا أفكار الانسان المتبدلة بل يتجاوزونها إلى تأمل أفكار الله ذاته. وهو الأمر الذى لم تعد تتجاسر عليه الفلسفة الحديثة!

مماتقدم يتبين لنا ان «بداهة الاحساس بالحاضر» تظل مرتبطة بالمنظور الثلاثى الأوجه للوجود الزمنى. وأننا نفتقد إلى المعيار المطلق الذى يمكننا من الحكم على أزمة ما نعانيها فى حقبة حاضرة بكونها أشد اوأقسى مما سبقها من الأزمات التى نعرفها نحن معشر المؤرخين.

على أنه ليس فى مقدورنا أن نتعرف بوساطة منحنى معد سلفا لمجرى التاريخ عما إذا كان إحساسنا المعاصر بشدة الأزمة التى نعانيها فى ظل حضارتنا الغربية*، يعتمد على أساس

* من الواضح هنا أن مؤلف هذا المقال يحاول أن يعالج الأزمة الحضارية التى يعانيها «الغرب» ولذا كان من الأصوب أن نطلق على عنوان هذا المقال: هل يعانى الغرب أزمة حضارية؟ (المترجم).

من الحقائق الموضوعية من عدمه. كما أنه لايتأتى لناإصدار حكم علمي إلى حد ما على مدى صدق هذا «الاحساس» إن لم نلجأ إلى تحليل البناء الداخلي للحضارة والوقوف على مفاصل حركتها ثم نطبق بعد ذلك هذه «الصورة الداخلية» أوهذا «الفهم الجديد» على الوضع الحضاري الراهن.
أماالاتجاه الذي نضفيه — نحن البشر — على حركة التاريخ فيتوقف بالدرجة الأولى على إرادة المستقبل التي تحملنا على جناحيها.. ورغم ذلك، فنحن لاننكر أنه تبعا لتوزيع القوى على نحو معين يمكن التنبؤ بما سيحدث حتما في المستقبل. إلا ان الطاقة التي تحمل «نزوعنا» في التحرك تجاه الأمام تلعب دورها هي الأخرى في هذا المجال. وأينما وجد «النزوع» فلا مناص من بزوغ «الوجوب» في أي صورة من الصور. ولعله من الجدير بنا أن نلقي الضوء هنا على ظاهرة هامة، ألا وهي أن بعض الفوضى والاضطراب قد أصاب ذلك «الكيان العام الحي»* وأنه ليس من السهل على الجهود البشرية استعادة النظام الذي بددته تلك الفوضى.
لاشك أن معالجة هذا الموضوع بالتفصيل أمر لاقبل لنا به هنا لعظم ضخامته. فما من قاريء ينتظر من مقال واحد كهذا سوى استخلاص بعض وجهات النظر التي يجب متابعتها بالتفصيل فيما بعد.
كما نعثرلدى الكائنات العضوية على جوانب القوة من جهة ومواضع الخوار والوهن من الجهة الأخرى، كذلك يمكننا الوقوف على عناصر الضعف التي ينطوي عليها "البناء الروحي الفطري لأي حضارة من الحضارات.
إن كل حضارة ذات خصائص ذاتية تميز أبناءها وأتباعها لاتعدو أن تكون «تجربة» تجري بواسطة جماعات من الناس (الشعوب والأقوام). ويجوز خلال هذه التجربة أن تلعب طبيعة الأرض دورها (نظرية شبنجلر Spengler عن روح الحضارة) كما يصح في حالات أخر أن تؤدي بعض العوامل التاريخية التي تحدد مصير قوم من الأقوام إلى ضغط الحريات وخنقها (نظرية «توينبي» Toynbee عن التحدي والاستجابة) كما يمكن للصدفة التي لاسبيل إلى تفاديها أن تلعب هي الأخرى دورها في هذه التجربة.
وعلى أي الحالات فان الحضارة تظل بمثابة الدلالة الروحية والثقافية التي تطبع بها عدة أجيال عالمها المحيط بها كما تنطبع هي ذاتها بتلك الدلالة الروحية (حيث أن هذه الأجيال تعتبر بدورها موضوعا لتشكيل الاطار الحضاري).
وهنا تكمن أولى علامات الخطر التي تنطوي على التعصب

* ذلك أن كل حضارة عبارة عن نتاج للحياة الروحية يعلو على مستوى الأفراد ويذوب في الجماعة.

والاندفاع في جانب واحد دون سواه، الأمر الذي يترتب عليه ضعف تناسق الكل. ذلك أن الحياة في جميع صورها عبارة عن كل ذي وظائف موزعة على نحو لا يسمح لأحد الأعضاء أن يظل خاملا أو مفتقرا إلى التغذية. ولعلنا نعرف في هذا الخصوص قوانين الحياة المتعلقة بعالم الحيوان وجسد الانسان. إلا أننا لا نعرف هذه القوانين أولا نلم بها على النحو الكافي فيما يتصل بذلك الكيان الروحي العام الذي يعلو على الأفراد والذي ندعوه «الحضارة». من أجل هذا فإن الحضارة — كل حضارة — لا تعدو أن تكون تجربة غير واضحة المعالم يقوم بها جماعة من الناس. وليس في استطاعة أحد أن يتنبأ سلفا بما إذا كانت تلك «التجربة» قادرة على العيش لأمد طويل من عدمه. فربما تؤدي بعض الأحداث الحضارية ذات المزايا السطحية إلى خسائر فادحة بعد مرور عدة قرون من الزمان. وقد يكون مرجع تلك الارزاء إلى التركيز على جانب واحد دون سائر الجوانب، وهو الأمر الذي نعرف نظائر له في الكائن الحي العضوي الذي يؤدي اقتصاره على نشاط واحد إلى إلحاق الأضرار به.
من البديهي أنه ما من كائن حي خال من الصراعات الداخلية. حتى أن هيجل Hegel قد جعل من التناقضات والتوترات النفسية الباطنية «مبدأ ديالكتيكيا للحياة*».
أما نحن اليوم فلسنا على استعداد لأن نفهم المسألة على أنهامجرد قانون ديالكتيكي تمضي تبعا له الأفكار والمفاهيم في حركة دائبة تتماشى رغم تناقضاتها الداخلية مع وحدة الروح المطلق وصفات الله الحسنى. فالفلاسفة الذين يأخذون بنظرية القيمة يحدثوننا عن «الصراع بين القيم». ذلك الصراع الذي لايمكن تفاديه، والذي يؤدي — لوأخذنا به على العكس من النظرية الهيجلية — إلى افتراض تعريض الكل إلى أخطار بالغة. فلو حدث مثلا ان كبتت قيم معينة على الرغم من الأهمية الكبرى للدور الذي تلعبه في تحقيق الحياة البشرية فانه يترتب على ذلك توترا حادا، ولايلبث الكل أن ينهار.
إن الحضارة الانسانية في جميع حالاتها لاتعدو أن تكون تجربة تتفاعل مع العلاقات اللامتغيرة في العالم، كماتراعي في الوقت ذاته القوانين المتعلقة بتكوينها الخاص. ففي مجال الأداء البشري يصدق على الدوام قانون الآثار الجانبية

* ينص مبدأ الحركة الديالكتيكية للحياة عندهيجل على وجود صراع بين «الموضوع» These «ونقيضه» Antithese يؤدي إلى «الجامع بينهما» Synthese ثم لايلبث أن يصبح هذا «الجامع بينهما» موضوعا من جديد في مقابل نقيض له وهلم جرا. ولتوضيح ذلك نضرب مثالا ببذرة النبات (موضوع) التي تدفن في باطن التربة (نقيضه) وينجم عن تفاعل الاثنين بزوغ «الشجرة» (الجامع بينهما). (المترجم)



تيودور ويرنر، سبعة عشر، ١٩٥٩ Theodor Werner, XVII نشكر اكاديميا الفنون الجميلة ومطبعة اخوان هارتمان فى برلين لانعامها علينا بكليشه هذه اللوحة.

غير المرغوب فيها حيث لقبه «ڤيلهلم ڤونت» Wilhelm Wundt بقانون عدم تجانس الأهداف. ونحن نفضل أن ندعوه هنا بقانون عدم تجانس التأثرات. وكمثال على ذلك نجد ان قانون المجالات الخاصة بالكيان العام (الذى يسمو على الفرد) داخل إطار الكل الحضارى، لايلبث أن يصطدم على نحو لايمكن توقعه سلفا بأولئك الذين ينطوون تحت لواءه أوبعبارة أخرى بالأفراد الذين يحملون الحضارة وتحملهم. وهكذا يحدث هنا مثلما حدث فى قصة جوتيه الشهيرة للساحر الصغير Zauberlehrling عندما استطاع بمادته السحرية أن يسيطر على القوى الخفية ويجندها لخدمته بينما نسى المادة اللازمة لطردها. أى أنه بذلك قد أصبح — هو نفسه — بمثابة الحلقة الضعيفة فى سلسلة المؤثرات. وهكذا تتبدل القدرة النافعة إلى معاناة مؤلمة.

ان الموضع المعرض للخطر فى كل حضارة هو ذلك الذى يكمن فى العلاقة بين القوى التى تعلو على الفرد وتزداد تكاثفا على مر الأيام (الموضوعيات) والأفراد الذين يعيشون معها جنبا إلى جنب. فعلى هؤلاء الأفراد أن يتحملوا عبء الماضى الذى مازال أثره يتدفق فى الحاضر، حتى لوكانوا لايرون جدوا سوى فى «بعض» ما خلفه ذلك الماضى. وهنا تعبر المعادلة السابق ذكرها والتى تقول بأن حامل الحضارة محمول منها فى نفس الوقت، عن تلك العلاقة ذات التناقض الظاهرى بين القوى الفكرية (المدعمة تاريخيا) والأفراد المعايشين لها. ذلك أن الاطار الضخم للحضارة يحمل هؤلاء الأفراد الذين يترتب عليهم بدورهم أن يحملوه بمعنى أن يستوعبوه ويتقبلوه ويواصلون بناءه، وإلاحدث انشقاق. وعلى كل حضارة أن تكون وتنشىء الأنماط الفردية المناسبة لها. وهو الأمر الذى ينطوى على مهمتها التى يحتمها وضعها التاريخى، تلك المهمة التثقيفية التى تعرف باسم «التربية والتعليم». غير أنه قد يحدث فى هذا المجال أن تؤدى المطالب الحضارية إلى نوع من الضغط الشديد. ذلك أن قابلية الانسان للتشكيل لها حدود لا تتعداها سواء من الناحية النفسية أم الجسمانية.

لم تبحث حتى الآن إلا فى القليل إمكانية توجيه الحضارة حسب خطة موضوعة. وإن كان من الثابت سلفا أن الفرد بصفته فردا لايستطيع أن يوجه المسار الحضارى مهما عظمت عبقريته. ولكنه يستطيع ذلك فى حالة واحدة ألاوهى أن يقوم بهذه المهمة عن تكليف مسبق من أجهزة توجيهية كبرى.

لطالما كانت من الخصائص المميزة لحضارة الغرب الأوربى فى رأى مؤرخى العصور الوسطى، أنها ذات بناء مزدوج القمة. حيث تقاسمت قيادتها قوى عالمية كانت أقصاها فكرة الامبراطورية من جهة والعالم الدينى أوبعبارة أدق الكنيسة الرومانية من جهة أخرى. بينما طالب كل منهما بمجالات عالمية. لذا كان من الطبيعى أن يترتب على التنافس الذى لا معدى عنه بين هاتين السلطتين حدوث توتر دائم. إلا أنه من خلال هذا التوتر قد نجمت دينامية داخلية ميزت الحضارة الغربية عن أى طرز من أطرزة الحكم الدينى المطلق أو الدول العلمانية.

ومنذ عصر الاصلاح الأوربى وتأميم السياسة حسب خطة موضوعة تبدل ازدواج القمة إلى تعدد القمم. فمالبثت أن اتجهت قيادة الحضارة برمتها إلى أيدى الدول. وقد نحت هذه الحركة فى أول عهدها إلى دعم الحكم الملكى، ثم بدأت بعد ذلك فى تعزيز الاتجاهات القومية التى كانت قد ظلت تعمل «تحت الأرض» لفترة طويلة. والجدير بالذكر أن فكرة المطلق قد لعبت الدور القيادى فى توجيه الحضارة فى كلتى الحالتين، بغض النظر عما يمكن أن تكون قد تعرضت له من مناهضة عنيفة. حتى إذا ما تطلعنا خطوة أخرى إلى الأمام لوجدنا أن الأمر لم يتوقف على الصراع الدائر بين الكنيسة العالمية (الكاثوليكية) والدول الكبرى والعقائد الكنسية التى بدأت تظهر آنذاك. ذلك أنه قد اعتلت مسرح الحضارة فى القرن الثامن عشر — الذى تميز بحركة الاستنارة والثورة الفرنسية — سلطتان جديدتان هما العقل العام «والمجتمع». ولعله ليس على سبيل الصدفة المجردة أن رفعت الثورة الفرنسية فى غمار اندفاعها هاتين السلطتين — العقل والكيان العام — إلى مرتبة التأليه. وإذا كان ينطوى مفهوم السلطة الأخيرة على معنى الانسانية، فانما يقصد به على وجه التحديد «المجتمع» الثائر على النظام الاقطاعى القديم. وقد سار منذ القرن التاسع عشر كلا من الاتجاهين القائلين بالعقل العام وبالمجتمع يدا فى يد وجنبا إلى جنب. حيث نجم عن اتحادهما بزوغ المجتمع الموجه على أساس علمى. وهكذا صار علم الاجتماع عالميا. كما ارتبط بأقوى فروع هذه الحركة الشعار القائل «بأن الدولة فى طريقها إلى الاندثار.»..

لم تتحقق نبوءة هذا الشعار، وأغلب الظن أنها لن تتحقق فى المستقبل كذلك. ولعله فى مقدورنا — بعد أن نأخذ من الحيطة كفايتنا — أن نصيغ القانون الذى يفسر حركة التاريخ على النحو التالى: كلما ظهرت ضرورة القيام بأعباء جديدة ضخمة تتعلق بالتوجيه الحضارى العام ارتفعت الوظيفة القيادية التى تلقى على عاهل الدولة.

* المقصود هنا بالتأثرات هو ما تخلفه المؤثرات . .

فى ضوء القانون السابق يمكننا كذلك أن نستوضح تاريخ الدول ذات الحكم المطلق فى أوربا منذ القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر. فقد أصبح الانتقال من الحياة الاقليمية الضيقة إلى العالم الفسيح ضرورة ملحة فى جميع المجالات. وعندما حدث العكس فيما بعد لصالح الحد من النظام الرأسمالى كان لابد من الاستعانة فى هذا الصدد بالدولة.

على أن هنالك ظاهرة هامة للغاية ألا وهى أنه كلما زاد تعقد الظروف الحضارية ظهرت على مسرح الحياة السياسية اتجاهات مركزية تضع كافة السلطات فى يد الدولة. والظاهر أن مهمة التوجيه الحضارى قد غدت من الصعوبة بمكان بحيث أصبحت تتطلب تركيز القوى. أما المنتديات السياسية فتحتل مركز القيادة العليا وتحاول فى هذا العالم المفكك أن تعيد تجميع الكل من جديد. غير أنه ليس فى الامكان توقع أى بصيص من الأمل بصدد تحقيق هذه الجهود إن لم يفتح الباب أمام جميع المذاهب على اختلافها كى تتلاقى وتتشابك. ولقد عرف شبنجلر O. Spengler عودة ظهور الحكم التعسفى بأنه من أهم سمات العصور المتأخرة. وسواء خضع أفراد الناس صاغرين لأنظمة الحكم الدكتاتورية — عن طريق مساهمتهم فى النشاط التوجيهى الخاص بتلك الأنظمة — أو قاوموها بدافع من فرديتهم، فان الأمر فى كلى الحالين يتمخض عن أزمة حضارية بالغة الحدة. فالمسألة هنا تدور حول حرية الانسان وكرامته.

لقد أمكن حتى الآن استقراء الظروف الحضارية — التى تلعب دورها فى كل حضارة — والتعرف منها على مواضع الخطر. إلا أنه لامعدى لناعن الإجابة على السؤال التالى الذى يبدو ساذجا للوهلة الأولى: من هو الذى تحيق به أرزاء الأزمة الحضارية؟ — ناهيك عن أن الاجابة على هذا السؤال كثيرا ماتغفل. ترى أيسوء حال الفرد تبعا لتلك الأزمة (فقدان السعادة)؟ أم تطرأ الفوضى على حضارة المجتمع (فوق الفردية) بحيث تعجز فى النهاية عن تأدية وظائفها عجزا تاما (اختلال وظيفى)؟ أم أن الأزمة الحضارية تنطوى على افتقاد دلالة وجود الانسان (فقدان المعنى)؟ من البديهى أنه لايمكن الفصل بين جوانب الحضارة المفصلة اعلاه (الروح المطبوعة، والروح الجماعية، وروح الفرد)، فهى لازالت متداخلة متمازجة فلا استقلال لأحدها عن سائر الكل. ومما لايتطرق إليه الشك أن الأفراد المعايشين لتلك الوحدة الحضارية هم وحدهم القادرين على الاحساس بما يصيبها من خلل. ذلك أن جهاز الحضارة (ميادينها وتشكيلاتها الجماعية) لايعى أويحس. لذا فان وجود الأزمة الحضارية لابد أن يكون نابعا من التجربة الذاتية التى يعانيها الأفراد، بشرط أن يكون هؤلاء قد تساموا وتجردوا عن حدود التجربة الحضارية التى يعانونها . . أى بشرط أن يكونوا من أهل القيادة الفكرية (الحضارية) أو من كبار فلاسفة التاريخ الحضارى أو أن يكون لديهم قدرة على الاحساس الاستبطانى بما إذا كان الطريق الذى تسلكه الحضارة يحقق معنى الوجود البشرى من عدمه.

أما إذا كانت العمليات الحضارية فى الغرب مجرد أحداث آلية ميكانيكية لا يلعب فيها الأفراد سوى دور التروس الصغيرة فى الآلة الكبيرة، فانه لايمكن أن يوجد «الصحيح» أو «الخطأ». ذلك أن ما يقتصر دورانه على مبدأ العلية لايمكن أن يؤدى إلى المسئولية. فالمسئولية لاتتوفر إلا إذا توفرت الارادة وحق الهدف. أى أن القضية تكمن — بعبارة أخرى — فى إرادة الحضارة. ونحن نستطيع أن نتوقع من الآن أنه فيما لو اعتبرت إحدى الجماعات الحضارية أن «تعدى» إحدى الحضارات على «حدود» حضارة مغايرة أمر مصيرى محتوم يحدث بصورة «آلية»، لكانت كل مقومات تلك الجماعة الحضارية معرضة سلفا للانهيار، ولكان مآلها منذ البداية إلى السقوط فى وهدة الأزمة. فانها بذلك — أى تلك الجماعة — تكون قد تنازلت تماما عن القيام بأى دور قيادى فى توجيه الحضارة حتى بالنسبة للمجالات الصغرى التى كان من الممكن المشاركة فى توجيهها. إننا نحن أبناء هذا العصر نحس كما لو كانت عجلة القيادة قد انزلقت من بين أيدينا منذ أمد بعيد. ومن هنا نذرف العبرات!*

إن الأمر يعتمد إلى حد بعيد على كيفية فهم أبناء الحضارة — أى حضارة — لجوهر وجودهم. فهم إذا ما تخلوا عن وضع هدف لحياتهم اعتقادا منهم أنه لا جدوى من النزوع الذاتى طالما أن المصير سيتلاقفهم سواء أرادوا أم لا، فانه من المحتمل أن يمضى الجهاز الحضارى لفترة ما بدرجة يمكن احتمالها، بل وربما أتى ببعض المكاسب الظاهرية المتواضعة، إلا أن المعنى والهدف من حياة الفرد وحياة الكل يكون قد تهدد من جذوره. لذا فانه من المهم أن نكشف عن الموضع الذى انبعث منه هذا الاتجاه الفكرى. ولعله يظهر أكثر ما يظهر فى المذاهب الفلسفية، طالما أن هذه المذاهب تقوم — حسب طبيعتها — بدور القيادة الفكرية. وهى تلعب هذا الدور بصفة خاصة فى عصر تسوده الفكرة القائلة بتوجيه المجتمع عن طريق العلم. أما العقائد الفلسفية فلا تلبث أن تنتقل تدريجيا من محيط الطبقة المفكرة فى المجتمع إلى وعى

* اختار المؤلف العبارة اللاتينية الشهيرة: Hinc illae Lacrimae التى ترجمتها الحرفية: من أجل هذا كانت هذه العبرات.

أبسط العامة وأبعدهم عن أمور الفكر. ومن الطبيعي أن تزول العلل والمسببات في هذه المرحلة الأخيرة. إذ يفكر «المرء» على هذا النحو طالما أنه الأسلوب «الشائع» لفهم الأمور.

لقد طرأ التحول الرئيسي على الفلسفة الغربية في اللحظة التي اعترف فيها بشرعية أحد واجبيها دون الواجب الآخر. فعلى الفلسفة من جهة أن تعالج وتكمل الإرث العقائدي الديني، وأن تلخص — من الجهة الأخرى — المعارف المستقاة من بحوث مختلف العلوم داخل إطار نظري أوسع وأشمل. وهكذا فان الفلسفة تصبح في الحالة الأولى مبحثا فيما بعد الطبيعة (الميتافيزيقا)، وفي الحالة الثانية «تجميعا» للمعارف المستقاة من التجارب. على أنه لا يمكن التنبؤ سلفا بما إذا كانت حفرتا النفق اللتان تبدآن هنا من طرفين عكسيين سوف تؤديا إلى الالتقاء معا وتكوين صورة كاملة الرتوش عن العالم. ومهما كان الأمر فانه لامجال للشك في أن الكشف عن «القيم» التي تخضع لها الحياة البشرية من مهمات ما بعد الطبيعة. فان نوع القيم التي نؤمن بها أمر يتعلق بالعقيدة. بل وعلى الرغم من المحاولات الحديثة لتصميم نظريات قيم تتوفر فيها سلفا صفة الثبات والصحة، إلا أن هذه النظريات لن تصبح أبدا من الأمور المعرفية الخالصة. وعلة ذلك أن وجهات النظر القيمية تتطلب طاقة «المثابرة»، إذ أنه لا تكفي هنا بداهة الادراك المعرفي.

لقد أعلن الاتجاه العلمي المدعو بالمذهب الوضعي رفضه للدين والميتافيزيقا باعتبارهما من الصيغ البالية لتفسير الكون. وإذا كان هذا المذهب يتمثل في أوضح صورة في قانون المراحل الثلاث للعالم الفرنسي «أوجست كونت» Comte، فهو لا يعترف سوى بثمار العلوم التحليلية التعميمية. ولعله قد غاب عن هذه الفلسفة (الوضعية) أنها قد استبعدت بشكل حاسم قاطع في غمار بدايتها التي عاصرت نداء الحرية للثورة الفرنسية تأمل ما للقيم والأهداف من وزن وأهمية، بينما راح الوضعيون يقصرون منهجهم في خطوطه العريضة على المعرفة العلمية للوسائط الخاضعة لقانون العلية. وقد ظهر هذا الاتجاه على نحو أشد ما يكون وضوحا في المحاضرة الشهيرة التي ألقاها «ماكس ڤيبر» Max Weber عام ١٩١٩ تحت عنوان «العلم كمهنة». حيث جرد «ڤيبر» العلم من حق إصدار الأحكام أو صبغ الصفة الشرعية على وجهات النظر التقييمية. فالعلم عند «ڤيبر» لا يحدثنا سوى عن الامكانيات المتاحة لتحقيق أهداف الارادة — ذات القيمة الأكيدة — تبعا لقانون العلاقات السببية بين الوسائط. ليس في استطاعتنا في هذا المقام أن نوضح بصورة عابرة مواضع اللبس والغموض في المفهوم الاصطلاحي المتعلق بالحدود الفاصلة بين «العلم» و «الفلسفة». تلك الحدود التي تلعب دورها هنا أيضا. وباختصار، لقد ظل الفكر الهندسي الحديث نموذجا ومثلا أعلى للفكر الذي يوجه الحضارة وحركة المجتمع. وليست مهمة هذا الفكر نقد الأهداف — إذ عادة ما تعطى هذه الصلاحية للخبير الفني (التطبيقي) — بل انتخاب الوسائط على ضوء المنهج العلمي. لقد تخلى الانسان عن الارادة الأصيلة منذ أن أصبح هدفه الأوحد منحصرا في حساب ما سيحدث في المستقبل. لذا فقد اكتسب عادة جديدة ألا وهي ألا «يريد» سوى ما يستطيع القيام به (تكنيكيا)، بينما توقف عن إرادة «ماينبغي» عليه. ذلك أنه لا يمكن التعرف على الـ «ماينبغي» إلا بواسطة النظرة المتأملة العميقة التي تعبر عنها لغة التصوف أو الايمان المطلق أو ما بعد الطبيعة. ففي باطن كل من هذه الأسس الثلاثة تكمن جذور كل إرادة حضارية أصيلة.

تنطوي كل حضارة على تجربة. وهي تشق لنفسها طريقا جزئيا متحيزا. ومن المؤكد أن انتخاب هذا الطريق لن يتم من بين عدد لانهاية له من الامكانيات. إلا أن العبء لن يلبث أن يقع على جانب واحد من الجوانب المتعددة للحياة، حتى إذا ما طرأ تطور زائد على هذا الجانب بزغت إن آجلا أو عاجلا بعض أعراض الاضطراب التي تمخضت عن عدم إيجاد المتنفس اللازم لتحقيق الشروط الطبيعية للحياة..

ولقد تمكنت الحضارة الغربية من تطوير سيطرة العقل البشري على الطبيعة إلى حد بعيد، وما ترتب على ذلك من إمكان توجيهها جزئيا. ولعلنا لسنا بحاجة هنا إلى العودة لمعالجة هذا الموضوع الذي قتل بحثا في العديد من المناسبات. إلا أننا لانوافق على الرأي القائل بأن ما نعانيه من أزمة حضارية راهنة نابع عن هذه القضية وحدها (سيطرة العقل على الطبيعة). بل حتى لو افترضنا أن «التكنيك» العقلي المذكور قد كشف عن آثاره الضارة بالجسد والنفس والروح فاننا لانكون — على الرغم من ذلك — قد أشرنا إلى الموضع الذي يكمن فيه الداء الفعلي.

إن الخطأ الأكبر في هذه التجربة الحضارية يرجع إلى أن حركات المجتمع قد خضعت للتوجيه «التكنيكي»، أي بعبارة أخرى للعقل. ذلك العقل الذي كشف النقاب عن خاصيته ذات القيمة الجليلة ألا وهي القدرة على تأمل الأهداف الفعلية لحياة الكل وحياة الفرد. ومن هنا صار العقل عنوانا لحرية الانسان. إلا أنه ما أن عجز العقل عن تحديد أهداف هذه الحرية حتى فقد معنى وجوده. بينما حل



ادولف فون منتزل: من كتيب الرسوم (١٨٤٦)

مكانه البحث العلمى — الذى لايفرغ — عن السببيات المجردة. فقد أصبحت المسألة هنا بلانهاية ولكن بمعنى «اللانهاية السيئة» التى حدثنا عنها «هيجل». والواقع أن جميع الشعوب التى أخذت بهذا الأسلوب العلمى قدصارت تخضع للاندفاع الجارف الذى يحمل بفخر الشعار القائل: أن البحث العلمى ضرورة ماسه. ولكننا لاندرى أو لم نعد ندرى على الاطلاق أى غاية مثلى تلك التى تؤدى إليها ضرورة البحث العلمى؟. إن الأمرهنا لايعدو أن يكون على النحو الذى سبق أن فصلناه: فنحن نفعل الكثير من الأمور لمجرد أنه فى مقدورنا أن نفعلها. ونحن لانتوانى عن توسيع قدراتنا بلاهوادة إذ نعتقد أننا بهذه الوسيلة سوف نحقق تقدما أصيلا. والواقع أننا لانلبث بواسطة هذا الأسلوب أن نقع فى شبكة السببيات. فهذه هى عاقبة تحرر نظام الوسائل من التوجيه عن طريق أهداف تجعل له معنى ودلالة.

إن عملية تبديل العالم إلى شبكة لا نهاية لها من السببيات إنما تنجم عن الطريقة الاصطناعية لتوليد الطاقة وتصاحبها بصورة مستمرة. ولان كانت هذه الظاهرة قد حققت ثمارا يانعة فى أول عهدها، فقد صارت تجلب الآن سلسلة من الآثار الجانبية غير المرغوب فيها. أما تلك الثمار اليانعة فقد تمثلت فى توفير المزيد من طاقة الانتاج لدى الانسان والحيوان عن طريق استغلال طاقات الطبيعة الميتة. أضف



ادولف فون منتزل: من كتيب الرسوم (١٨٤٦)

إلى ذلك أن عمليات تخزين الطاقة قد استلزمت إنشاء مخازن المئونة التي يلجأ الانسان إلى الاستعانة بمحتواها في أي وقت كان دون ما حاجة إلى انتظار الريح والأمطار. .
على أنه إذا ما اقتصر تفكير الإنسان على البحث عن العلل والأسباب ترتب على ذلك اتجاه جهاز الدوافع النفسي إلى الآلية التي تحمل الأخطار بين طياتها. فكلما اضطر المرء إلى تشغيل طاقته الشخصية في تنفيذ مشاريعه كلما تحلى بالحرص والحذر. (إذ يصل الأمر إلى أننا نصيغ عباراتنا بقدر أكبر من التأمل والتعقل حينما ندونها بأيدينا عما إذا أمليناها شفاها.) ولعل الأساطير الشعبية مليئة بالأمثلة التي تنبوءنا بمدى الأذى الذى يصيب الانسان إذا ما فاقت «إمكانياته» و «وسائله» — على حين بغتة — القدر الذى اعتاد أن يتمرس به أخلاقيا. فعندما تطرأ مثل هذه التغيرات المفاجئة يجب أن تتولد طاقة جديدة من نوع آخر، بحيث لاتنتظم كعضو بسيط داخل شبكة السببيات وإنما تضع لنفسها أهدافا مستقلة، فضلا عن أنه من المحتمل أن تعوق عملية الدوران الرتيب الذى لاغاية له. وينتسب العرف العام (الأخلاق) إلى هذا النوع الأخير من الطاقات التي عليها أن تنمو، على الأقل، بنفس الدرجة التي يتكاثر بها إمداد طاقات الطبيعة الصماء إذا ما اتصل إنتاجها على ذلك النحو الرائع الذى كانت عليه «ثمارها اليانعات» في البداية. إلا أن الأمر لا يحدث على هذه الصورة. فالانسان ميال

بطبعه إلى المخاطرة «بامكانياته» و «احتياطيات طاقته» دون ضابط أو رابط، كلما كان استحواذه عليها سهلا ميسورا. أى أنه «يبتغى» كل ما «يستطيع». أما الرقابة على قيمة ما يبغيه فلاتلبث أن تصبح ضعيفة متهاودة. حيث لايقتصر ضعف الرقابة هنا على «التوفير*» بمعناه الاقتصادى وإنما يتعداه بالدرجة الأولى إلى تمحيص الفرد لذاته من الوجهة الأخلاقية وإدراكه الداخلى لما «يجوز» له أن يبتغى — وبدرجة أعلى — لما «يجب» عليه ابتغاءه. إن إغراء القوة والسلطان معروف منذ أمد الدهر. فنحن نعثر فى كتاب «جورجياس» Gorgias لافلاطون على الحكمة الأخلاقية: «إن ما أقدر عليه فهوطيب أيضا». ولعله من السهل العثور على أمثال قائل هذه العبارة فى عصرنا نحن. ذلك أن تجميع الامكانيات بغض النظر عن نوعها يشعر دوما بالأمن وهو ما يمكن ترجمته إلى العبارات التالية: «إنى مسلح ضد جميع الظروف، فما من مكروه سيلحق بى.» وربما كان المرء فى هذه الحالة محميا إلى درجة ما من عوائل الزمن، ولكنه يصبح محميا بدرجة أقل من أسلوب «إساءة الاستعمال»، الذى يقع فى مجال الأخلاق. فكلما اعتاد المرء أن يفكر على أساس «المسببات» لا «المسئوليات» كلما قلت حمايته من «سوء الاستعمال». فالاحساس بالمسئولية لايتأتى إلا عن طريق الاصغاء إلى صوت الضمير.

لو أردنا أن نعبر عن الحكمة المأثورة التى تحظى بالمرتبة الأولى من الأهمية فى عالمنا (الغربى) لقلنا: «لابد أن أكون مسلحا ضد أى طارىء غير منتظر، وليس فقط ضد الظروف التى تمر بنا فى العادة. وبذلك أكون حرا وقويا فى جميع الأحوال». من السهل أن نلحظ فى هذه العبارة أن محور التفكير كان محصورا فى «الامكانيات»، بينما لم يمس بحال الغايات الأخلاقية الضرورية. لابد إذن أن يظهر هذا الاتجاه المتحيز على شكل اضطراب وخلل حيث يتخذ فى أول الأمر صورة العواقب الجانبية غير المرغوب فيها. ذلك أنه على الرغم من كافة الحسابات المسبقة فان « «الامكانيات» تتطور من تلقاء ذاتها حسب قوانينها الخاصة التى لم تكن فى الحسبان. وهكذا تدور الأحداث فى لفاتها الفارغة داخل جهاز الحضارة (الآلى) الذى ابتكره عقل الانسان!! على أننا لن نلبث أن نعى فى نهاية الأمر أن أى حضارة يستبعد منها العامل الأخلاقى تفقد لتوها معنى وجودها. بل أنها تعجز فوق ذلك عن إسعاد أبنائها.

إن الموضع الذى تكمن فيه علة الأزمة الحضارية الزاحفة على الغرب فى هذه الأيام يمكن أن يعرف بواسطة الجملة التالية التى تعبر عن تحيز الحضارة الغربية وفقدانها لمعناها ودلالتها بصفة مستمرة:

إن حضارتنا الراهنة (الغربية) هى نظام التصرف الذى لاحد له فى الامكانيات التى لا نهاية لها.

لاشك أن هذه الصورة أو هذا المشروع الحضارى متناسق «فى حد ذاته»، إلا أننا لابد أن نعترض عليه من جديد. فان الاستقرار على قيمة غائية للمضمون الباطن للحضارة ولتوجيه مسار الحياة قد كاد هنا أن يضيع فى لجة من النسيان. وياللعجب! فان هذا الموضع الذى بات فارغا هو هو الذى يضغط اليوم على أنفاسنا!

يتبين لنا من الاطلاع على «المعادلة العامة» لتوزيع القوى فى الحضارة الغربية أن ثمة سباقا عنيفا كان لابد أن يبدأ مع المكان والزمان من جهة، ومع قوى الطبيعة والمجتمع من الجهة الأخرى. فأينما اتجهنا وجدنا أن الأمر متوقف على مقدار الضخامة، أى على الكم على حساب الكيف. وهكذا انتصر «الاستمرار السيئ اللانهائى» فى كافة الميادين. إلا أن أسوأ ما فى الأمر أن هذا التقدم الذى لانهاية له لاهدف له.

ولعله من المفيد أن نوضح هنا أن نظرية «ماركس» فى تفسير حركة التاريخ والمجتمع لم تتأثر تماما بفروض الاتجاه العلمى الوضعى الذى بلغ ذروته فى الشعار القائل: «الرؤيا من أجل المعرفة، والتنبؤ (الرؤيا المسبقة) من أجل الاعداد والترتيب.» فالمعروف أن «ماركس» قد احتفظ بالكثير من معالم فلسفة أستاذه «هيجل». وهو يرى — أى ماركس — أن وجهة الأحداث التاريخية والاجتماعية مقررة سلفا، ولكن ليس بطبيعة الحال على النحو الذى عناه هيجل. فماركس يؤكد أنه لاوجود لحرية تستطيع أن تحول وجهة التيار الذى يتجاوز حدود الأفراد ويدفعهم إلى المضى معه. أما ذلك التيار — أو ما يطلق عليه ماركس بحركة المجتمع والتاريخ — فيمضى حسب قانون ديالكتيكى جدلى. وإن كان يرى هنا «سومبارت» Sombart أن النظرية الماركسية تختلط بصورة غير واضحة بقانون العلية. إلا أن المهم فى هذا الصدد هو أن مسار التاريخ — عند ماركس — يتقدم شاخصا نحو هدف معين. فهو يحمل بين طياته حركة واتجاها هادفا مائة بالمائة. بل أن هذا المسار التاريخى ليس بحاجة إلى من يسير دفته فهو يوجه نفسه من تلقاء ذاته. حتى إذا ما أراد فرد أو طبقة اجتماعية أن تغير المجرى الطبيعى لتطور التاريخ فان مثل هذه المحاولة لاتعدو أن تكون — حسب ماركس —

---

* يذكر المؤلف كمثال على ذلك زهادة استهلاك المياه وماتؤدى إليه من تشجيع للناس على التبذير بالماء طالما أنه متوفر وميسور فى كل وقت.

مغامرة يائسة. إذ لايمكن أن يترتب عليها سوى «عقوبة السقوط». أما القانون الماركسى الذى يفسر حركة التاريخ فيهدف إلى تحقيق المجتمع العالمى الخالى من الطبقات، والذى ينعم فيه الجميع بالحرية والمساواة. على أنه لايمكن بحال أن تتهيأ للفكر حرية أصيلة قبل أن يتحقق هذا الوضع الاجتماعى أو بمعنى أدق: قبل أن تبلغ الحركة الديالكتيكية التاريخية هدفها من تلقاء ذاتها. ونحن نلحظ هنا بوضوح صورة مفهوم الحرية عند «سبينوزا»، الذى يشابه تعريف الحرية عند «هيجل». فهيجل لايعترف بحرية الفرد الذى يحكم بوحى من ضميره، وإنما يقصر اعترافه على انضمام مشيئة الفرد إلى مشيئة الله، و إقبال الفرد بمحض اختياره على الانتظام داخل خطة الكون الكبير. أما المطلق عند «ماركس» فهو ليس «الله» وإنما هو تلك الحركة الهادفة — حركة ذلك «الكائن الكبير» الذى تمخضت عنه الثورة الأوربية الأولى، أو إن شئت فقل حركة المجتمع أو الوجود العام (الذى يعلو على الفرد). تلك الحركة التى لا يفلت منها أحد، ولا قبل لأحد بأن يضفى عليها اتجاها مغايرا لمسارها الذى ينبع من داخلها ويحركها من تلقاء نفسها.

إذا كان من الممكن بعد ذلك أن نسمى نتيجة التطور الحضارى الذى يتدفق بغزارة فى الاتجاه المذكور آنفا: حرية، فمن الواضح أن المقصود بهذه الحرية شيء مختلف تماما عن تلك التى نبحث عنها فى الأعماق الميتافيزيقية للفرد. فمن خلال تلك الحرية الفردية وحدها يمكن أن تتولد الالتزامات الأخلاقية. أما العالم العصرى فقد غالى فى العزوف عن مراقبة أهدافه والتزاماته بالدرجة الكافية من الاهتمام. حتى إذا ما أراد أن يستعيد اهتمامه بتمحيص تلك الغايات والواجبات، كان عليه أن يتحمل مشقة الحصول على ضمير. ولايوجد الضمير إلا فى نفس الفرد. الأمر الذى تترتب عليه فورا مشكلة جديدة: فترى هل تتخذ أحكام وقرارات جميع الضمائر وجهة واحدة بحيث تنجم عن ذلك إرادة موحدة. لاشك أن العبء الملقى على كاهل الدولة يكون شاقاعسيرا، إن هى أرادت أن تحقق ما أطلق عليه «روسو»: الارادة العامة. تلك العبارة التى يمكن أن تترجم إلى: «الارادة الأصيلة العادلة التى تعلو على النزعات الفردية.»

يجدر بالذكر أنه كثيرا ما يذكر إسم «الضمير» فى غمار الخلافات الكبيرة فى عالمنا الحديث. ذلك أنه إذا ما أغفل تحكيم الضمير فى السياسة، فان الدعوة إلى الحرية لن تختلف كثيرا عن طلب الراحة. أما توجيه الحضارة بوحى من الفكر الهندسى المجرد (المعرفة فى سبيل التنبؤ، والتنبؤ من أجل التنظيم) فلا يتعلق إلا بالاختيار الموفق للوسائل والامكانيات. ولاشك أنه من الممكن عن طريق هذا التوجيه الأخير تحسين الكثير من مرافق الرفاهية العامة. إلا أننا لا نستطيع هنا أن نلمس الجوهر الأخلاقى للحضارة. وحينما تفتقد الحضارة إلى المطلق فان حرية الانسان تصبح نوعا من الكماليات.

كيف إذن حال تلك الحرية — حرية الفرد — التى نعتبرها السمة المميزة للعالم الغربى؟ ذلك العالم الذى صار أخيرا يدعو نفسه: العالم الحر.

لايجوز أن يغيب عن أذهاننا أن لكل نوع من الحضارات طرازمعين من الأفراد ينتسب إليها، وهوقادر على احتمالها بل وراغب فى ذلك. أما إذا انطفأت شعلة الارادة النوعية للحضارة تدخلت المنتديات السياسية كى توفر على الشعوب التى ماعت حضارتها جهد التعبير عن مشيئتها أوبعبارة أصح: ضرورة الانتقاء بين الطريقين. إن مصير الغرب لن يؤدى سوى إلى أحد غايتين: فاما أن يلقى بنفسه فى أحضان الحكام المطلقين الذين يجيدون فن «تلجيم» الجماهير، وإما أن يتنازل عن قدرمن راحته فيقدم من جديد طاقات العرف والأخلاق بمالها من دور ضابط لنزعات الفرد وأهوائه، على الاستغلال النافع لطاقات الطبيعة.

طال النقاش فى ميدان فلسفة الحضارات حول مايمكن اعتباره بناء سفليا، وما يمكن تعريفه على أنه بناء علوى للحضارة. حتى إذا ما أردنا أن نأخذ بهذه النظرية ذات الطبقتين، فانه لا مفرمن أن ننسب دور البناء السفلى فى هذا المقام إلى سلسلة الأفراد الذين يواصلون تناسلهم. ذلك أن الحدث البيولوجى شرط مسبق لكل ماعداه. فلولم يولد العدد الكافى من الناس لصارت الحضارة مهددة بخطر «الاضمحلال والزوال». ومن الجائز فى هذه الحالة أن تضم إليها بعض «حملة» السمات المتقاربة من حضارات الشعوب الأجنبية المساوية لها. فالأفراد هم الذين يتعين عليهم أن «يحملوا» حضارتهم ويحتملوها سواء كان جسديا أم نفسيا أم أخلاقيا. ولعلنا لسنا بحاجة إلى أن نعود فنوضح مدى خطورة البيئة الصناعية على الأحوال الصحية.

لنفترض أنه قد أصبح من المستطاع استبعاد المخاوف والهموم المشار إليها عن طريق الاجراءات الصحية الكافية. إلا أنه لن تلبث أن تبزغ مشكلة أخرى قلما تصبح موضعا للحديث فى الوقت الحاضر نظرا لأن مجرد الاشارة إليها تعد منافاة للديمقراطية. ويمكن صياغة السؤال الذى تضعه هذه المشكلة على النحو التالى: ترى هل سيتوفر فى المستقبل العدد الكافى من الموهوبين اللازمين لتغطية المطالب

الحضارية المستمرة النمو؟ ولما كان من المتعذر قياس المواهب إلا على أساس الانتاج الكامل، فانه لامعدى لنا عن الاستعانة بانطباعاتنا التى نجنيها فى نطاق كل من التجارب الميدانية المحددة، عندما نحاول أن نشخص مدى تكرار عدد الموهوبين وتوزيعهم الصحيح فى شعب من الشعوب. كما أنه من الممكن تقنين المعارف والمواهب، بل واكتسابها* شعوريا على حد تعبير «شلايرماخر». على أنه من المتعارف عليه فى جميع ميادين الفكر أن الأمر يتوقف على أن «تدور إحدى الأفكار بخلد أحد الأشخاص». أما أكثر تلك الأفكار وروابطها فيقع فى مجال الشعور. لذا فانه كلما اشتد الطلب على الفكر المنطقى المجرد، كلما ضمر ميدان الخيال. ورغم ذلك فان الخيال قابع فى نطفة الصناعات التطبيقية كافة. وإن كانت ضرورة توزيع العمل تضر بالقدرة التصورية الكلية.

إن جميع وجهات النظر التى عالجناها حتى الآن تدور برمتها حول العنصر الرئيسى فى هذا المقال: الوجهة الأخلاقية للارادة الحضارية. فكل حضارة يمكن مقارنتها بعملية البناء التى تبذل المحاولات بطريقة خاصة لتشكيل حياة لها جوانبها القيمية. أما الأحياء الذين يتبدلون على عملية البناء بصفة مستمرة فلابد أن يكونوا مؤيدين لهذه الطريقة التى تجمع بها القيم أثناء عملية البناء فمن المهلك ألا يتقبلوا أو لايدركوا الغاية التى تنطوى عليها فكرة حضارتهم، ومن المنذر بالخطر أن يعجزوا جسديا عن احتمال حضارتهم؛ ولكنه من المميت ألا يعودوا إلى تزويد حضارتهم بالطاقات الأخلاقية.

لا يبدأ انحلال الحضارة ببدء انهيار العرف العام. بل هو يعلن عن نفسه مقدما من خلال الأسلوب الفردى فى الحياة، الذى ينتشر فى كافة المراحل الأخيرة من تاريخ الحضارة. ومهما سلك الفرد فى هذه الآونة حياة كلها نظام واعتدال، فانه لايعاوده الاحساس بالمشاركة فى مسئولية «الكل». بل أننا لوعدنا إلى أيام ما قبل ظهور النبوءة القائلة «بانحلال الغرب»** لتذكرنا كيف كان معلمونا فى المدارس الثانوية يمتدحون نموذج العقل العام فى الحضارات القديمة. وهم فى ذلك لم يقتصروا على تمجيد الفكر الأثينى وإنما تعدوه إلى فضائل مواطنى الحضارتين الاسبرطية والرومانية. وكثيرا ما كانت هذه الدروس تبث نداء متواضعا «لحب الوطن». ذلك النداء الذى صرنا نخجل من الذكرى التى خلفها وراءه بعد أن صرنا مسئولين عن القومية المطلقة التى لاحدود لها. على أنه لايجوز أن ننسى أن الشعب والوطن والدولة ليست — على حد قول فيشته Fichte — سوى الأطر الخارجية التى يتشكل داخلها المعنى الأسمى لوجود البشرية. ومن أجل هذا المعنى الأرفع، الذى يشترك فيه الجميع، يجب أن يكون الفرد على استعداد لتقديم التضحيات، خاصة وأن المجتمع الديمقراطى المنظم يتطلب من هذه التضحيات ماهو أكثر بكثير من تلك التى يحتاج إليها المجتمع الخاضع لنظام الحكم الملكى حيث يسير أموره الفئة البيروقراطية.

نحن نعلم تماما ما يتطلبه ضمير الفرد. كما أننا نشعر بالمسئوليات التى علينا أن نتحملها فى نطاق عملنا. ولكن هذا لايكفى. إذ على الفرد أن يتعلم ماهية ضمير الحضارة ومسئوليتها. وينجم هذا الاستطراد بصورة مباشرة عن الفكرة القائلة بأنه على كل شخصية حرة أن تحمل حضارتها وبالتالى أيضا دولتها. ولقد خضنا هذه التجربة بأنفسنا. أما الآن فلابد لنا من المحافظة على المعنى العميق الذى تنطوى عليه. على أن تحقيق ذلك أمر لا علاقة له بالتكنيك*. إذ لا يمكن فى هذا الصدد أن يقدم أروع فكر هندسى أية معونة. فالمسألة هنا لا تتعلق بتحصيل الوسائل والامكانيات وإنما بقيم الوجود. وإن كافة الوسائل نسبية، أى أنهامنسوبة إلى الهدف منها. وهذا الهدف محدد سلفا. أما نوعية الأهداف التى نضعها لأنفسنا فهى التى تقرر نفع أو ضرر «التكنيك». ولكن المسألة متوقفة فى نهاية الأمر على نوعية الأهداف التى يتعين علينا أن نضعها نصب أعيننا. فان الصلة بالمطلق لاتبدأ إلابعد أن يشق هذا الوعى طريقه من جديد إلى عالم الظهور. ونحن نعنى بعبارة (المطلق) المنبع الذى يصدر عنه المعنى الأساسى للوجود. حيث تدعوه لغة الدين: «الله.»

إذا كان بناء الحضارة يقوم إذن على كاهل الأفراد الأحرار، فانه لا بد أن ينشط فى داخل كل شخصية ناضجة منظم أخير يدل على أن مرجعها إلى المطلق. ومما يستحق الذكر أن كلمة «مرجع» بالألمانية Rückbindung ، Rückbezug تعنى باللاتينية Religio (!) وعلى ذلك فان كل حضارة لاتنهض على أسس أصيلة من الاقتناع الدينى تزول عنها صفة التجربة. فاذا كان من المستطاع إجراء التجارب

---

* Anbilden وهو تعبير خاص يستعمله «شلايرماخر» للدلالة على اكتساب القيم شعوريا دون امتصاصها أو الامتزاج بها.

** أطلق هذه النبوءة الفيلسوف الألمانى أوزفالد شبنجلر.

* المقصود هنا بالتكنيك مجموعة الاجراءات التى تضع الطبيعة بعد تغييرها فى خدمة الأغراض البشرية بناء على المعرفة الدقيقة بقوانين الطبيعة. ولانعنى هنا بالتكنيك قواعد الفن وأصوله حسب المعنى الشائع فى الأوساط المثقفة بالعالم العربى. (المترجم)

على جهاز الوسائل والامكانيات فان ذلك لا يمكن أن يحدث بالنسبة لمصير الانسان.

إن الضابط الأخلاقى لا يوجد سوى فى قرارة النفس المتصلة بالله. ذلك أنه مهما ألحت الضرورات الخارجية فان الحرية تتخذ مسارها دوما نحو ذلك الوجود الداخلى الذى لا يجوز أن يغيب عن وعينا. ويستوى بعد ذلك أن يجوز لنا إطلاق عبارة «المعرفة» على المطلقات التى تشعبت جذورها فى كياننا الباطنى، وبالتالى إمكان التجاسر على إقامة علم ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا)، أو أن نتحدث عن الانفتاح الداخلى، عن التصوف الذى تنسلخ عنه كل علوم مابعد الطبيعة. ومهما كان الأمر فانه لا يصح أن يظل هذا الموضع فارغا. كما أنه لن يصبح «ممتلئا» لو حل فيه الفكر الوضعى واستحوذ عليه. فكل ما سيحدث هو الدوران الرتيب لعجلة إنتاج الوسائل والامكانيات دون هدف أو معنى.

ولطالما ردد «تيودور ليت» Theodor Litt تحذيره من أن يرفع أحد صوته بالشكوى من كوننا نعانى أزمة حضارية دون أن يبين لنا — فى نفس الوقت — الطريق لعلاج هذه الأزمة. فالواقع أنه من السهل الانتقاد والتجريح. أما إن لم يترتب على ذلك الانتقاد سوى زيادة التشكك والضياع، فالافضل فى هذه الحالة لصاحب النقد أن يحتفظ بحكمته لنفسه!

إذا ما كانت عملية تطور المجتمع الغربى بماله من حضارة وثقافة تعلو حقيقة على مستوى الفرد، بينما تتجه بفضل حركتها الداخلية الموجهة نحو هدف ناجح مفيد، فانه لا مناص من انتظار ما ستتمخض عنه هذه «العملية» أو الانضواء تحت لوائها عن طيب خاطر إلى أن يتحقق الهدف المنشود فى يوم من الأيام. إلا أن هذا النوع من «الرؤيا المسبقة» هو أسوأ ما يمكن أن نتصوره. فبواسطته تصبح القيم الأخلاقية قد استبعدت من العالم، وبذلك يغدو كل نوع من المشاركة فى العمل أو النشاط خارجا عن نطاق كافة المعايير الأخلاقية. ولعلنا لسنا بحاجة إلى تعديد الأمثلة المفجعة التى يتجسم فيها «تعسف وجور مبدأ المصير.»

أما إذا كان هنالك احتمال عودة الحرية التى تقف فى مواجهة الظروف الحضارية السائدة، فانه لابد هنا أيضا من استبعاد «الحساب المسبق.» ذلك أنه لا يمكن لنا أن نحسب سلفا ما سيحدث فى المستقبل إلا بالنسبة لسلسلة من الامكانيات الميتة على أقصى تقدير. بل حتى فى هذا المجال لا يتعدى الانسان حساب امكان الحدوث الذى سبق أن حدثنا عنه «ماكس ڤيبر». ففى اللحظة التى يصير فيها سلوك الانسان الذى يبغى ويريد موضوع حسابات مسبقة بالضرورة، فان هذه الحسابات لا يمكن أن تصح إن لم يستبعد كل قرار أخلاقى من ذات الانسان، وإن لم يهبط به إلى مستوى الآلة أو الجهاز النفسى الآلى، على نحو شبيه بما فعل به مكياڤيللى.

ما من أحد يستطيع أن يتنبأ من الآن بما إذا كانت القيم الأخلاقية المتصلة «بإرادة» الحضارة ستعود قبل فوات الأوان أو بعده. فكل ما نستطيع أن نفعله هو التحذير. وإن الهزات العنيفة التى خلفتها آخر التطورات التكنيكية فى صدور الناس ونفوسهم لتستحق منا كل الاهتمام بل وأقصاه. إذ يجب على النفوس أن تتفتح من جديد للصوت الالهى. فعلينا أن «نريد» عن عزيمة حقة. أما نجاح كافة الأمانى والرغبات فقابع فى راحة يد عليا . .

ترجمة: مجدى يوسف



صندوق من خشب الزيزفون. وكان هذا النوع من الصناديق الطريفة يستعمل فى القرون الوسطى كتعبير عن حب العاشقين، وكثيرا ما نعثر فيها على صورة وحيد القرن. (موطنه بازل، القرن الخامس عشر).

نشكر ادارة المتحف التاريخى فى مدينة بازل لتصريحها لنا بنشر هذا التصوير.

أسطورة الكركدن في الشرق والغرب

عثرنا فى النسخة الثالثة لمجلة «حوار» المنشورة فى بيروت على شعر لتوفيق صائغ اسمه «بضع اسئلة لاطرحها الى الكركدن»، وجمع المؤلف فى هذه القصيدة الرموز والتشبيهات الجارية فى تقاليد الشرق والغرب حتى اننا نجد فيها ذكريات ما كتبه الجاحظ فى «كتاب الحيوان» على الكركدن وما اضاف اليه الدميرى، وكذلك الرموز المسيحية التى عبرت عن الحيوان الخرافى ذى القرن الواحد وهى تعتبره مثالا للبكارة والطهارة والعفة. ولم ينس هذا الموتيف القديم الشعراء الالمان فى ايامنا هذه، وتشغل اسطورة الحيوان ذى القرن الواحد كثيرا منهم ومن الادباء فى الولايات المتحدة وفى فرنسا حتى الآن، كما سنرى فيما يأتى. وقد دفعتنا قصيدة الشاعر اللبنانى واشعار الشعراء الالمان واقاصيص الادباء فى الغرب على العموم الى البحث فى تأريخ هذا الحيوان الخيالى فى عنعنة الشرق وتقاليد الغرب.

وقد نشر الاستاذ ر. ايتجهاوزن R. Ettinghausen فى سنة ١٩٥٢ كتابا اسمه The Unicorn يبحث فيه عن تصاوير الكركدن فى الفنون الاسلامية، وسمح لنا الاستاذ المذكور بان نستخلص من كتابه هذا ما قد يلفت انتباه قرائنا الكرام، وله الشكر الجزيل. ونحن نورد هناك خلاصة لبحوث الاستاذ ايتنجهاوزن مضافا اليها بعض المعلومات عن تأريخ الحيوان المقرن فى صنعة الغرب وادبه.

نقرأ فى «كتاب الحيوان» للجاحظ انه قال: «وما اكثر من ينكر ان يكون فى الدنيا حيوان يسمى الكركدن ويزعمون ان هذا وعنقاء مغرب سواء، وإن كانوا يرون صورة العنقاء مصورة فى بسط الملوك واسمها عندهم بالفارسية سيمرك . . .»

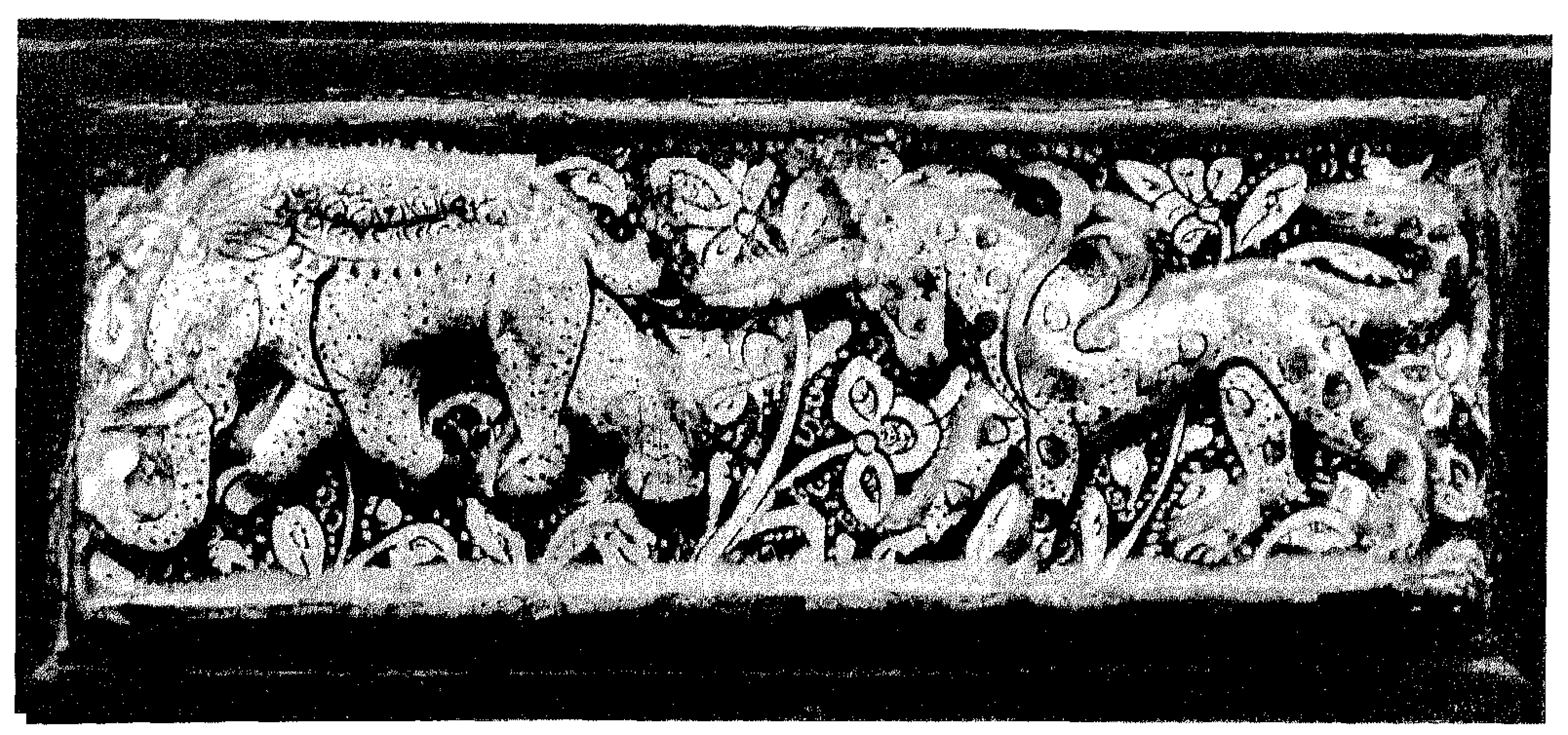
وتدل هذه الاشارة الى ان الكركدن الذى «له قرن فى جبهته» يعتبره كثير من الناس غير حقيقى، وهو من نسج الخيال، مثل «وحيد القرن» او «الحصان المقرن» فى القرون الوسطى فى اوروبا. وفى استخدامنا لتعبير «الكركدن» فى هذا المقال فاننا نستخدم هذه الكلمة بالمعنى الخيالى الاسطورى فى الغالب.

قد ذكر الجاحظ ان للكركدن فى رأى بعض الناس قرابة بالعنقاء، كلاهما موجود اسما مفقود جسما ومن الممكن ان تنعكس هذه المناسبة الخرافية فى التصاوير الاولى للكركدن التى نصادفها فى الصنعة الاسلامية. فهناك حيوان ذو قرن واحد منحوت على جدار المدرسة المقدمية فى حلب (المبنية سنة ٥٦٤/١١٦٨) ومثله محفور على آنية من البرنز المرصع فى ايران فى الفترة نفسها تقريبا؛ و نجده ايضا على إناء من الزجاج معمول فى سوريا فى القرن الرابع عشر كما نراه منحوتا فى قصر قونيا القديم، او على حقة مصنوعة من سن الفيل موطنها اسپانيا. وهذه الحيوانات المقرنة كلها مجنحة مشيراً الى ماهيتها الخيالية وإلى ان الرسام او الفنان لم يخيل له تصوير كركدن حقيقى.

فما الذى كان العرب فى ذلك العصر يعرفونه فى باب الحيوان باسم ذى القرن الواحد؟ وقد اطلقوا عليه عدة اسماء: كركدن، كركند، خرطيط، خرتوت، ابو قرن، ام قرن. وكلمة «كركدن» مشتقة من كلمة هندية، ومن المعلوم ان هذا الحيوان اكثر ما يوجد فى الهند. ولاشك ان علماء العرب أخذوا بعض المعلومات عن رسائل اليونانيين فى علم الطبيعة؛ واول من وصفه هو طبيب يونانى اسمه كتيسياس Ktesias وقد اقام مدة طويلة عند ملك ايران فى حوالى سنة ٤١٦ الى ٤٠١ ق‌م وسمى الحاكم اليونانى (الذى اخذ عنه ارسطو) هذا الحيوان «الحمار الهندى»، وهذا التعبير موجود



العذراء ووحيد القرن. احدى المنسوجات الستة حول هذا الموضوع وهى محفوظة الآن فى متحف كلونى فى باريس. موطنها فرنسا او الفلمنك، حوالى عام ١٥٠٠.
نشكر دار نشر براون Braun فى مدينة مولهاوزن لانعامها علينا بكليشه هذه اللوحة.



الكركدن والفيل، قاشانى، موطنه ايران (القرن الثالث عشر). المتحف الاسلامى، برلين.
نقرأ فى حكاية السندباد البحرى مع السندباد الحمال حكاية السفرة الثانية: وفى تلك الجزيرة صنف من الوحوش يقال له الكركدن يرعى فيها رعياً مثل ما يرعى البقر والجاموس فى بلادنا ولكن جسم ذلك الوحش اكبر من جسم الجمل ويأكل العلق وهو دابة عظيمة لها قرن واحد غليظ فى وسط رأسها طوله قدر عشرة اذرع وفيه صورة انسان.

فى كتاب الجاحظ ايضا. وقال كتيسياس المذكور: «إن للحمار الهندى جسما ابيض، ورأسا قرمزيا، وعينين زرقاوين، وعلى جبهته قرن حديد طوله ذراع.» وذكر المؤلف اليونانى ايضا فضائل القرن المذكور (الذى سيأتى ذكره فيما بعد)، ومن هذا الوصف اشتقت التقاليد التى تتخيل وحيد القرن على صورة حصان جميل، وهذا هو الغالب فى الغرب. وقال القلقشندى عندما ذكر الجليل الوحش: «الكركدن ويسمى الحمار الهندى»

اما فى صور المخطوطات العربية، مثلا «عجائب المخلوقات» للقزوينى و «منافع الحيوان» لابن بختيشوع. فالكركدن اشكال مختلفة، وعرف السياح مثل البيرونى وابن بطوطة الكركدن الحقيقى كجاموس مقرن او قالوا ان «الكركدن رأس بلا بدن»، ورسمه الرسامون كما كان يوحى لهم خيالهم ولكننا لا نجد فى هذه الآثار العلمية ما هو مجنح بل نرى الكركدن حيوانا ذا شكل غريب على رأسه قرن مستقيم او منحن. وكثيرا ما كان وصف هذا الحيوان بعيدا عن الحقيقة كما قال الدميرى:

«حيوان طوله مائة ذراع وأكثر من ذلك له ثلاثة قرون قرن بين عينيه وقرنان على اذنيه يطعن الفيل . . .»

ويذكر طوله الهائل كذلك بعض التقاليد الهودية إن قيل انه لم يتمكن له دخول سفينة نوح عند الطوفان لفرط طوله . . .

وقد انتشر هذا الاعتقاد ايضا فى الغرب فى اثناء القرون الوسطى حتى القرن السادس عشر وزعم بعض العلماء ان هذا هو سبب فقدان ذى القرن الواحد فانه قد غرق فى البحر، وقال اخرهم لا بل كان وحيد القرن متفاخرا للغاية حتى انه ابى دخول السفينة مع الحيوانات الاخرى فهلك . . .

ومن الادباء المسلمين من وصفه ببدن الاسد، او جسم الغزال، او مشابها للفيل، ولم يذكر الجناحان فى متن ما .

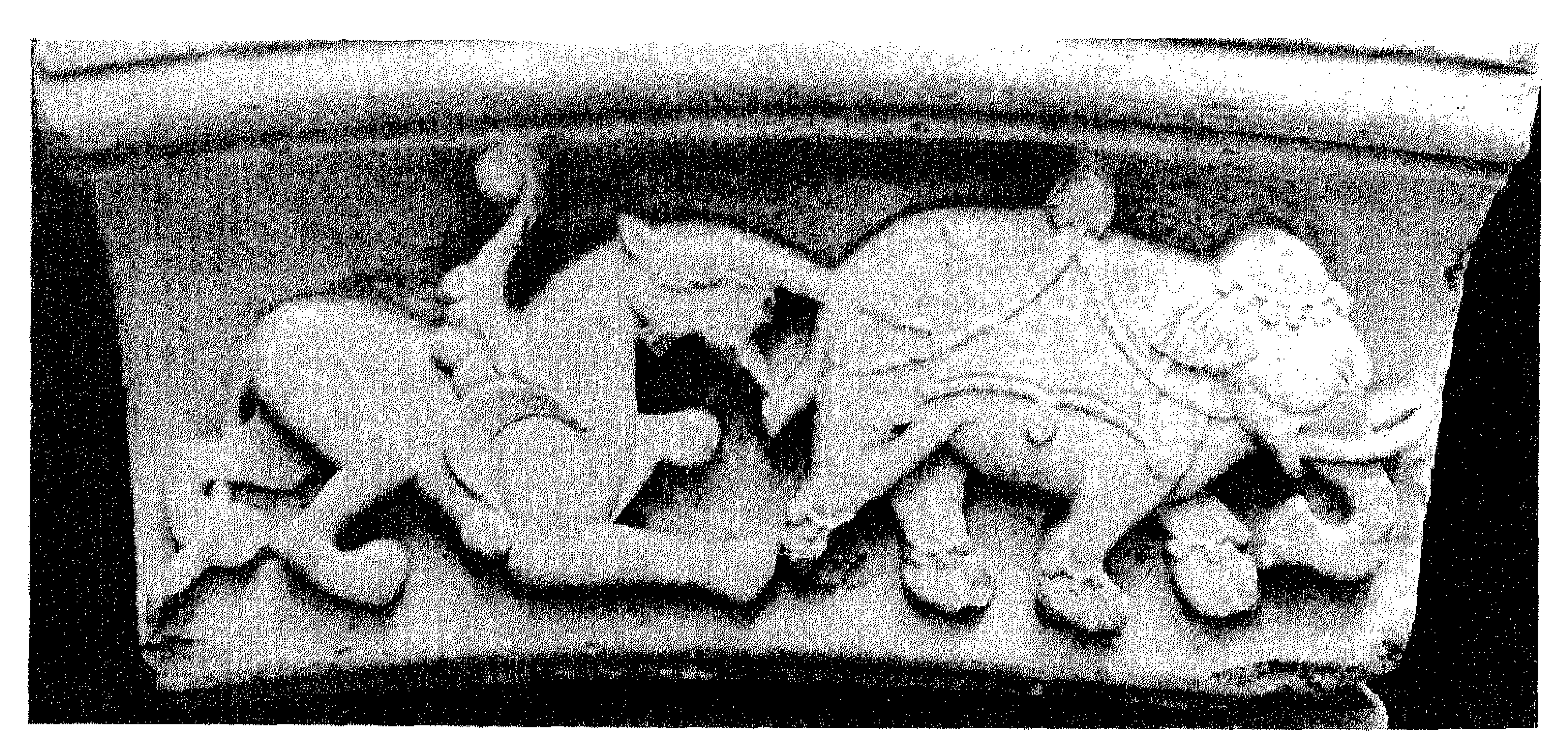
اما من اشهر الخرافات التى حكيت فى الكركدن وايضا فى حيوان مسمى بالسناد — ويوءمى الى هذه الخرافة الشاعر توفيق صائغ — مانقله الجاحظ ومن يليه:

«وقد قالوا فى ولدها وهو فى بطنها قولا لولا انه ظاهر على ألسنة الهند لكان اكثر الناس بل كثير من العلماء يدخلونه فى باب الخرافة. وذلك انهم يزعمون ان ايام حملها اذا كادت ان تتم، واذا نضجت وسحبت وجرت وجرى وقت الولادة فربما اخرج الولد رأسه من ظبيتها فأكل من اطراف الشجر، فاذا شبع ادخل رأسه، حتى اذا تمت ايامه وضاق به مكانه وانكرته الرحم وضعته مطيقا قويا على الكسب والحضر والدفع عن نفسه.»

واخبر الجاحظ ايضا قرائه المتحيرين ان

«اقل الخلق عددا وذرءا الكركدن لان الانثى تكون نزورا وايام حملها كثيرة، وهى من الحيوان الذى لا يلد الا واحدا.. وهى مع ذلك تأكل اولادها ولا يكاد يسلم منها الا القليل لان الولد يخرج سويا نابت الاسنان والقرن شديد الحافر.»

وزاد الدميرى على هذه المعلومات حكاية اخرى أخذها عن القزوينى قائلا: «يبقى ولد الكركدن فى بطن امه اربع



الكركدن والفيل، موطنه قونيا، تركيا، (القرن الثالثعشر، العهد السلجوقي) متحف قونيا.
ان هذا الوحش المسمى بالكركدن يحمل الفيل الكبير على قرنه ويرعى به فى الجزيرة والسواحل ولم يشعر به ويموت الفيل على قرنه ويسيح دهنه من حر الشمس على رأسه ويدخل فى عينيه فيعمى فيرقد فى جانب السواحل فيجيء له طير الرخ ويحمله فى مخالبه ويروح به عند اولاده ويزقهم به وبما على قرنه . . .
ونجد هذه القصة ايضا حتى فى اوروبا اثناء القرن الخامس عند مؤلف الكنيسة ايسيدور الاشبيلى. وقدظلت فى كتب السفر الاوروبية الى القرن السابعشر.

سنين واذا تم له سنة يخرج رأسه من بطن امه فيرعى الشجر مما يصل اليه واذا تم له اربع سنين وقع من بطن امه وفر كالبرق حتى لا تدركه فتلحسه بلسانها لان لسانها فيه شوك كبير غليظ اذا لحسته ازالت لحمه عن عظمه فى لحظة واحدة ...» وكرر سائح پرتغالى فى القرن السابع عشر مثل هذه الكلمات فى «وحيد القرن» الذى ادعى ان رآه فى بلاد الحبش.

وصار الكركدن مشهورا عندهم لانه يخيف الحيوانات كلها على ما قال الجاحظ:

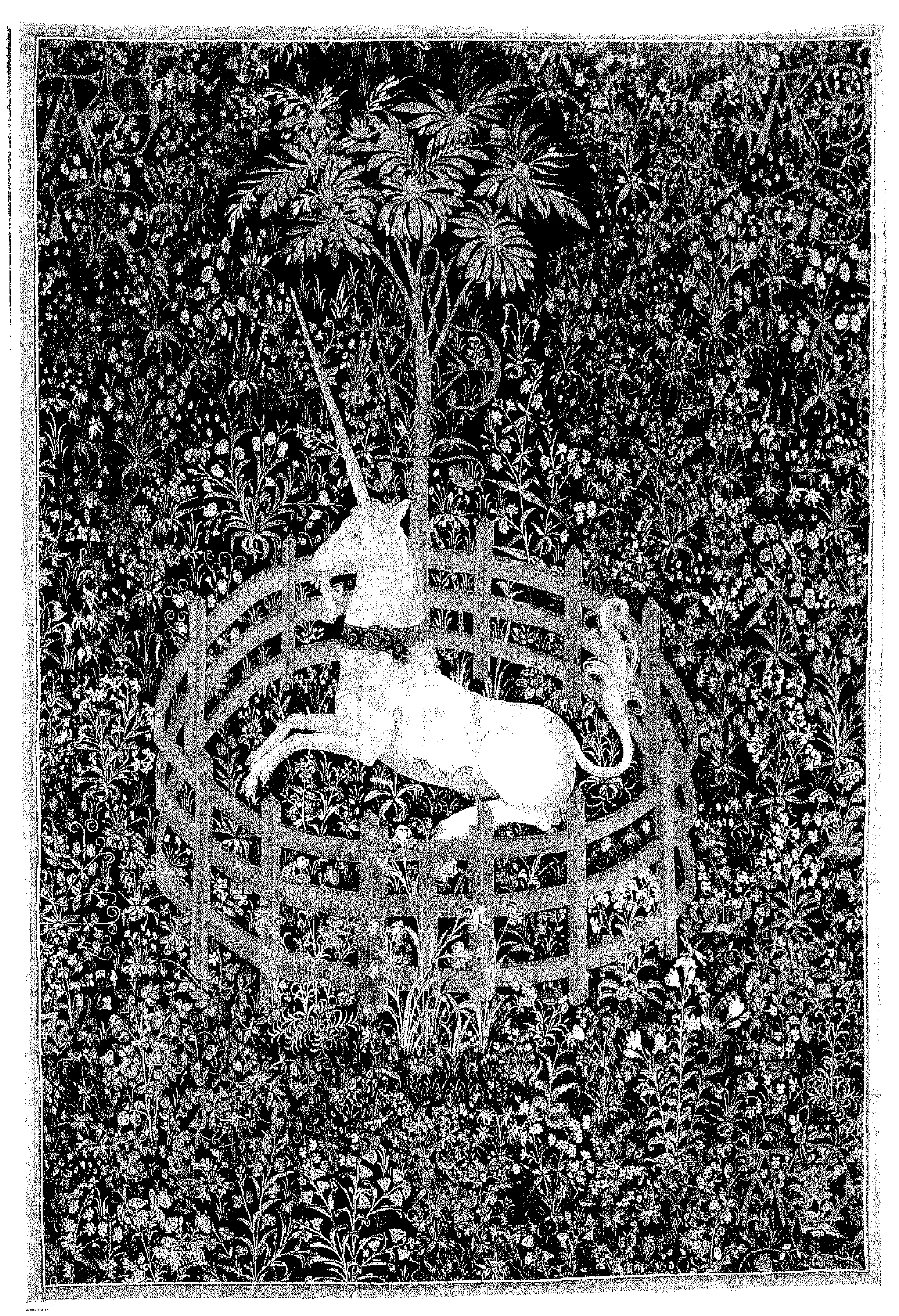
«تزعم الهند ان الكركدن اذا كانت ببلاد لم يرح شيء من الحيوان شيئاً من اكناف تلك البلاد حتى يكون بينه وبينها مائة فرسخ من جميع جهات الارض هيبة له وخضوعا له وهربا منه . . .» واضاف نفس المؤلف قائلا:

«و العوام تضرب المثل فى الشدة والقوة بالكركدن، وتزعم انه ربما نطح الفيل فرفعه بقرنه الواحد وسط جبهته، ولايشعر بمكانه ولا يحس به حتى ينقطع على الايام. وهذا القول بالخرافة اشبه.»

ولكن هذه الخرافة كانت معروفة فى العالم باسره: نرى على كثير من آثار الصنعة الاسلامية الكركدن (مجنحا كان ام غير مجنح) يعقب الفيل؛ وكان هذا الموضوع محبوبا فى صنعة الدولة السلجوقية، يظهر على قاشانيات ملونة من ايران والاناضول وعلى صحون البرنز من معمولات الشام وعلى بساط منقوش فى مخطوطة مؤرخة سنة ١٣٣٥ لمقامات الحريرى. وهذا الطرز — اى الكركدن والفيل — موجود حتى فى الصنعة الهندية حوالى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد كما نفهم من الخواتم المصنوعة فى مدينة موئنجو دارو فى منطقة السند وان لم يقاتل الكركدن الفيل بل يقومان معا فحسب. اما حكاية قتالها التى تجرى ايضا فى حكايات سندباد البحرى فكانت معروفة فى الغرب كذلك، ذكرها مؤلفو الكنيسة القديمة، مثلا ايسيدور الاشبيلى، وكذلك «كتب الحيوانات» فى القرون الوسطى حتى ان الشعراء الاوروبيين فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر اشاروا اليها فى بعض قصائدهم. وعندما اهدى السلطان الهندى المظفر رئيس كانبى كركدنا حقيقيا الى امانوئيل ملك البرتغال احضر الملك فيلا وناطحها ولكن الكركدن لم يبال بالفيل بل انصرف . . . (وكان هذه الواقعة فى ٣ حزيران ١٥١٥).

والقتال مع الكركدن من اعظم ما حكى عن مشاهير الابطال فى اساطير الشرق، وذكر الفردوسى الشاعر الايرانى فى كتاب «شاه نامه» قتال البطل بما سماه «كرگ» واذا قرأنا هذه الكلمة بضم الكاف الاولى فهى الذئب، او بفتح الكاف الاولى فهى الكركدن وهذا المعنى اقرب الى ما قصده الشاعر.

لان الظفر على الكركدن من اعظم صور الانتصارات البطولية الاسطورية ولذلك نرى احيانا فى المنياتورات الايرانية الكركدن المطيع فى موكب ذى شأن فى حضور



وحيد القرن المجروح فى الحديقة؛ قطعة منسوجة موطنه الفلمنك اوفرنسا، اواخر القرن الخامس عشر.
نشكر ادارة المتحف Metropolitan Muscum فى نيويورك لتصريحها لنا بنشر هذه اللوحة.

سليمان النبى الذى كان ذا قوة سرية فى سحر الحيوانات والجان، اونرى الحيوان المتوحش فى بعض الرسوم رفيقا لبلقيس عند سفرها الى قصر سليمان. حتى ان رواية قديمة وردت فى «اسكندنامه» لنظامى الشاعر الايرانى (المتوفى سنة ١١٨١) نقلت ان افلاطون وهو الساحر الكبير ظفر على الكركدن بوساطة قوته المغناطيسية . . .

لاشك ان الكركدن من «اشراف السباع وساداتها وكبارها؛ ورؤسائها» وان كان بعض الناس قد اشتبهوا فى وجوده فقال الجاحظ:

«والذى يثبت الكركدن ان داود النبى ذكره فى الزبور حتى سماه»

واشار بذلك الى المزمار الثانى والعشرين وغيره من المزامير حيث ذكر حيوان مقرن؛ وقد ترجم المترجمون اليونانيون للزبور هذه الكلمة بكركدن، «وحيد القرن» وهو فى الحقيقة رئم او نوع من الجاموس.

وكل من كتب فى الكركدن كتب ايضا فى وصفه المميز اى قرنه الوحيد وخصوصيتها السرية، وقال فيه الجاحظ:

«قرن الكركدن اغلظ من مقدار ذراع، وليس طوله على قدر غلظه، وهو اصلب واكرم من قرن الفيل».

واضاف قائلا: «فاذا قطعوه ظهرت فى مقاطعه صور عجيبة، وفيه خصال غير ذلك لها يطلب».

اما الدميرى ويبالغ على عادته فقد قال:

«له قرن واحد عظيم فى رأسه لايستطيع لثقله ان يرفع رأسه . . . واذا نشر قرنه طولا تخرج منه الصور المختلفة بياض فى سواد كالطاوس والغزال وانواع الطير والشجر وصور بنى آدم وغير ذلك من عجائب النقوش يتخذون منه صفائح على سرر الملوك ومناطقهم ويتغالون فى اثمانهم».

وإن كانت الرواية الاولى بعيدة عن الحقيقة ولكنه محق اذ قال: «اما فى الصين فيتخذون من قرن الكركدن مناطق تبلغ قيمة المنطقة منها اربعة الاف مثقال ذهبا . . .»

هذه الرواية مأخوذة من كتاب اخبار الهند والصين المكتوب فى القرن التاسع م. ومن المعلوم ان اهل الصين كانوا يقدرون قرن الكركدن غاية التقدير، وتوجد حتى الآن بعض هذه المناطق القيمة من سلالة تانك T'ang الصينى (من ٦١٨ الى ٩٠٧ م) فى متاحف الشرق الاقصى. وكان علماء اليونان قد ذكروا الكؤوس المصنوعة من قرن الكركدن وقالوا انه من ملك احدها فلا يصبه تشنج المعدة ولا الصرع ولا يعمل فيه الزهر؛ وقال عالم اخر مضيفا على تلك المعلومات ان هذه الكؤوس لاتوجد الا عند الملوك ولا حق لصيد الكركدن الا للملوك.

وجمع الدميرى هذه الروايات الغريبة وبحث عن الشعبة التى لها هذه الخواص العجيبة قائلا:

«على رأس قرنه شعبة مخالفة لانحناء القرن وهى لها خواص عجيبة وعلامة صحتها ان يرى منها شكل فارس ولا توجد تلك الشعبة الا عند ملوك الهند ومن خواصها حل كل عقد فلو اخذها صاحب القولنج بيده شفى فى الحال والمرأة التى ضربها الطلق إن امسكتها بيدها تلد فى الحال وان سحق منها شئ يسير وسقى المصروع افاق وحاملها يأمن من عين السوء ولايكبو به الفرس واذا تركت فى الماء الحار عاد باردا . . ؛ ويتخذ من جلده التجافيف فلا تعمل فيها السيوف . . .»

ولم يزل هذا القرن السحرى يثير تخيلات الخلق فى الشرق حتى ان الدميرى الف مقالة فى حيوان ذى قرن واحد اسمه «شادهوار» قال فيه مستندا الى القزوينى:

«له قرن عليه اثنتان وسبعون شعبة مجوفة فاذا هبت الريح سمع لها اصوات حسنة فتجتمع بسبب ذلك الحيوانات...»

اما المفعول الاهم لهذا القرن فهو أنه يصفى الماء من كل ما نجسه من قذارة او سم واشتهرت هذه الفكرة فى التراجم الشرقية لكتاب فيسيولوجوس وفى رسالة كوسماس اليونانى الذى زار بلاد الحبش حوالى عام ٥٥٠ م، ولذلك سعى الملوك والاكابر فى القرون الوسطى الى الحصول على قسم من هذا القرن القيم (وهو فى الحقيقة قرن الحوت) لئلا يؤثر فيهم السم. وصار وحيد القرن الشعار الاكثر استعمالا فى الاجزاخانات فى القرنين السادس عشر والسابع عشر لان قرنه عد الترياق المطلق الذى كان يباع باعلى الاثمان، وساد الظن بأنه حتى الماء الذى مسه قرن الحيوان الاسطورى لمدة، سيكون دواءا مفيدا للامراض كلها (eau de licorne) والف المؤلفون كتبا ورسائل فى هذا القرن، انكر بعضهم قوته السحرية ودافع بعضهم عنها. قال مارينى الطبيب الذى نشر كتابه فى مدينة البندقية سنة ١٥٦٦ ان اطباء العرب قد بالغوا فى الحكايات عن قوة قرن الكركدن والفد زهر التى يزعمون انه يعالج كل الامراض؛ ولكنه فى الحقيقة لا يوجد شئ من ذلك فى قانون ابن سينا الذى كان يستعمل فى ذلك الوقت فى اوروبا. — وان ضعف الايمان بقوة هذا القرن وفضيلته فيما بعد فقد ظل اثر ذلك فى باطن الشعور الانسانى، ونشر مؤلف اميركى منذ بضع سنوات قصة يحكى فيها كيف يصفى وحيد القرن ينبوعا حين وقع الوباء على سكان فلسطين (Th. Buchanan, The Unicorn).

ومن الممكن ان نرى فى هذه الروايات أثراً من الدين الزردشتى القديم الذى يذكر فى بعض متونه «حمارا ذا قرن



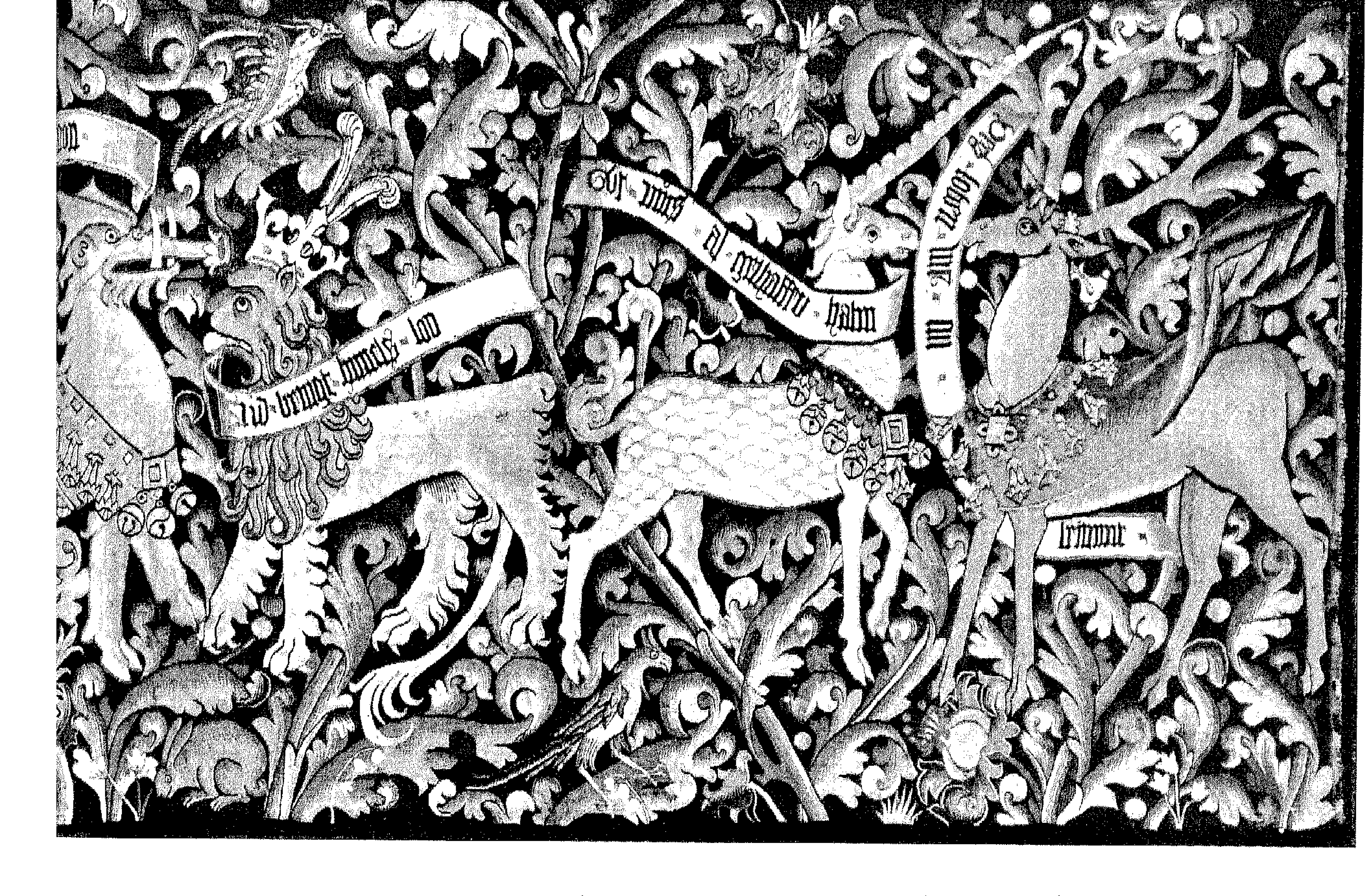
ستار منسوج من الكتان والصوف عليه ذوا القرن الوحيد يقومان جانب شجرة، وهى مثال لشجرة الحياة او شجرة الكون التى عرفت فى الاساطير منذ زمن الاشوريين.
متحف مدينة فلنسبورج. — تصوير: الدكتور سالشو Dr. Salchow كولونيا.
مأخوذ عن فهرس معرض Folklig Konst i Tyg och Lera الذى قامت به ادارة الفنون الالمانية، كولونيا.



صندوق مصنوع من سن الفيل، موطنه اسپانيا (القرن الحادى عشر) وهو محفوظ فى كاثيدرائية بامبلونا، اسپانيا.

ذهب يصفى المياه» — ونذكر الحمار الهندى الذى عرف كتسياس بوجوده اثناء اقامته فى ايران.

اما قرن الكركدن المشهور لاوصافه السحرية فنجده مصورا فى الشرق والغرب كقرن طويل مستقيم بيد ان الكركدن غير الخرافى له قرن اعرج قصير بالنسبة. وكثير مما قيل فى قرن الكركدن فى القرون الوسطى يوافق قرنا اخر مختلفا عنه جنسا وهو قرن الحوت ذى القرن او «كركدن البحر» اى Narwhal وهذا القرن — وهو السن اليسر للحوت المذكور — طويل طوله اكثر من ذراع حتى يبلغ اطوله مترين ونصف وهو مستقيم حديد كما يرى فى الصور القديمة لابى قرن، وهو الذى كان يستعمل كأوان. وتعلمنا المصادر التأريخية ان هذا القرن البحرى المشابه لقرن الحيوان الخرافى وجد فى اسواق الشرق الاسلامى وكان معروفا فى الغرب حوالى سنة ١٢٠٠، وقيل ان هارون الرشيد بعث بقرن من هذا الجنس الى شارلمان سنة ٨٠٧، وادعى بعضهم ان القرن الطويل الذى كان محفوظاً فى خزينة الملوك الفرنسية فى كثيدرائية سان دنيس St. Denis ونقل بعد ذلك الى متحف كلونى Cluny فى باريس هو القرن التأريخى



نسيج مصنوع من الصوف؛ موطنه بازل، حوالى سنة ١٤٨٠. نشكر ادارة المتحف التأريخى فى مدينة بازل لانعامها علينا بتصوير هذا النسيج.

المنسوب الى الخليفة العباسى . . وارسل سلطان عثمانى فى اواخر القرن السادس عشر بائنى عشر قرنا من قرون الحوت ذى القرن الى الامبراطور الاسپانى فيليب الثانى، وقد عثرنا فى خزائن كثيدراثية القديس ماركو فى البندقية على احد هذه القرون البحرية وهو مزين بالفضة منحوتة عليه كتابة عربية بخط النسخ، تأريخها ١٤٨٨، ويثبت ذلك انه جاء فى ذلك الزمان قسم من هذه المادة المرغوب فيها من الشرق الاسلامى. ونجد مثله فى خزائن الملوك فى انكلترا (منذ سنة ١٣٠٣) والنمسا، وربما كان يحفظ فى شكله الاصلى الذى يشبه الشمعة العظيمة، او استعمل غمدا لسيف الامبراطور النمساوى او قضيبا له، او عصا للاسقف الكبير، حتى ان ملك الدانمارك قد جعل من هذه القرون سريرا له فى سنة ١٦٦٢. ولقيمته البالغة بيع القرن التام بأثمان هائلة فمثلا بيع فى عام ١٦٤١ فى لندن باربعين الف جنيه . . .

هذا وفى الجملة كان الكركدن فى الادب العربى مثالا للقوة والافتراس والقدرة والوحشة وجعل لقرنه قوة سحرية مقبولة عند اهل الشرق والغرب، وعلى ما قال الدميرى فى «تعبيره فى المنام، فانه ملك عظيم جائر وقيل ان رؤيته تدل على الحرب والمخادعة مع حقارته وعجمته ودناءة اصله وربما كان مسلطا بماله وولده . . .»

اما فى الاداب الغربية والتقاليد الغربية التى نشأت فى الزمن نفسه فقد اعتبر الحيوان ذو القرن الواحد مثالا عليا للقوة الالهية، ونادرا ما نصادفه كمثال الشدة. عندما قرأ اباء الكنيسة المسيحية اخبار الكركدن كما جاءت فى التوراة والزبور أولوا القرن الواحد لهذا الحيوان الذى ذكره ايضا الحكماء اليونان رمزا جميلا لوحدة الله وقوته الواحدة. ونرى فى بساط منسوج حوالى سنة ١٤٨٠ فى سويسرا كركدنا مكتوبا على لوائه «خلق الله كل شى»، واعتبروا قرن هذا الحيوان الاسطورى ايضا مثالا لوحدة الدين، او رمزا للانبياء والاصفياء الذين كانوا آمنوا فى وحدة الخالق؛ فصار مثال العصمة وكل ما هو صاف ومعصوم واصبح ايضا رمزا لعيسى المسيح.

ولكن هل توجد فى رسائل العلماء المسلمين ايضا آثار لهذا التقليد، هل تذكر وجود حيوانات ذوات قرن واحد غير



لوحة على هيكل كاثيدرائية مدينة ارفورت، وهو اول تصوير للصيد المقدس، ترى فيه مريم البتول فى الحديقة المقفولة حيث يقدم نحوها وحيد القرن، ايماء لعيسى المسيح، الذى يطارده جبرائيل (حوالى سنة ١٤٢٠). ومن ولاية تورنجيا انتشر هذا «الموتيف» الى سائر بلدان الغرب وكثيرا ما نعثر عليه فى فنون الكنسية الغربية فيما بعد. وفى مدينة ارفورت وحدها توجد اربع لوحات تصور الصيد المقدس.

نشكر ادارة الكاثيدرائية بمدينة ارفورت لانعامها علينا بهذا التصوير.

الكركدن المتوحش الهائل؟ قد مضى ذكر «شادهوار» الخرافى، وذكر الدميرى «المعراج» وهو فى الاصل عند القزوينى «المعجراج» وهو «دابة عظيمة عجيبة مثل الارنب صفراء اللون على رأسها قرن واحد اسود لم يرها شئ من السباع والدواب الا هرب». ولاشك ان وصف هذا الحيوان مأخوذ من التقاليد اليونانية للحمار الهندى كما وصفه ايليان Aelian اليونانى «وهو اصفر، سريع العدو، اسود القرن» — اذا هو معجراجنا !



صورة ذى القرن الوحيد على غطاء جرة صغيرة مصنوعة من سن الحوت المقرن يرى فيه وحيد القرن عند تصفيته للماء. وكانت هذه الجرة محفوظة فى متحف قصر جوتا Gotha فى اقليم تورينجيا الى ان غابت اثناء الحرب العالمية الثانية. نشكر مديرة المتحف المذكور لانعامها علينا بتصوير قديم لهذا الغطاء.

والحيوان الاعجب فى عائله ذوى القرون هو ما سموه «الحريش» (لا الحريش المعلوم اليوم! وفى عجائب المخلوقات يوجد «الجربس»)، وقال فيه الدميرى استنادا الى ابى حيان التوحيدى :

«الحريش نوع من الحيات ارقط كذا قاله الجوهرى
وقال بعد هذا الحريش دابة لها مخالب كمخالب الاسد ولها قرن واحد فى هامتها ويسميها الناس الكركدن
وقال ابو حيان التوحيدى هى دابة صغيرة فى جرم الجدى ساكنة جدا غير ان لها من قوة الجسم وسرعة الحركة ما يعجز القناص ولها فى وسط رأسها قرن واحد مصمت مستقيم تناطح به جميع الحيوان فلا يغلبها شئ ويحتال لصيدها بأن تتعرض لها فتاة عذراء او صبية فاذا رأتها وثبت الى حجرها كأنها تريد الرضاع وهذه محبة فيها طبيعية ثابتة فاذا هى صارت فى حجر الفتاة ارضعتها من ثديها على غير حضور اللبن فيها حتى تصير كالنشوان من الخمر فيأتيها القناص على تلك الحالة فيشدها وثاقها على سكون منها بهذه الحيلة
وقال القزوينى فى الاشكال : الحريش حيوان فى حجم الجدى ذو عدو شديد وعلى رأسه قرن واحد كقرن الكركدن واكثر عدوه على رجليه لا يلحقه شئ فى عدوه ويوجد فى غياض بلغار وسيجستان»

وقال صاحب «منافع الحيوان» انه يصطاد لا بفتاة باكرة بل بوساطة فاحشة والله اعلم.

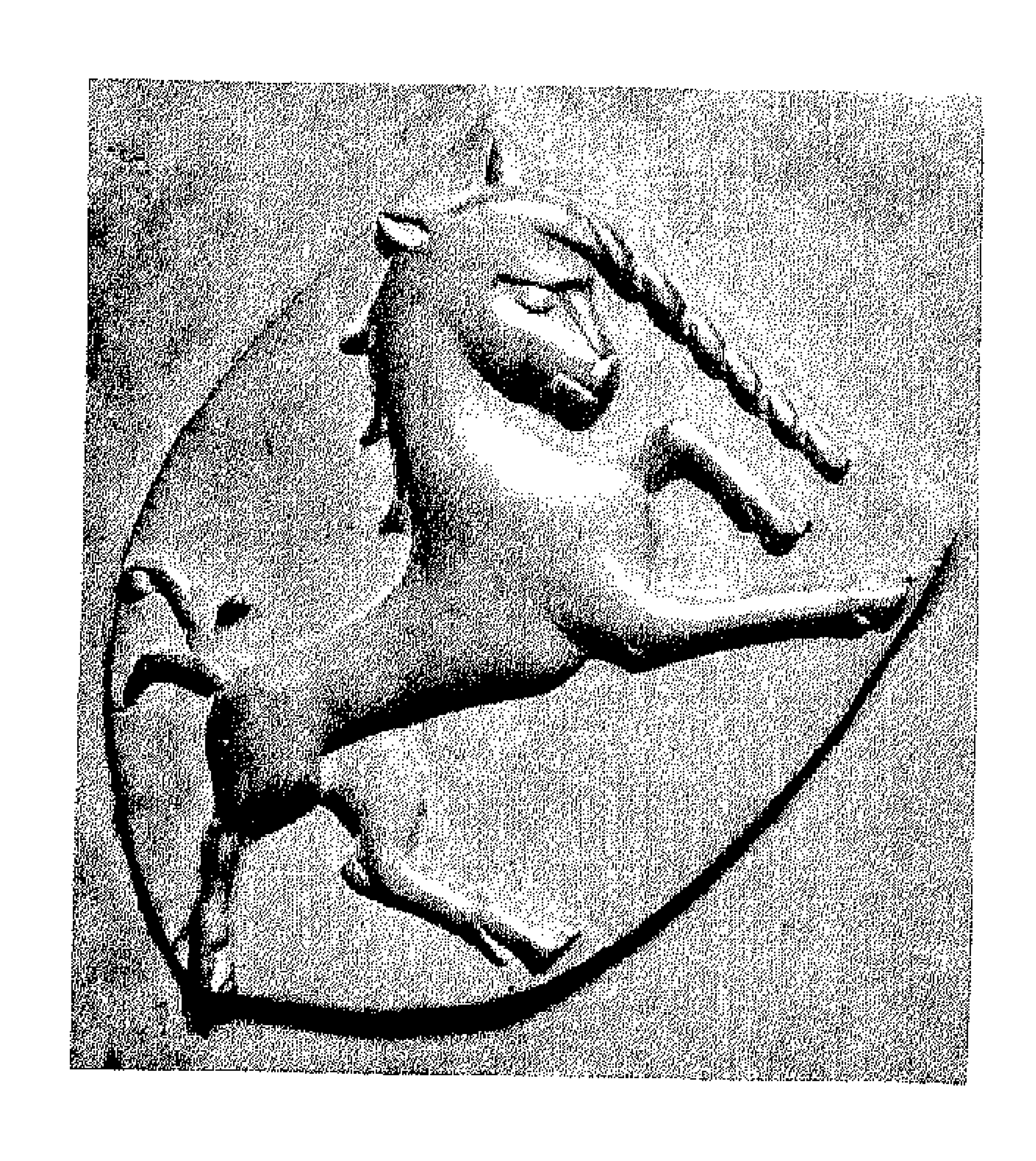
اما قول التوحيدى فهو مأخوذ كلمة بكلمة عن الكتاب المشهور المعروف بفسيسيولوجوس Physiologus الذى صنف حوالى سنة ٣٧٠م ويحتوى على معلومات كثيرة

قطعة من القرن الشهير «لوحيد القرن» فى كاتيدرائية القديس مرقس، وهو من الحوت المقرن اهداها جواهرى تركى الى امير البندقية سنة ١٤٨٨، وتوجد على غلافه الفضى بعض الكتابات العربية.



حيوان «الحريش» (او «الجربس»)
تصيده عذراء.
عن كتاب منافع الحيوان الذى دون بمراغة، ايران، حوالى سنة ١٢٩٧
نشكر ادارة مكتبة بيربونت مورجان لاصراحها لنا بنشر هذه الصورة.

عن الحيوانات وخصوصياتها ومعناها. ومن المحتمل ان حكاية «الحريش» الذى لا يصطاده الافتاة قد نقلت من الادب الهندى الى الغرب لانه يوجد هناك فى الروايات القديمة اسطورة شاب مولود من رجل وغزال له قرن واحد على جبينه، ولم يقدر عليه احد غير بنت الملك وهى فتاة جميلة عفيفة وفقت الى أخذه معها حتى أتت به الى قصر الملك. فيحكى كتاب «فيسيولوجوس» حكاية «الحريش» وصيده كما حكاها ابو حيان التوحيدى بعد ذلك بستة قرون، الا ان الكتاب القديم اليونانى يعبر عن المعنى السرى لهذا الحيوان الخجول بأنه يدل على عيسى روح الله الذى ود ان يسكن فى حجر البتول مريم الطاهرة. ومن هنا تبتدئ التقاليد المسيحية، وقد اتخذ اباء الكنيسة هذا المثال وصار من اشهر الرموز فى تأريخ الصنعة المسيحية فى اثناء القرون الوسطى.
وكانت حكاية صيد الحيوان المقرن بواسطة عذراء طاهرة عفيفة موضوعاً مشهورا فى الاداب والفنون الغربية منذ القرن الثانى عشر، حتى احبه الرسامون والنحاتون وشبه بعض شعراء الغرام انفسهم بهذا الحيوان الخرافى لانه جذبته ايضا طهارة معشوقته وصار كالمدهوش فى حضورها، فان وحيد القرن كمثل الشاعر الحر المتوحش الذى لا يقمع الا بقدرة العشق الذى لا فرار منه. ويمثل وحيد القرن فى هذه الحكايات والاشعار الحب العذرى الذى كان جاريا فى الاندلس وفرنسا. وإن ادعى بعضهم ان جمال العذراء يجذب الحيوان المتوحش فقد قال اخرون ان وحيد القرن يشم طيب البنت ويمكن لذلك صيده ايضا بواسطة شاب يرتدى أثواب البنات وتفوح منه رائحة عطرهن. ومن اول هذه الحكاية من اللاهوتيين قال انه رمز الروح أسكره عطر اليقين.
ولما كان هذا الحيوان الاصيل المصور غالبا فى شكل حصان ابيض جميل معروفا بالعفة والطهارة فان رسمه يوجد ايضا فى كثير من الدروع فى الغرب منذ القرن



شعار عائلة كنسبيك Knesebeck على صحن العماد فى كاثيدرائية راتسه بورج فى شمالى المانيا (حوالى سنة ١٤٤٠). وتزين صورة وحيد القرن لدى الكثير من العائلات الالمانية والنمساوية والسويسرية وكذلك الايطالية شعار الأسرة رمزا لعفة رب العائلة وجسارته.
تصوير : فوتو ماربورج Foto Marburg.



المعجراج ، من مخطوطة عجائب المخلوقات القزوينى التى دونت فى غربى تركستان فى اواخر القرن الرابع عشر. نشكر ادارة المتحف الاسلامى فى برلين لتصريحها لنا بنشر هذه اللوحة.

الثالث عشر ؛ ويعبر هذا الشعار عن عفة حامله وبطولته لان وحيد القرن لايسلم لاحد بل يرجح الموت على القيد. واشهر مثل لتلك الدروع هو شعار انكلترا الذى كان فى الاصل شعارا لاسكوتلندا فقط حيث رسم وحيد القرن والاسد معا. اما فى الاصل فالاسد ووحيد القرن عدوان منذ قديم الزمان، ويوجد كثير من الرسوم والحكايات الشعبية التى تعالج الصراع بين هذين الحيوانين، مابين قطعتين ايطاليتين منسوجتين محفوظتين فى جزيرة آيسولا بلا، وشعر انكليزى للاطفال. وقد عثرنا هناك على رمز قديم للشمس والقمر لأن الاسد هو حيوان الشمس فى بابل وغيرها، ووحيد القرن الابيض السريع الفرار منسوب الى القمر وبالخاصة الى الهلال كما كان الرئم فى قديم الزمان، ولذلك يصبح رمز الآلهة القديمة مثلا ايزيس المصرية وعشتر البابلية اللتين هما مثال العفة والعشق، وصار بعد ذلك رمزا لمريم البتول. وفى السيميا كان وحيد القرن الابيض رمزا لزاووق وهو سريع التحول غير ثابت. ولاشك ان تمثيل الاسد ووحيد القرن فى رسم واحد يمثل التوافق العالمى،

الصلح بين الليل والنهار، بين الشمس والقمر. والمثال الابدع لذلك يوجد على المنسوجات الجميلة الستة المحفوظة الآن فى متحف كلونى فى باريس والمعمولة فى اواخر القرن الخامس عشر. وهناك وحيد القرن الظريف الذى يحمل لواءا عليه ثلاثة اهلة. ووصف هذه الانسجة شاعرنا الالمانى ريلكه فى حكاية له وصارت لذلك اشهر تمثيل لوحيد القرن، ولاشك انها من احسن واظرف ما نسجته يد انسان. وقد الف فيها كثير من المؤلفين رسائل يريدون بها فهم المعنى السرى لهذه الرسوم المنسوجة. وقال بعضهم انها نسجت لاجل الامير جم ولد السلطان العثمانى محمد الفاتح الذى سجن فى فرنسا فى اواخر القرن الخامس عشر، ولكننا نفتقر الى البرهان على ذلك. وتوجد سبع قطع منسوجة اخرى معمولة فى عين الزمن (وهى الآن فى متحف نيويورك) تظهر بابهى الالوان صيد وحيد القرن. واصبح حيواننا هذا اللطيف مثال العفة على الاطلاق حتى اننا نجده فى كثير من الرسوم المزينة «لكتاب الاظفار» (trionfi) للمؤلف الايطالى برارك، وفيها يجر وحيد القرن



شاذهوار، من مخطوطة لعجائب المخلوقات للقزويني، القرن السادس عشر. (جامعة برنستون). نشكر البروفسور الدكتور ايتنجهاوزن لانعامه علينا بهذا التصوير.

او اربعة او ستة من هذه الحيوانات عربة العفة حينا، او ان بتولا او شابا طاهر الروح والبدن يركبه حينا اخر.

ولا عجب ان هذا الموضوع القديم — اعني صيد ذي القرن بواسطة عذراء — أخذ مثالا لمريم البتول وابنها الوحيد الذي ارسله الله اليها بطريقة عجيبة سرية. ونجد هذه الفكرة في الفن لاول مرة في الربع الاول من القرن الرابع عشر في المانيا. ثم انتشرت في عالم الغرب كله دون انكلترا، ونرى ما يقال «الصيد المقدس» في رسوم على جدران الكنائس وعلى منافذها وعلى رسوم الهياكل وعلى الأواني المستعملة في الكنيسة، وعلى القطع المطرزة وعلى النواقيس. . ويمثل اكثرها مريم البتول جالسة في بستان مزهر وهو البستان المقفول الذي وصفه شعر الاشعار في التوراة، وامام باب الحديقة يبدو جبرائيل في زي الصياد.

ومع ان وحيد القرن حيوان خرافي الا أن كثيرا من السائحين ادعوا انهم رأوه في بلدان الشرق سواء في بلاد الحبش ام في سمرقند ام في تركيا في بستان السراي ام في هندستان حيث قابله على ما قالت الاساطير جنكز خان لما اراد فتح المملكة وقد دافع وحيد القرن عنها ورجع الخاقان الى وطنه. وكتب سائح انه شاهد وحيد القرن على جبل الطور في ٢٠ ايلول ١٤٨٣، وادعى غيره انه يوجد حيوانان ذوا قرن واحد في حرم مكة . . .

واسم هذا الحيوان مقرون بالشرق، واجتمعت فيه اوصاف الكركدن الحقيقي والحيوانات الاسطورية القديمة؛ وصار هو الحيوان المخصوص بالملوك سواء في الصين ام في جنوبي افريقا. ولكن بعد القرن السابع عشر في عهد الانفتاح والسياحات العلمية والاكتشافات العلمية الطبيعية غابت التخيلات المشار اليها واحدة بعد الأخرى. ولم يعد احد يعتقد بالقوة الترياقية للقرن المشهور ولم يعد الرمز الشفاف يستعمل لوصف المسيح وأمه العذراء، ولم يعد حيا الا في احلام بعض الشعراء والرسامين كبوكلين Böcklin مثلا.

ولكن ما يثير الحيرة اننا في ايامنا هذه نرى اهتماما جديدا بهذا الحيوان الذي هو الطف وابهى ماتخيل الانسان من المخلوقات الخرافية. نراه يتمشى في تخيلات وقصائد الشعراء وفي القصص وفي المسرحيات، والف فيه بعض العلماء،



هاون من مال كاسبار شباره Caspar Sparre صاحب الصيدلية المسماة «وحيد القرن» فى مدينة فرانكفورت (سنة ١٦٥٧). نشكر ادارة متحف تاريخ مدينة فرانكفورت Stadtgeschichtliches Museum لتصريحها بنشر هذا التصوير.

مثلا اودل شبهارد Shepard الانكليزى كتبا جذابة، والهم وصف ريلكه لقطع النسيج المذكورة فى متحف كلونى كثيرا من الفنانين حتى ان كوكتو Cocteau صنف باليه فى «العذراء ووحيد القرن». واصبح هذا الحيوان غير الموجود فى عالم العناصر، المولود من احلام الانسان البراقة، رمزا للقوة الخلاقة للخيال والتمنى والشوق كما وصفه ريلكه فى شعره قائلا:

Sie nährten es mit keinem Korn,
nur immer mit der Möglichkeit, es sei ...

ما أطعموه بحبة من الغلال بل اطعموه بامكان وجوده . . . وشبهته شاعرة المانية بالسرور والبهجة لانهما كادا ان يغيبا من هذا العالم المملوء بالآلام . . . كما قال احد الفلاسفة الصينيين ان وحيد القرن لا يظهر الا فى حضور العارف الكامل — واين العارفون الكاملون فى عصرنا هذا؟



كأس مصنوع من «قرن وحيد القرن» اى سن الحوت المقرن، مزين بتصاوير وحيد القرن، حوالى سنة ١٦٦٠. كان محفوظا فى خزانة قصر الامير الكبير لولاية هاسيا الى ان أتلف فى اثناء الحرب لما احرق القصر فى مدينة دارمشتاد سنة ١٩٤٤. نشكر ادارة متحف Hessisches Landesmuseum فى دارمشتاد التى انعمت علينا بتصوير قديم لهذا الكأس المفقود. وكان هذا النوع من الكؤوس مشهوراً فى اوروبا لان الناس كانوا يظنون انلا اثر فيه للسم. وقدانشد احد الشعراء الالمان فى القرن السابع عشر واصفا شربه من كاس مثله فى ليلة الفرح والسرور:

Noch indenk jener Nacht, / da wir in lauter Wonne fast versunken, / die Blum des besten Weins / aus Gold und Einhorn trunken.

HILDE DOMIN · EINHORN

Die Freude
dieses bescheidenste Tier
dies sanfte Einhorn
so leise

man hört es nicht
wenn es kommt, wenn es geht
mein Haustier
Freude

wenn es Durst hat
leckt es die Tränen
von den Träumen

البهجة نفسها
هذا الحيوان الحشيم
هذا الكركدن الناعم
ساكن هادئ

لا يكاد يسمع
فى مجيئه وفى ذهابه
يا حيوانى الداجن
يا بهجتى

واذا عطش
لعق الدموع
من الاحلام

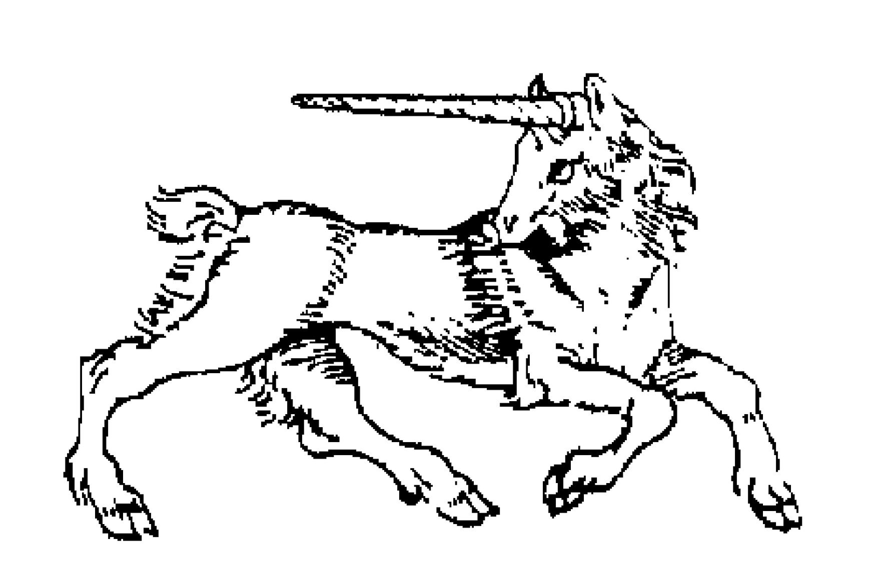
ECKART KLESSMANN · EINHORNJAGD

Auf Merlins verwehten Pfaden,
Durch Gehölz und Rosenhecken,
Trabt gedämpft ein Hain von Lanzen,
Silberwimpeln, Goldstandarten,
Kupferfarbenen Schabracken.
Helmbuschschnee bestäubt die Zweige,
Windspielmeute wittert Spuren,
Hechelzunge leckt die Hufe
Pfirsichzarter sanfter Zelter.
Laubgelächter zittert gläsern
Nach dem Widerhall der Schritte.
Zärtlich klirren die Geschirre.
Bannerträger, Waffenspanner,
Pagen, Falkner, Bogenschützen
Spähn umgaukelt nach der Beute:
Tiefer züngeln die Standarten
Lichtumblitzt in die Gehölze.
Schweigen dunkelt zwischen Stämmen,
Angefacht vom Hörnerblasen
Sind entzündet alle Rosen.
Purpurflecken narrt die Meute,
Sanft hat sich das Wild entzogen
Und sein schmales Horn bläst monden
Durch die Verse, die man webte:
Maschennetz der Zauberspiele,
Drin die Jäger sich verfingen,
Eh sie sich im Wald verirrten.

Aus: Einhornjagd. Gedichte. Deutsche Verlagsanstalt, Stuttgart 1963.

توفيق صائغ :

بضع اسئلة لأطرحها الى الكركدن



في فجرنـا الاولى   في موكب التسمية ،
والجحافـلُ تسرى   امام المنصة ،
وكل حيـوان   كالمستعرضين   زوجان ،
تقـدمتَ المـوكب   منْ غير قرين ،
والكل مكتمل مكتف   يمشونَ بخطوٍ موحدٍ
قدتهم وحيـدا   كالقرن فى وسط رأسك ،
مهرولاً قلق الخطى   تفتش بالعينين ، بالنشيق ،
على المتعذرة الوجود حتى   فى جنة العلاء.
فى الفجر الكبير   فى الموكب الشامل
وحدك والاله الوحيدان.

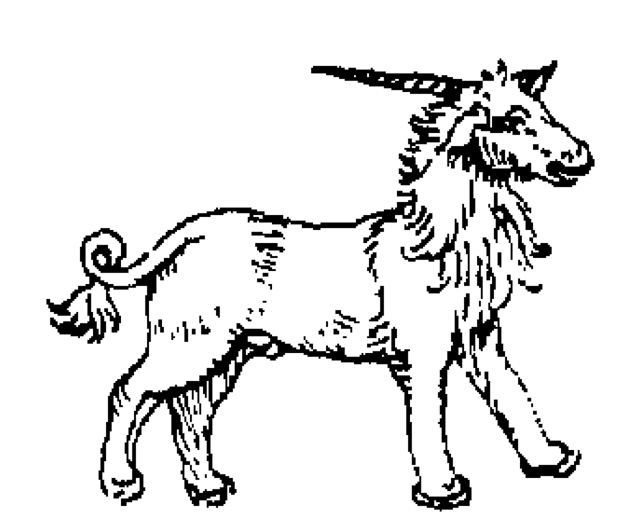
ابداً يطاردونك.
وحوش الغاب ليست   اشد عليك من   القانصين الرشاق.
يطاردونك، وتطاردها، معا
ليحملوا الموت لك   لتحمل لها المحبة و العبادة   لتحمل الموت لك.
ورجلاك لا تتعبان   وانفك لا يكل.
والطرادان لا ينتهيان   الا بانتهائك:
واحدة نهايتا هما   فيها انتهاؤك.

صورة ذى القرن البرى وذى القرن البحرى. عن كتاب نشر فى فرانكفورت سنة ١٥٤٦.

حيا تك وتيرة واحدة:
ماكان حتى النهاية   منذ البدء كان   قبل البدء كان.
وُلدت قويا متكاملا   سوياً نابت الاسنان والقرن   شديد الحوافر،
وخطفت   ممزقا الرحم
ناشداً الرحم الذى   لن تمزق.
اشهرك فى الرحم   اشهر حجزٍ مقته   قوضت بنيانهُ
مرة ومرة   تستهل سعيك
وأرجعت اليه   لتكمل الفترة التى حكمت.
بلا اخ بلا اخت   بلا حليل او خليل.
يدُ امك امتدت اليك
لالتطعم فاك   لتشبع من لحمك الغض فاها.



ولما اقتربت اليها   وبشرت قدميك بالراحة
ورأسك بالوسادة   وانفك بعبير لا يتبخر،
أ زاد فى بشرك بشرها
أ أنستك سنى ومتاعب السعى لها   سنو ومتاعبُ انتظارها لك،

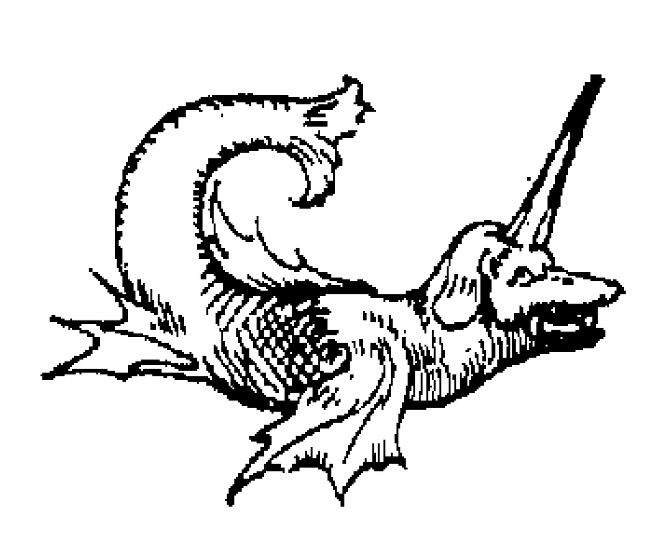


Bei unserem frühesten Frührot
    beim Festzug der Benennung,
Als die riesigen Scharen   vor den Hochsitz zogen,
Alle Tiere   wie paradierend   in Paaren:
Da gingst du dem Zuge voraus,   ohne Gefährten.
Vervollkommnet alle, zufrieden,   zogen im gleichen Schritt;
Du führtest sie, einsam   wie das Horn mitten auf deinem Haupt;
Eilend, erregten Schrittes   suchend mit Augen und Nüstern
nach IHR, die schwer ist zu finden, und sei's selbst   im Paradies.
In dem großen Frührot   im umfassenden Festzug
Allein du und der Gott nur: beide alleine. . . .

Immer verfolgen sie dich.
Nicht sind die Tiere des Waldes   bedrängender als die Jäger, die Schützen.
Sie stellen dir nach und du: stellst IHR nach,
Daß sie dir den Tod bringen,
    daß du IHR Liebe bringst und Anbetung,
        daß SIE dir den Tod bringt.
Deine Füße ermüden nicht,   deine Nüstern ermatten nicht.
Beides Verfolgen endet erst   mit deinem Ende,
Eines ist beider Ziel,   in beiden: dein Ende.

صورة ذى القرن البرى وذى القرن
البحرى. عن كتاب نشر فى
فرانكفورت سنة ١٥٤٦.

Dein Leben war immer gleich:
Wie es war bis zum Ende,
    wie es war im Anfang,
        wie es war vor Anbeginn.
Du wurdest geboren stark und vollkommen,
    gleichmäßig treibend Zähne und Horn,   mit starken Hufen;
Und du zerrissest raubend den Schoß —
    suchend den Schoß, der nie   aufreißen wird.
Deine Monate im Mutterschoß,   Monde einer Verschlossenheit, die du
    haßtest, deren Bau du zerstörtest
Mal um Mal, deinen Lauf zu beginnen,
Und wurdest wieder hineingeführt, auf daß
    die verordnete Frist sich vollende.
Ohne Bruder noch Schwester, ohne Gattin noch Freund.
Die Hand deiner Mutter streckte sich aus nach dir
Nicht, deinen Mund zu füttern:
    nein, ihren Mund   zu ersätten an deinem zartfrischen Fleisch.



Und als du IHR nahtest und deinen Füßen Ruhe verhießest,
Deinem Haupt das Kissen und deinen Nüstern Duft, der nie sich verflüchtigt —
Mehrte da IHRE Freude die deine?
Die Jahre und Mühen IHRES Wartens auf dich: erkannten sie als
    vertraut dich, und die Jahre und Mühen deines Suchens nach IHR?

أأشعل اهتياجك ثم بللهْ
لدى ارتمائك على حضنها اعتناقها لك
الصيد فى اثرك وانت فى اثر عذرائك.
واصطدت عذرائك وما الذى اصطادته فيك؟
هل صد قت
ان هذا الابيض الصغير الظريف الهارع اليها
خلف قرن مديد عنيف حيوان خرافى تحقق؟
اما خيل اليها وقرنه كاد يخرقها
ان الاله الخرافى تحقق وانه الآن انتقاها
وانتقى (يا للازعر المحبب)
قالباً له ابهى مما انتقى ليظفر باتراب لها فى القديم،
من البجعة المضحكة المؤخرة او الثور الغليظ مهما تلاطف
او مزوخ اللجين المشع المخيف،
واين، تحزرت، سيعلو بها
واية كوارث او مدهشات ستلد
واية انات وآهات سيعر ف الليلة الاله الشبق
تلك التى لم تعرف مثلها مع رجل؟

Entflammte deine Erregung, löschte sie dann
IHRE Umarmung, als du niedersankest an IHRER Brust?
Die Jagd ist dir auf der Spur,
    und du auf der Spur deiner Jungfrau.
Du hast deine Jungfrau erjagt — und was hat SIE in dir erjagt?
Hat SIE daran geglaubt,
Daß dies Weiße, dies Kleine, dies Zarte, das zu ihr eilte,
Hinter einem langen und festen Horn   ein Fabeltier war, das Wahrheit
    geworden?

Hat SIE sich vorstellen können
    während sein Horn SIE fast durchbohrte,
Daß der Fabel-Gott Wirklichkeit ward   und SIE jetzt erwählte?
Und er wählte (oh liebenswerter Zartbehaarter!)
Als Form für sich Prächtigeres denn je,
    zu siegen über Gefährten, die SIE im Altertum hatte,
Wie den letzthin erschienenen lachhaften Pelikan,
    oder den Stier, grob, wie zart er auch tat,
oder den furchtbar glänzenden Masoch aus Silber.
Und wo —   erriet SIE —   würde er SIE überkommen
Und welche entsetzlichen Monstren würde SIE dann gebären
Und welche Schreie und Seufzer würde des Nachts
    kennen lassen der lüsterne Gott
Jene, die solches niemals gekannt hat   vom Manne?



وحيد القرن فى الجنة، منسوج كلارا كروس، كارلسروهه. عرض فى معرض «الفنون الكنسية فى المانيا» (روما سنة ١٩٥٤–١٩٥٥)

بعد ركض السنين   ليلة ارتياح.
رميت برأسك فى حضنها   ولويت قرنك عنها بعيدا.
لاعبتك   ووقعت اصابعها على اوتارك
انغاماً تشوقت لها طويلا طويلا.
اخذت ثديها.   لسانك لم يرتو: الفطام احتضارك.
بادلتك دعابا بدعاب،   مبتدىء ومبتدئة،   غر وحاذقة.
سخسخت،   وافتدت اللحظات   مطاردة طراد العمر.

Nach jahrlangem Rennen   die Nacht der Entspannung.
Da legtest du dein Haupt an IHRE Brust
    und wendetest dein Horn weit ab von IHR.
SIE scherzte mit dir, und ließ IHRE Finger auf deinen Adern spielen
Weisen, nach denen du lange, lang dich gesehnt hast.
Du nahmst IHRE Brüste.   Deine Zunge wurde nicht feucht:
    Die Entwöhnung dein Tod.
SIE tauschte Scherz um Scherz mit dir aus,
    Anfänger und Anfängerin,   Unerfahrner und Kluge.
Du wurdest schwächer,   und die Blicke kauften los
    die Verfolgerin, jagend nach deinem Leben.



إمرأة وحشية مع وحيد القرن على بساط منسوج فى ستراسبورج حوالى سنة ١٥٠٠، صنع من الصوف والحرير وخيوط الذهب. المتحف التاريخى لمدينة بازل. نشكر ادارة المتحف لانعامها علينا بفوتوغراف هذا المنسوج.

ارتحت.   واضطربت.
المقبلات طيبة،   لاتشبع.

وارتيا حك يضنيها   ويضنيها اشد
احسا سها خلف ارتياحك   بما تخفض   من لا ارتياحك.
وقرنك   (ينطح الفيل   يعارك الليث)
اهزؤة، مسبة،   والوهتك تبعث التجديف   والارتداد وحسب

غريب عرسكما
في سجلات الارض والسما   ومواطن الجن.
حسبتك حرصت على العذرة   كشرقي متزمت
حباً بالدم   لايكتمل العرس بدونه.
احجمت على اسالة الدم،
ولن ترضى بعرس ناقص: عوضاً عن دماها دماك.

حيوان وامرأة: اله في خيالهما وإلهة.
فاحتضنت الجسد الذي   خالته لن يعرف ارتخاء،
وارتمى ساكنا على حضنها   يخاله لا جسد.
هفوة،   ثارت عليها،   قلبت الحب مقتا واحتقارا،

Du wurdest ruhig.   Und SIE ward erregt,
Die Küsse sind gut;   sie sättigen nicht.
Und deine Entspannung zehrt an IHR,   und es zehrt an IHR mehr noch
Die Nicht-Ruhe, die SIE verspürt, gedämpft, hinter deiner Entspannung.
Und dein Horn
  (das den Elefanten rammt,   das den Löwen bekämpft)
Es wird zum Gespött, wird zur Schmach,
  Und deine Göttlichkeit erregt Lästerung, Abtrünnigkeit, und sonst nichts.

Seltsam ist eure Vermählung
  in den Archiven des Himmels und der Erde,
  und den Wohnstätten der Geister!
SIE dachte, du begehrtest nach Jungfräulichkeit
  gleich einem ernsten Orientalen
Aus Liebe zum Blut,
  ohne das keine Hochzeit vollendet ist.
Du jedoch ließest, enthaltsam, dies Blut nicht fließen —
Nie aber wird dir unvollkommne Vermählung gemäß sein:
  Statt IHRES Blutes   gibst du dein Blut.

Ein Tier und ein Weib:
  ein Gott in beider Phantasie, und eine Göttin.
Und SIE schloß in den Arm diesen Körper,
  von dem SIE glaubte, er wisse nicht von Erschlaffung.
Und er neigte sich ruhig auf IHRE Brust,
  die er unkörperlich glaubte.
Ein Vergehen,
  gegen das SIE sich empörte,
  das Liebe wandelte in Haß und Verachtung.

هفوة، ابقت الحب حبا، تقبل لاجلها العاقبة.

ارتحت. واضطربت.
فهمت اضطرابها، لكنها لم تفهم ارتياحكَ
وقد احست هياج استعار حرصت
وقام لقرنك قرن صغير مواز
وعيناك تغميان ولها ثلَث يفضحك.
وكيف تفهم ان موتك الذى تنشدُ
لن يحققه الا تعففك،
ان تعففك موت آخر،
وانك اذ تنشد موتا،
فالسماء كريمة تمنحك الموت المزدوج؟

واخذت بقرنك بكلتا يديها بحزنٍ بحزن
واغمضت عينيك مرتاحا والبسمة ثابتة على شفتيك،
وزأرت كما لم تزأر الاسود التى اعترضتك فيما اخرت طراد كها.
وبعينين مغمضتين رأيت السهام المصوبة والخوذ
وكانت تتساقط قدماً امامك من تلقاء ذاتها.
ونظرتَ الى الحبيبة المخاتلة الى المخلصة القاتلة
الى الوسادة الوثيرة انزاحت عن فم جب بغير قرار.
اظننتها ستدافع عنك
ظننت السهام ستنكفىء عاجزة تحت قدميها
ظننتها ستمنحك حق اللجوء والحرم
غافلا عن انه يمنح من يدخل المعبد لا من يتزوى خارجه؟
طعنة اراد تك فاحجمت فكنت الطعين.
ولم تقاتل ولم تنتفض. بقبلة سلمتك وبدمعة،
ولم تسفك دم صيادٍ امام رحمها
وامام رحمها الحريز سفكت دماك.

لمن الطراد المستديم والجرى بلا توقف؟
لمن هجر الجنان من قبل ان تلفظه الجنان
والتنكر للراحة وعناق المخاطر؟
لمن الارتماء وهو القوى.
لمن الاحجام وهو العتى
لمن اللاقتال؟
لها؟ والفاجعة.
كل خطوة تقر به لهذى وتلك،
كل صائد مخفق كل فيل واسد
كل عابرة لسبيل لم يضأ لم يخطط
كل شبه عذراء ورجل بزى وعطر منتحل

Ein Vergehen,
das Liebe als Liebe bestehen ließ,
das IHRETwegen das Ende küßte.

Du warest beruhigt. Und SIE ward erregt.
Du verstandest IHRE Erregung,
doch SIE verstand nicht dein Ruhn.
Denn SIE verspürte das Aufflammen deiner Glut
Als ein kleines Horn, parallel deinem Horn, erwuchs,
Als deine Augen verschwammen und dein Durst dich verriet.
Wie soll SIE verstehen, daß deinen Tod, den du suchst
Nur deine Keuschheit verwirklichen kann?
Daß deine Keuschheit ein anderer Tod ist,
Und daß, wenn du e i n e n Tod wünschst,
der Himmel sehr gnädig ist: schenkend dir zweifachen Tod?

Und SIE ergriff dein Horn mit beiden Händen, trauernd, so trauernd,
Und du schlossest die Augen, befriedigt,
das Lächeln fest auf den Lippen.
Und SIE schrie, wie nicht die Löwen gebrüllt hatten, die sich dir
entgegengestellt, und nicht
zögerte SIE deine Verfolgung hinaus.
Und mit halbgeschlossenen Augen sahst du
die zielenden Pfeile, die Helme.
Einstmals waren sie ganz von selbst *vor* dir niedergefallen.
Und du blicktest auf zur trügerischen Geliebten,
der tötenden Erlöserin,
Zu dem weichen Kissen — entfernte SIE sich vom Brunnenrand ohne Ruhe,
Meintest du, SIE würde dich verteidigen?
Du meintest, die Pfeile würden fallen machtlos unter IHRE Füße,
Meintest, SIE würde dir das Asylrecht gewähren.
Dachtest nicht daran, daß man es dem nur gibt, der ins Heiligtum eintrat,
nicht dem, der draußen allein steht?
Als Stich, so wollte SIE dich, aber du hieltst dich zurück
und wardst der Durchbohrte.
Du kämpftest nicht, und erschauertest nicht.
Mit einem Kuß lieferte SIE dich aus, und mit einer Träne.
Du vergossest kein Jägerblut vor IHREM Schoß;
Vor IHREM behüteten Schoß vergoß man dein Blut.

Für wen das ständige Jagen, der Lauf ohne Stillstehn?
Für wen die Trennung von Gärten, bevor noch die Gärten ihn sahen?
Ablehnung der Ruhe, Umarmungen der Gefahren?
Für wen das Niedersinken, wo er doch der Starke ist?
Für wen dieses Sich-Enthalten, wo er doch der Kühne ist?
Für wen das Nicht-Kämpfen?
Für SIE?
Und für das Unheil.
Jeder Schritt bringt ihn näher
zu IHR, und zu jenem.
Jeder verfehlende Jäger, und Elefant, jeder Löwe,
Jede die ihres Weges geht, eines unerleuchteten, unmarkierten,
Jede Mädchengleiche, jeder Mann mit angemaßtem Kleid und Duft,

كل قردة لعوبة رقاصة
(كل ابياتي مهما اطلت فيها مطمطتها
شرعت ووقفت وابتدأت من جديد،
كل تساؤلاتي الحيرى وتكهنات تتصارع بالرؤوس والاكف)
شخوص مساعدة بمأساة عتيقة
لاتصد البطل: قدماً تدفعه
(بطلاً واعياً) للنهاية الدامية.

آه لاتهزأ، قارئ، لا تنتقده او تنتقدها:
مفجعة ومفجع، شهيد وشهيدة.
وارحم النذير المكرس، ألبست عيناه غمامتين،
لحصت حواسه، ختم جوازه بتأشيرة لبلد واحد
حكم فيه عليه ولافرار
فلم يشأ ان ينتظر في الليل قرعة وقيداً وصفير قطار.
وارحموها: طلب الموت فيها طلبت فيه الحياة
حياة لها تفجر فيها حياة؛
جادت عليه وضن
فمات قريراً وكانت شهقتها اعلى
عند موته من شهقته.

Jedes spielende tanzende Äffchen
(All meine Verse, wie ich sie auch dehne, sind ungenügend,
Ich fing an und hielt ein und begann von neuem;
All mein verwirrtes Befragen, meine Vermutungen stoßen sich mit den Köpfen, ringen die Hände)
Gestalten, helfend zu einer antiken Tragödie,
Die den Helden nicht hält: ihn gradeswegs treibt
(Als bewußten Helden) zum blutigen Ende.


Ach, spotte nicht, Leser,
tadle nicht ihn und nicht SIE!
Die Heimgesuchte und den Heimgesuchten,
Blutzeugen und Blutzeugin.
Sondern hab Mitleid mit dem gesegneten Weihopfer,
dessen Augen von Hüllen bedeckt sind.
Seine Sinne verengt, sein Paß beendet
mit dem Visum eines Landes
In dem er verurteilt ward, ohne Fluchtweg
Und er nicht abwarten wollte
Aushebung zur Nacht und Fessel und das Pfeifen des Zuges.
Habt Mitleid mit IHR:
Er suchte in IHR den Tod, SIE suchte in ihm das Leben,
Ein Leben für sich, in dem Leben sprudelte.
SIE gewährte ihm vorenthaltend
Und er starb beglückt.
Und IHR Schrei war lauter
Bei seinem Tod als sein Schrei.


مت. وعاشت.   واذ حملوك، مزغردين،
فريداً فى مماتك   كما فى حياتك،
عادت لقريتها،   ولا قيد ولا جناح   ولا حيوان ولا اله،
ارملة ثكلى   من غيرزوج او ولد.
حملوا قرنك للمليك   وارتمت على ادنى سرير.
والتموا حواليك   يختطفون الذخائر
تسهل على النسوة مخاضهن   تشدد فى رجالهن العصير.
بقروا بطنك،   بطنها انتفخ.
مت. وعاشت: فأبكيك. وأبكيها.

Du starbst.   SIE aber lebte.
Und als sie dich jubilierend forttrugen,
— Einsam in deinem Tode,   wie einst in deinem Leben —
kehrte SIE heim in IHR Dorf,
ohne Fessel und Flügel,   ohne Tier, ohne Gott,
Witwe, söhneberaubt,   ohne Gatten und Kind.
Sie trugen dein Horn zum Fürsten,
und SIE warf sich aufs nächste Bett.
Und sie scharten sich um dich,   die Schätze zu rauben:
Die erleichtern den Weibern die Wehen,
stärken den Männern die Kraft.
Sie spalteten deinen Leib.
IHR Leib schwoll.
Du starbst, und SIE lebte.
Ich beweine dich.   Und beweine SIE.

رجال الغابة وهم يطاردون وحيد القرن، فى صورة على نسيج موطنه اقليم بافاريا الشمالية (حوالى عام ١٤٥٠). نشكر ادارة المتحف الملى البافارى لتصريحها لنا بنشر هذا التصوير.







وحيد القرن ومدورته

مسرحية اذاعية

لاينغريد باخير

المدورة هى تعريب كلمة Carrousel الفرنسية، Karussel الالمانية، merry-go-round الانكليزية، atlı Karınca التركية، وهى مجموعة من الحيوانات والمقاعد مصفوفة على حافة مسرح مستدير يدور حول نفسه بطريقة آلية ويستخدم كلعبة للاطفال.

يسمع وحيد القرن وهو يمر عابرا. — تبدأ موسيقى المدورة بالعزف وكأن اقتراب وحيد القرن هو الذى اطلقها. انها موسيقى قديمة وخافتة ولكنها تنقطع فجأة.

الموسيقى: لقد قال الناى: دعوا وحيد القرن يقول شيئاً. فلا يلبث الطبل ان يصمت وقد جفل. تفضلوا: هذا هو وحيد القرن.

وحيد القرن: أنا وحيد القرن. وهذه هى مدورتى. لعلكم تعرفونها. انها تقع فى الحديقة الاسبانية، وهى لا تعمل الا ايام الاحاد، من اجل الاطفال. — ان عصر هذا اليوم عادى جداً. انه يوم الثلاثاء. لقد امطرت السماء قليلا واقبل الغسق، ومالبث حارس المنتزه ان مهد الطرق، وها هو يجلس الآن على مقعد ويغط فى النوم. هل تسمعون شخيره؟

لا اصوات تسمع.

ألا تسمعون شيئاً؟ — ان كل شيء على ما يرام بالنسبة له . . انه يعتقد بأن المدورة ملك المدينة وانها تبقى ساكنة الى ان يدير المحرك فى صباح يوم الاحد. ولكنه يخطيء فى ذلك. ألا ان جميع مدورات العالم تبدأ فى الدوران من تلقاء نفسها عندما يمر وحيد قرن مثلى عابراً إياها.

يسمع وحيد القرن وهو يسير بضع خطوات

هل تسمعون؟

موسيقى المدورة تبدأ من جديد

تفضلوا! — ان الموسيقى قديمة كما هو حال المدورة ذات الزحافات والعربات والاسود والزرافات والوعول . . . وخلف الزحافة تقف العنقاء التى يمكن فتحها من الجانب ومن الداخل زين الباب بالقطيفة الحمراء، والمقعد جعل كذلك من القطيفة الحمراء. ان الباب لايتسع الا للاطفال الصغار، اما الكبار فانهم يتسلقون المقعد بلا صعوبة.

الموسيقى تزداد قوة

لقد ركبت مدورتى بنفسى بحيث استطيع ان اسرد عليكم قصة كل من هياكلها بمفرده. ولكنها ليست قصصاً فى الحقيقة، بل انها مجرد لحظات كانت الحياة فيها صافية، غريبة، وربما كذلك سعيدة. وأما ما تبقى من هذه اللحظات فقد قمت بجمعه، فمن زرافة ووعل الى حصان وحصان، فأسد وعنقاء وفيل وفهد . . . . لقد جاءت جميع هذه الهياكل بطريق الاحلام الى العالم، وحين لم يعرف احد الى أين يمكن الذهاب بها أخذتها فى حوزتى. وهاهى الآن تدور، ثم تدور، وياترى كم مرة ستدور بعد — والى أين، الى أين؟ . . . زرافة ووعل، حصان وحصان، ثم اسد، وعنقاء وفيل و . . . فهد

هل تودون ان تسمعوا قصته؟ كيف واين وجدته؟

موسيقى المدورة التى كانت منخفضة وراء الحديث تنقطع

اذن هيا، الى بموسيقى لصديقى الفهد.

الموسيقى (مأخوذا، كأنه استيقظ الآن): ان الصنج لم يعد يفقد الحانا بعد الآن. كما ان الناى قدملت جمعها. لماذا يصمت صندوق الموسيقى؟

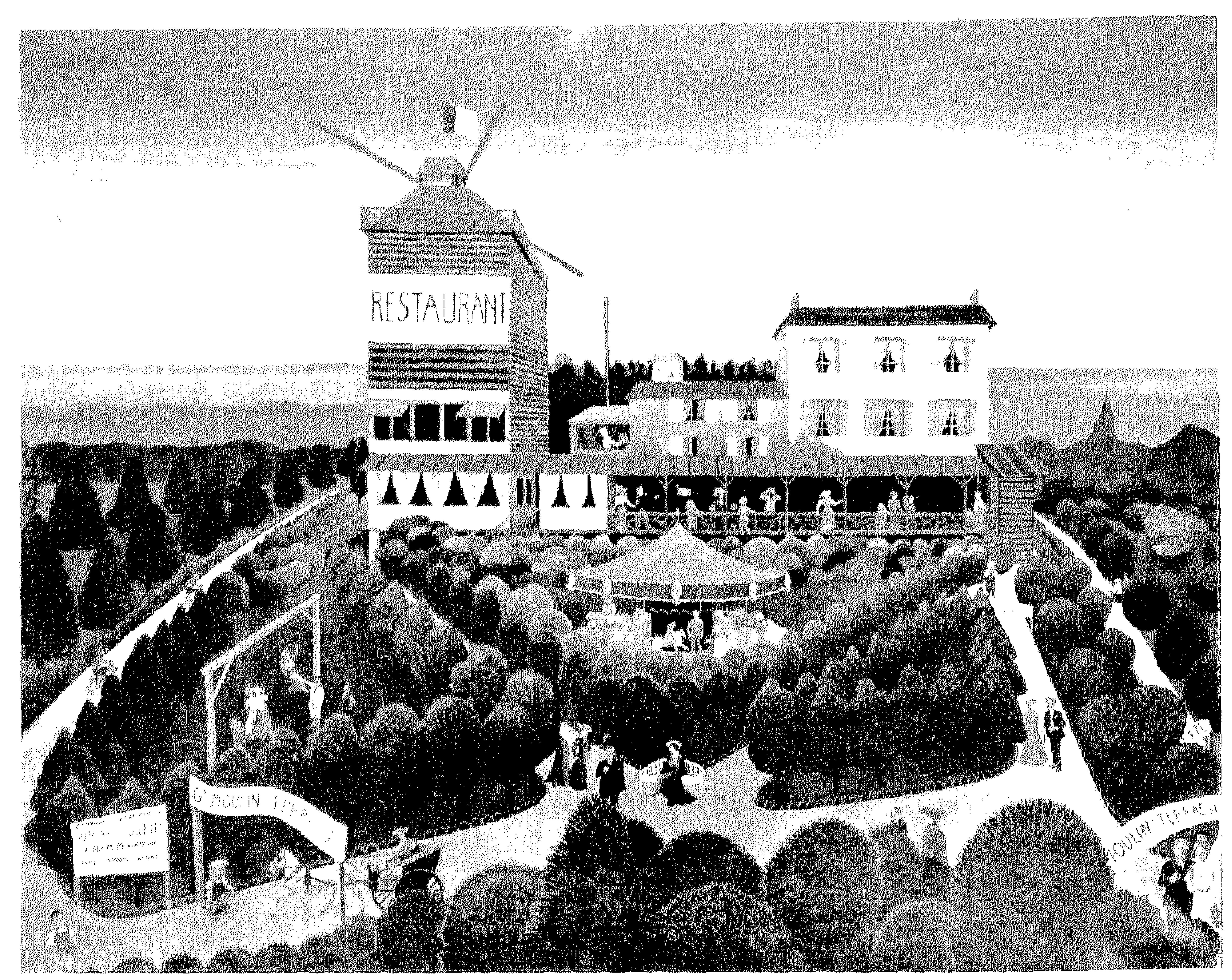
وحيد القرن: انى اود ان اسمع موسيقى أخرى.

الموسيقى: هل تود موسيقى الرسام الذى راح يرسم اشواك النيص شوكة شوكة الى ان وخز نفسه؟ — ام تريد سماع موسيقى الفتى الذى عندما كان يختلى بنفسه كان يستحيل الى زرافة، فكان يمد رقبته فوق البيوت لكى يرى ما كان يوجد خلفها.

وحيد القرن (بدون اكتراث): وهل كان يرى شيئاً؟

الموسيقى: بيوتاً وزرافات. — ام هل تفضل سماع موسيقى البستانى الذى استحال الى شجرة عندما نقصت حديقته شجرة واحدة؟

من باليه «العذراء ووحيد القرن» الفه الشاعر الفرنسى جان كوكتو Jean Cocteau والف موسيقاه جاق شايلى Jacques Chailley.
العذراء: جيزلا ديكه Gisela Deege، وحيد القرن: ورونيكا ملاكر Veronika Mlaker. تصوير: س انكلمان S. Enkelmann، مونيخ.



حديقة فيها مدورة. قطعة من لوحة للرسامة او برادى تمثل فيها مدورة فى بعض المنتزهات فى باريس.
أخذت عن كتاب Oto Bihalji-Merin, Das naive Bild der Welt دار نشر دومون – شاوبرج، كولونيا، ١٩٥٩. نشكر دار النشر لتصريحها لنا بنشر هذه اللوحة.

وحيد القرن: كلا، اعزف لنا شيئاً من موسيقى البحر ثم موسيقى الفهد. اذ أحب ان اسرد قصته وقصة جوديث الفتاة. اعزف لنا موسيقى سماء ايلول والشمس. ولكن أياك أن تأتى بأية حركة. اذ لم تكن هناك اية امواج فى اليوم الذى جاءت فيه جوديث الى الشاطىء. لم تكن وحيدة. بل كان معها صديقها وفتاة أخرى.
وكان اسم الفتاة نينا وكانت قبل ذلك صديقة لجوديث. أما الآن فقد اصبحت تهتم اكثر برفيق جوديث.

الموسيقى: والآن، اليك موسيقى البحر . . .

تبدأ الموسيقى بحذر

وحيد القرن: ولاتنس ايضا الشاطىء الخالى من البشر. اذ لم يكن سوى نسخة رملية من الماء، بكثبانه الصغيرة، وسكونه الخالى من الاحساس.

موسيقى ينبعث منها تدريجياً لحن الفهد

لقد جاءوا الى الشاطىء، الرفيقان ونينا. فقد ارادوا ان يقوموا بنزهة. وعندما لاحظوا السكون المحيط بهم، جلسوا وراحوا يراقبون الأفقين، وقد احاط احدهما بالبحر بينما حدد الاخر الارض. وبشبكة متداخلة من الاعشاب الرملية اندمجت الارض بالسماء. . . . و فى الافق البعيد مر فهد عابراً.

لحن يمثل الفهد، قد انفصل عن صرخة حادة اطلقها طائر نورس.
(يجب ان يشوب الحوار التالى طابع من الغموض بينما يهيمن على الاشخاص فجأة جو غريب، ورغم انهم لا يودون ذلك الا انهم لا يستطيعون مقاومة هذا الجو)

نينا: جوديث؟

جوديث: ماذا؟

نينا: أترغبين فى مزيد من الشاى؟

جوديث: شكراً.

الرجل: كان من الأفضل ألا نسيرحتى هذه البقعة البعيدة

نينا: ان بوسعنا ان نأكل هنا ثم نعود ادراجنا ثانية. — ألا تساعدنى على اخراج ما بالسلة يافرانتز؟

الرجل: هذا من شان النساء.

نينا: هل سمعت يا جوديث؟

جوديث: نعم، ولكن مهلاً. انظرا هناك، ان فهدا يمرعابراً الافق.

الرجل: نكتة سخيفة. لعله، «فهد بحرالشمال».

جوديث: عفوا، لم يكن قصدى اثارة غيظك.

الرجل: اذا كنت اشترك فى هذه النزهات، فأنى لاافعل ذلك إلا لأنكما ترغبان ذلك دوما. اما أنا فافضل البقاء على شاطيء الاستجام.

جوديث: انه لم يعد ظاهرا للعيان.

نينا: من تقصدين؟

جوديث: الفهد.

الرجل: ان جوديث تصبح غريبة الاطوار قليلا.

سكون.

جوديث: الا تعطيانى شيئا؟

نينا: بلى، خذى.

يسمع طقة كأس زجاجى.

الرجل: ها قد كسرت كأسنا الوحيد.

جوديث: ولكننا نستطيع الشرب من الزجاجة.

الرجل: كلا هذا لم يكن مقررا.

جوديث (بارتباك): هل تضمران شيئا ضدى؟

نينا (متأثرة): ماذا يمكن ان نضمر لك؟

الرجل: إنك اليوم فعلا لاتطاقين يا جوديث.

جوديث: مع ان فرحى كان عظيما لهذا اليوم.

الرجل: اننى متعب.

جوديث: متعب من محبتى؟

نينا: انك تطالبين دوما بخيال خصب كثير.

جوديث: ان فرانتز يحتاج الى الخيال لكى يحبنى.

الرجل: كنى هراء — اما كنا نريد ان نأكل!

سكون.

جوديث: هل تريد شيئا؟

الرجل: كلا.

نينا: وأنت ألا تأكلين شيئا؟

جوديث: كلا، اريد ان اذهب لاسبح.

الرجل: وانا؟

جوديث: ولكن نينا ستبقى معك.

وحيد القرن: وراحت جوديث تسبح فى عرض البحر بعيدا كأن بوسعها ان تفر من الارض اليابسة. أما الآخران فقد ظلا على الشاطيء. وطالما كانت جوديث باقية معهما، كان بوسعهما، ان يصداها سوية. ولكن جوديث ابتعدت الآن ولم يعد لديهما ما يقولانه. وراحت جوديث تسبح حتى بلغت الشاطيء الرملى. ثم نهضت واقفة هناك، فلم يصل الماء الى ابعد من ركبتها. . . . ومن هذه المسافة النائية راحت تراقب رفيقها اللذين بديا متناهيين فى الصغر والسكون فوق الشاطيء الخالى الواسع. وفى الافق مر الفهد عابرا.

جوديث (تصرخ): هيه! ذلك هو ثانية! هل تريانه؟ فرانتز، بالله استمع الى! لماذا لاتجيبانى؟ (تحدث نفسها) اننى بحاجة اليه، ولكنه لايحرك ساكنا. مع انه قال إنه يحبنى. كل شى ساكن. آن سبحت الآن فسيكون ذلك الحركة الوحيدة فى هذا السكون. (تصرخ) ولكنى مازلت موجودة فعلا. (لنفسها) انهما يتصرفان وكأنه لاوجود لى. مع اننى مازلت موجودة. أم لا؟ فاذا لم تريدا ان اكون موجودة، فلن تكونا موجودين ايضا! (تنادى) هيه! هيا أجيبانى. . .

الآن تسمع جوديث وهى تنادى عن بعد باصوات غير مفهومة. ولكن الاثنين المستلقيين على الشاطيء لا ينبهان للنداء.

نينا: جوديث تعود.

الرجل (يهمهم): هم.

نينا: لقد افسدت علّى نزهتى. انها تبدو اليوم غير طبيعية الى حد كبير.

الرجل: هم. كان من الافضل ان نذهب الى شاطيء الاستجام. (ينادى) ماذا، ايتها السمكة؟

جوديث (تقترب): لقد كنتما شديدى السكون.

نينا (بتثاقل): وكيف كان يجب أن نكون اذن؟

جوديث (دون تعليق على ذلك): ألا تجدان أن السكون يخيم بشكل غريب. حتى ولا نورس يبصق خلفه تفاؤلا بالخير. كل شى يغط فى نوم عميق.

الرجل: هيا اجلسى واهدئى اخيرا.

جوديث: انك تستطيع الكلام جيدا. كيف استطيع ان اهدأ اذا كنت تتركنى وحيدة فجأة، واذا كنت تصبح غريبا عنى دون اى سبب.

نينا: انك تمثلين دوما دور المعقدة. أما فرانتز ففى احسن حال، تماما كما هو الآن.

جوديث (بتأمل): هذا شيء لايحتمل. وانا افكر ان الامور اذ كانت كما هى الآن فالافضل ألا يكون هناك اى وجود.

الرجل (بدون اهتمام): ماذا تقولين؟

جوديث: كان الافضل لولم يكن موجودا على الاطلاق، لاالآن ولاهنا، ولا اطلاقا، حتى ولا فى الذاكرة، وان ابقى وحدى — مع الفهد.

لحن يمثل الفهد.

نينا (تصرخ): فرانتز! فرانتز! ما الذى حدث حتى يغط فى النوم فجأة؟

جوديث: كان لابد لى من الدفاع عن نفسى طبعا. إنه يجعلنى غريبة حتى عن نفسى. اما الفهد فقدجاء لينجدنى فقط.

نينا (بعنف): انت تعرفين انه مستحيل ان يوجد فهد هنا.

جوديث: ولكنه هناك، وسيجعلك انت ايضا ساكنة هادئة.

نينا (وقد خرجت عن طوارها): انك تشرين اشمئزازى. ولا استطيع ان افهم كيف كنا على صداقة فى يوم من الايام. بلى، لقد اصبحت منذ وقت طويل مثارا لاستيائنا. (تصرخ بعصبية) فرانتز! فرانتز! — هل أغمى عليه؟ ماذا فعلت به؟

جوديث (بصوت خافت): لن اتهاون فى شيء بعد اليوم. إذ ان الامور ليست كما كنت اعتقد. فكل شيء دنيء منحط. ولابد لذلك من نهاية! نهاية قاطعة!

لحن يمثل الفهد.

وحيد القرن: ثم استغرقت الصديقة كذلك فى نوم عميق. وراحت جوديث تراقب النائمين وهى مدهوشة منهوكة القوى ثم لمست فى تردد، والخوف يكاد يعتريها، وجه صديقها، وتحسست منابت شعره، ثم شعره. وجلست، وتركت يدها تغرقان فى الرمل. وكان الرمل لا يزال محتفظا بحرارة النهار، بينما اخذ الضوء فى الاضمحلال وبدأ يتلاشى امام المساء. — وشعرت جوديث بالرضى فى بادىء الأمر. ولكن كلما فات مزيد من الوقت على استلقائها فى هذا الوضع، كلما ازداد شعورها بانها نفسها لم تعد على قيد الحياة. وبدا كل شيء حولها وكأنه ميت. وراحت تصغى بامعان الى حركة البحر. بدا صوته وكأنه يود موجة بعد موجة ان يطرد الشاطىء الرملى بعيدا، لكى يأخذها والنائمين بين طياته بحيث لايتبقى شيء سوى السكون الذى أخذ بنمو وينتشر من الافق حتى السماء. واعترى جوديث خوف.

جوديث: بالله ارجوكما ان تستيقظا، اذ لم يكن قصدى هكذا! لقد كنت على خطأ. فسوء التفاهم لايكون مميتا بهذا الشكل. لقدكنت على خطأ! ارجوكما! كونا كما تريدان — فقط عودا الى الحياة! — لقد حل المساء. وكان يجب ان نعود الى البيت. ولن اقول بعد الآن ما لاترغبان فى سماعه. لقد كانت نزهة جميلة اليوم؛ وما زلنا اصدقاء وعلى خير وفاق. ألا تسمعان؟

وحيد القرن: ولم يسمعا شيئا. وعندها مضت جوديث وحدها عائدة فى الطريق بين الكثبان الرملية. ولم تلتفت جوديث الا مرة واحدة لتلقى بنظرها الى المخلوقين اللذين ظلا مضطجعين فى استسلام للنوم العميق. وعندما بلغت جوديث البيوت الاولى، قابلتها امرأة.

جوديث: الى اين انت ذاهبة؟

المرأة: الى الشاطىء.

جوديث: هل تستطيعين، رجاء، ان توقظى الشخصين النائمين هناك؟

المرأة: وماذا تريدين ان اقول لهما؟

جوديث: ان الوقت قد حان ليعودا الى البيت، وانني فى انتظارهما. ولكن اياك ان تلتقى بالفهد.

المرأة: فهد؟

جوديث: نعم، لم آخذه معى. إذ من الصعب الاحتفاظ به فى منزل فى المدينة.

تبتعد مع آخر جملة.
موسيقى المدورة.

وحيد القرن: واخترقت جوديث الشوارع المضاءة. لقد كان كل شيء على حاله. وشعرت بخيبة امل، ولكن كذلك بقليل من الارتياح. اما الفهد فقد أخذته لمدورتى. وعندما تتحرك هذه، يجرى الفهد معها دائرا، دائرا. ويقتنى بضاد واصرار اثره الخاص، فيستدرك على النهاية بالبداية.

تتعالى الموسيقى ثم تنقطع.

الموسيقى: دوما خمس دقائق موسيقى — ثم تدور وتدور، وبعدها استراحة. وبعدئذ يحتل المقاعد آخرون، وتجمع القروش. قرش واحد لكل مرة! هيا تفضلوا! زحافة بدون ثلج، وعنقاء لاتحترق، ودب لا يلتهم حلاوة.

وحيد القرن: ولكن هناك بقعة محترقة فى جلد الاسد.

الموسيقى: انها لاتظهر للعيان عندما تتحرك المدورة حول نفسها.



وحيد القرن وسط حديقة جميلة، وسادة منسوجة من الكتان والصوف فى شمالى المانيا فى اوائل القرن السادس عشر.
متحف ملدورف، Dithmarscher Landesmuseum, Meldorf.
مأخوذ عن فهرس معرض Folklig Konst i Tyg och Lera الذى قامت به ادارة الفنون الالمانية، كولونيا. تصوير: الدكتور سالشو.

وحيد القرن: كان من الضروري تحسين هذه البقعة. كنت اود ان افعل ذلك آنذاك، عندما حصلت عليه. ولكني نسيت الامر. لقد بدأت قصته في ذات امسية تركت فيها طفلة صغيرة لتنام وحدها في منزل مظلم. وكانت لها قطة صغيرة جاءت الى الممر وظلت واقفة امام شق باب الغرفة.

الطفلة: تعالي، انني لم أنم بعد.

وحيد القرن: ودفعت القطة الباب ودخلت الغرفة، ودخل معها بصيص من نور الممر. وكان على باب شرفة غرفة الاطفال ستار من الاشرطة المعدنية لم يسمح بدخول اكثر من خطوط رفيعة من الضوء.

من مسافة بعيدة يسمع قصف رعد وفرقعة عاصفة.

الطفلة: تعالي يا قطيطة. المفروض ان أنام، ولكني اود ان اتحدث معك. ان البيت كبير وكلانا وحيد فيه.

القطة تموء.

الطفلة: اتقصدين ان عاصفة ستهب؟ أرجو ان تظل بعيدة عنا. تعالي اقتربي. هيا اجلسي على اللحاف. اذ لايسمح لي ان آخذك تحت اللحاف. كلا، حتى ولوكنا وحدنا. وبالاضافة الى ذلك فاني استطيع هكذا ان اداعبك افضل. هل تحبين الامر هكذا؟ دعينا ننسى العاصفة.

القطة تموء.

الطفلة: الحق معك. فاننا نسمعها فعلا. لو كنت اكبر قليلا، لما اضطررت الى الشعور بالخوف. فالبيت شديد الفراغ رغم وجودنا نحن الاثنتين.

القطة تهر.

الطفلة: انهما لم يكونا سعيدين قط، مع انهما لم يكونا وحيدين .ومع ذلك فقد ذهبا سوية.

القطة تزداد هريرا.

الطفلة: هذا جميل، اما الافضل من ذلك لوانك تقولين شيئا. ولكن لابأس فالامر محتمل هكذا ايضا. انني اشعر وكأنني أود ان اعود الى البيت، مع انني في البيت فعلا. هل نشعل الضوء ام نغلق الباب لكيلا نرى نور البرق الخاطف؟ كنت اود ان استجمع شجاعتي وأقف على قدمي. ولكن لاجسارة لي. . .

صوت عاصفة

القطة تموء.

الطفلة: كان يجب ان اكون قطة، اذ لو تحقق ذلك لأنست الواحدة منا الى الاخرى. هل تسمعين؟ اريد الا اشعر بالخوف بعد الآن. لماذا لاتحمينني؟ ألأنك صغيرة هكذا؟ اذن فسأجعلك كبيرة. سأجعلك أسدا. أسدا كبيرا مكتمل النموّ.

الرعد يقصف فوق المنزل، يسمع زئير القطة وهويعلو ويرتفع ويزداد شبهاً بزئير الاسد.

الطفلة: اهدئ. ها انت تنمين. وسرعان ما ستصبحين أسدى. سأضع رأسي على مخلبيك، وعندما ترفع العاصفة ستار الباب، وعندما ينفتح الباب ويدخل الهول عابرا الممر، وعندها ستصبحين كبيرة وستدافعين عني. وستصفين جميع الامور في نصابها من اجلي. ألا ترين، انك تستحيلين رويدا الى اسد جميل ذي فروة صفراء بلون القمر. وستبقى البروق عالقة بعنقك ثم تستحيل الى جدائل طويلة. وقد اصبح لسانك الآن كبيرا بقدر حجمك عندما كنت قبل ذلك قطة صغيرة.

صوت زئير اسد.

الطفلة: آه، ما اجمل هذا، ما اجمل هذا.

صوت عاصفة ورعد.

الطفلة تصرخ بحدة

اصابة البرق في المنزل.

الطفلة (وهي تكاد تختنق منشدة الجزع): هل شبّ حريق؟

يسمع فرقعة نيران، وزئير اسد، ثم يحل السكون

الطفلة (منكمشة من الخوف): هل انقضى الامر؟

الاسد: نعم، لايمكن ان يحدث شيء بعد. وتستطيعين ان تفتحي عينيك من جديد. لقد اخمدت النيران والعاصفة آخذة في التلاشي.

الطفلة: هذا حسن. لقد ابتلعت البرق كلّه والنيران. هل كل شي على ما يرام؟

الاسد: هم.

الطفلة: انك لم تول اى اهتمام لنفسك — لقد تشوهت فروتك مع انها كانت جديدة جدا.

الاسد: هذا لايهم. ولكني لاحظت مدى قوتي.

الطفلة: انك من القوة بحيث تخشى نفسك، أليس كذلك؟

الاسد: بلى.

الطفلة: ستعتاد على وضعك الجديد كأسد.

الاسد: ولكني لا استطيع بعد الآن ان أجلس على ذراعك.

الطفلة: ولكن بدلا من ذلك فاني استطيع ان اختبئ عندك.

الاسد: لم يعد هذا ضروريا بعد الآن. فلن يعتريك مثل هذا

الخوف قط، لا فى الظلام ولاعند العواصف. فأنت تعلمين ان الانسان بمقدوره دوما ان يفعل شيئا.

الطفلة: لم اكن اعلم فعلا ان الانسان يستطيع بنفسه وبالآخرين ان يحقق سحرا. انني لن ابكي ليلا بعد الآن.

ضحك خافت.

الطفلة: لماذا تضحك ايها الاسد؟

وحيد القرن: ولكن الاسد غط فى نوم عميق. ولم يضحك الا فى المنام، لانه حلم بأنه كان قطة عادية صغيرة سوداء. وحاولت الطفلة قليلا ان تدفع الاسد جانبا لانه ملأ الفراش كله ولم يدع لها مكانا. ثم مالبثت الطفلة ان استغرقت فى النوم وكلها حذر وقلق من ان تنسى سرها الجديد فى النوم. وعند الصباح أخذت الاسد معى لاضمه الى مدورتى. ووضعته خلف الحصانين اللذين يحاول احدهما دوما وبدون جدوى ان يبلغ الثانى. أما الأسد فانه لايحاول ابداً ان يبلغ مايجرى امامه. بل انه يكتفى بالوقوف فى مكانه والنظر جانبا. ولعله يحصى مثلى عدد الدورات: كم مرة بعد، كم مرة، و الى اين، الى اين؟
زرافة ووعل، حصان وحصان، وأسد، وعنقاء، وفيل، وفهد، كلهم يدورون بلا نهاية.

موسيقى المدورة.

الموسيقى: هيا اعتلوا اماكنكم فى المدورة! وليختر كل منكم مايشاء! اين تودون الجلوس؟ اى حيوان تحبون؟

وحيد القرن: واى حيوان يختاركم؟

الموسيقى (وقد خفت لهجته الندائية): هل هناك من يود ان يسمع هذا اللحن بعد! هل تريد ان تسمع موسيقى السلحفاة، التى كانت واثقة انها تحمل السماء على ظهرها بحيث كانت لذلك السبب تسير دوما ببطء وحذر؟ ام هل تريد موسيقى الفلاح الشاب الذى كان يجر بحصان واحد عربة بستة احصنة، والذى، حين كان يعود بحصانه الوحيد الى الاسطبل، كنا نفك قيود الخيول الخمسة التى كانت من بنات الاحلام ونأخذها بعيدا؟

وحيد القرن: ليس الآن. ولكن اعزف لنا موسيقى الفيل!

الموسيقى: سأحاول ذلك.

موسيقى المدورة تنبعث خافتة من المؤخرة، ثم ينقطع، ثم يسمع وقع اقدام الفيل

كلا، اكثر حقيقة!

يسمع لحن موسيقى واضح يمثل الفيل

وحيد القرن: نعم، هذا هو فيلى. — وبالمناسبة، فانني لم آخذه فى حوزتى الا لأنه كان لا يزال فى مدورتى مكان فارغ واحد قط. وهناك كثير من امثاله كما ان قصته عادية تماما. — ان فيلى متقدم فى السن، كالرجل الذى اخذته منه وهو يقطن فى ضاحية مدينتنا .... لقد كان ذلك فى ذات امسية اضطجع فيها تعبا ناعسا الى جانب زوجته وقد استغرق فى نصف اغفاءة.

المرأة: بماذا تفكر؟

الرجل: افكر باننى متعب واننى احب ان انام.

المرأة: ولكنك تفكر بشئ آخر ايضا.

الرجل: ليس شيئا معيناً.

المرأة (بألم): انك لا تريد ان تفضى لى بالأمر.

الرجل (باسترخاء) وهل من سبب يجعلنى اخفى عليك الأمر؟

المرأة: انك تحلم.

الرجل: ممكن.

المرأة: اننى انتظر اليوم بطوله ان تعود الى المنزل. ولا اجد معنى للقيام بأى عمل بل اننى اجلس الى جانب النافذة واظل افكر بأننى احبك. اذ لا استطيع ان افكر بأى شئ اخر.

الرجل: هذا امر لم اكن اريده قط.

المرأة: ولكن هذه هى حقيقة الامر.

الرجل: منذ ستة اعوام، عندما تزوجنا ...

المرأة: ... لم يكن الامر قد وصل الى هذا الحال بعد.

الرجل: كان الامر محتملا اخف من الآن.

المرأة: صحيح، لقد اصبح الوضع اكثر سوءا. لعل ذلك لأنك لم تعد تحبنى.

الرجل: ولكنك تعلمين، ان الحقيقة ليست كذلك.

المرأة: ولكنك لاتقول لى شيئاً عما تفكر به. انك ترفض ان تقول لى اى شىء.

الرجل: انا نعسان.

المرأة: انت تدعنى دائما وحدى. ولكن اذا لم يعد يحق لى ان اوجد من اجلك، فاننى لن اكون موجودة لنفسى ايضا. انى انظر احيانا فى المرآة فلا استطيع ان اعرف نفسى. لماذا لا تقول لى شيئاً؟

الرجل: اننى بدأت أنام.

المرأة: ولكن لايجوز ان تتركنى وحدى مرة اخرى. يوما بعد يوم وليلة بعد اخرى.

الرجل (يتمتم لنفسه وهو يتجسس طريقة مابين الارهاق والنوم والحلم. – لم يعد يتحدث للمرأة، بل ان صوته يسمع وهو آت من غرفة اخرى)
الحب دائما. لم اعد احتمل ذلك. بل يجب ان افكر واعيش لنفسي.

المرأة (تميل الى البكاء): الى اين تذهب عندما تنام؟

الرجل (بصوت مازال ينبعث من الغرفة الاخرى): انني امضى الى المروج والغابات الكثيفة والصحارى المترامية. انني استحيل الى ثعلب، الى ذئب، الى فيل. انني اصرخ.

صوت صراخ الفيل.

الرجل: الليل يخيم متثاقلا على منكبي. ونابـاى بيضاوان. وليلى ذو هلالين.

يسمع صوت ريح.

هذا هي الريح. لقد افتقد اثرها فى المدن. انها ريح الليل، ريح الادغال الكثيفة.

اصوات حيوانات ليلية، تتحول وتندمج بأصوات مدينة ليلية.

المرأة (من الغرفة الاخرى): انى اضطجع مستيقظة دائما فى الليل. واصغى الى كل صوت. هذه آخر عربة ترام تمر فى الطريق. ثلاث ساعات قبل ان تعود العربة الاولى. آه لو علمت فقط الى اين استطيع الذهاب لكى لا اشعر بالوحدة!

الرجل (بصوت بعيد): انى امضى وامضى. وأحس بثقل سيقانى الاربعة. انها سيقان فيل ضخمة. انى اجر جسدى وهو يتثاقل وانا ادب فى سيرى الى الأمام. انى سعيد هكذا. منفرد بنفسى. قوى لا اهاجم. انى احس بقوتى. (بصوت ظافر) انني منفرد بنفسي.

المرأة (بعيدة، يائسة): انى فى غاية الوحدة. اناشدك بالله ان تفيق. انتظر حتى أنام انا ايضا. خذنى معك الى المكان الذى انت فيه.

الرجل (من بعيد): لما لا تتوقف عن النداء ولا تتركنى وشأنى. انها تتدخل فى غاباتى وتتغلغل فى صحارى، وفى المروج الخصبة لعالمى الآخر.

المرأة (عن بعد): ليس لى اى انسان غيرك.

الرجل (ببطء ولكن من بعد كذلك): لابد لى من الرجوع. لابد لى من ترك فيلى. فليس لها احد غيرى فى العالم وانا لا اعرف احدا غيرها. انى اود ان اكون منصفاً بحق انسان واحد، واحد على الاقل. ولكن أمن الضرورى ان يتم هذا فى التو واللحظة؟ حتى فى هذه الليلة –

المرأة: لقد شاب شعرى.

الرجل (يعود الصوت الى الخروج من الغرفة نفسها ثانية ويصبح طبيعيا تماما) موسيقى المدورة.
انى اعلم ذلك، اذ بدأنا نشيخ.

المرأة: وانت، لا تحبنى.

الرجل: اذا كنت احب احدا على الاطلاق، فانى احبك انت.

المرأة: انى غبية اذ اطلب سماع هذا كل مرة. انى آسفة. فقد ايقظتك من نومك.

الرجل: لا بأس عليك.

المرأة: ارجوك ان تنام ثانية.

الرجل: كلا سأظل معك – سرعان ما ستمر عربة الترام الاولى.

المرأة: ما زال هناك وقت لذلك.

وحيد القرن (يتكلم بصوت اعلى من الموسيق): ولكنى عدت ومهدت صحارى اشواقه وجعلتها ملساء ثانية بحيث اختفت آثاره تماما، ثم اطلقت سراح الفيل من ادغال احلامه واخذته معى. وهاهو الآن يقف على مدورتى ويملأ مكانه بعينين مغمضتين، لأنه لايرغب ان يرى شيئا سوى نفسه.

موسيقى المدورة تنقطع بعد برهة. ماذا جرى؟

الموسيقى: ان الموسيقى لا تستطيع ان تسوى الخلاف. فقد قال الوعل انه لن يجر الزحافة بعد الآن.

وحيد القرن: هذه مشكلة يصعب حلها انه لا توجد صلة بين الاثنين، حتى ولا زمام قافلة تمكن قطعه. قل للوعل انه ما عليه الا ان ينس الزحافة خلفه. اذ لا علاقة لها به. كما ان الوعل لاعلاقة له ابداً بالارض. فهو برج سماوى متبكر حلم به طيار عندما تهشمت طائرته فى احدى الغابات.

الموسيقى: وما هى قصة العنقاء؟

وحيد القرن: هل سمع احد ذلك؟ انه يتصرف وكأنه لا يعرف بالامر. مع انه نفسه له علاقة ما بالقصة.

الموسيقى: إننى انسى القصة دائما، لكى اتمكن من سماعها من جديد. فقد كانت أولا واخرا الحدث الهام الوحيد بالفعل فى حياتى.

وحيد القرن: وبناء على ذلك فان العنقاء القابعة فوق

مدورتى هى حلم فتاة صغيرة بالحب. وكانت العنقاء تحترق كل مرة كانت الفتاة فيها تتخلى عن تجربة حب، ثم لا تلبث ان تقوم من جديد فى روعة وبهرجة الوان الأمل التى لا تقاوم. وأخيرا فقد تزوجت الفتاة وبذلك سرحت الطائر العنقاء، فقد اصبح الامر شاقا عليها ان تعيش مع حلم. ولم يلاحظ موسيقينا الا أخيرا انه لم يكن مولعا بها وانما بالعنقاء فيها.

موسيقى المدورة.

الموسيقى: لا جديد فى الامر. فالبوق يتنفس ثم يزفر باصوات مكورة. دعنا من قصة الحب.

وحيد القرن: اذن فلأقص عليك حكاية الزحافة. دق قليلا باجراس ثم املأ الجو سكونا بالثلوج. ولاتنس الساعات بدقاتها التى لا تتغير.

تسمع اصوات اجراس زحافة لاتلبث ان ترتفع ببطء الى ان تتلاشى انغام موسيقى المدورة تماما. ثم يسود السكون، دقات ساعات.

لقد عثرت على الزحافة امام دكان ساعاتى. فكانت تنتظر احدا. ثم نظرت من خلال واجهة الدكان فلم اجد شيئا خاصا: امتعة رخيصة، ساعات مطبخ للتنبيه، وساعات بقيمة عشرين وثلاثين ماركا. وساعات مفضضة. وفى وسط كل ذلك كانت ساعة جيدة، قديمة وذهبية مع غطاء يقفز عند الفتح، موضوعة فى علبة من القطيفة. والى جانب ذلك كانت هناك سلاسل ساعات واشياء للعليق مع تحف صغيرة لجلب الحظ والفأل الحسن — كل ذلك جمع بعضه فوق البعض الاخر ووضع بغير نظام. وكانت واجهة الدكان مفصولة عن الدكان من الداخل بستارة، ولكنى استطعت ان أرى من خلال الباب ما بداخل الدكان. كانت الساعة السادسة، وقت اغلاق المحلات التجارية. واغلقت صاحبة الدكان صندوق المال وبدأت فى ادارة مفاتيح جميع الساعات. وكان لابد لها ان تمط قامتها كلما ارادت ان تسحب سلاسل الساعات ذات العندليب المغرد، التى كانت معلقة على ارتفاع فوق الجدران. كانت المرأة هزيلة القوام ولم تعد تحسب اعوامها. وقد اعتادت على الوحدة والانفراد بحيث كانت تتحدث الى نفسها، وتجيب نفسها، كما لو كان فيها صوتان مختلفان.

اصوات تعبئة الساعات.

صوت المرأة الاول (واقعية موضوعية): يوما بعد يوم يتكرر الشئ نفسه.

صوت المراة الثانى (حالما): ولكن اليوم سينتهى كل ذلك.

الصوت الاول: هذا صحيح، فقد رأيتها كذلك. الزحافة تقف منتظرة على الباب.

الصوت الثانى: الحمد لله أخيرا. فقد انتظرناها مدة طويلة.

الصوت الاول: والآن سنغلق الدكان وندير مفاتيح الساعات لآخر مرة، ونأخذ أسملك معطف للرحلة . . .

الصوت الثانى: واحذية من الفراء.

الصوت الاول: دون امتعة؟

الصوت الثانى: كلا، دون امتعة.

الصوت الاول: ومفتاح البيت؟

الصوت الثانى: نستطيع ان نلقيه فى الثلوج. وفى الربيع سيعثر عليه فى بصيلة زهور المفاتيح.

الصوت الاول: وهل نأخذ معنا صورا فوتوغرافية؟

الصوت الثانى (جافلا): الجميع؟

الصوت الاول: هل تريدين ان تنسيهم؟

الصوت الثانى: لقد نسيتهم فعلا.

الصوت الاول: والأب كذلك؟

الصوت الثانى: من آثاره تلك الساعة الذهبية القديمة المعروضة فى الواجهة والتى لا تباع ابداً.

الصوت الاول: كونى صادقة، اذ لم يحاول احد شراءها قط.

الصوت الثانى: اهكذا تعتقدين؟

الصوت الاول: ثم الرجل الذى تزوجنا، والذى مات فى الثلاثين من عمره وخلف لنا دكان الساعات هذا.

الصوت الثانى: وحتى صوره الفوتوغرافية غريبة عنى.

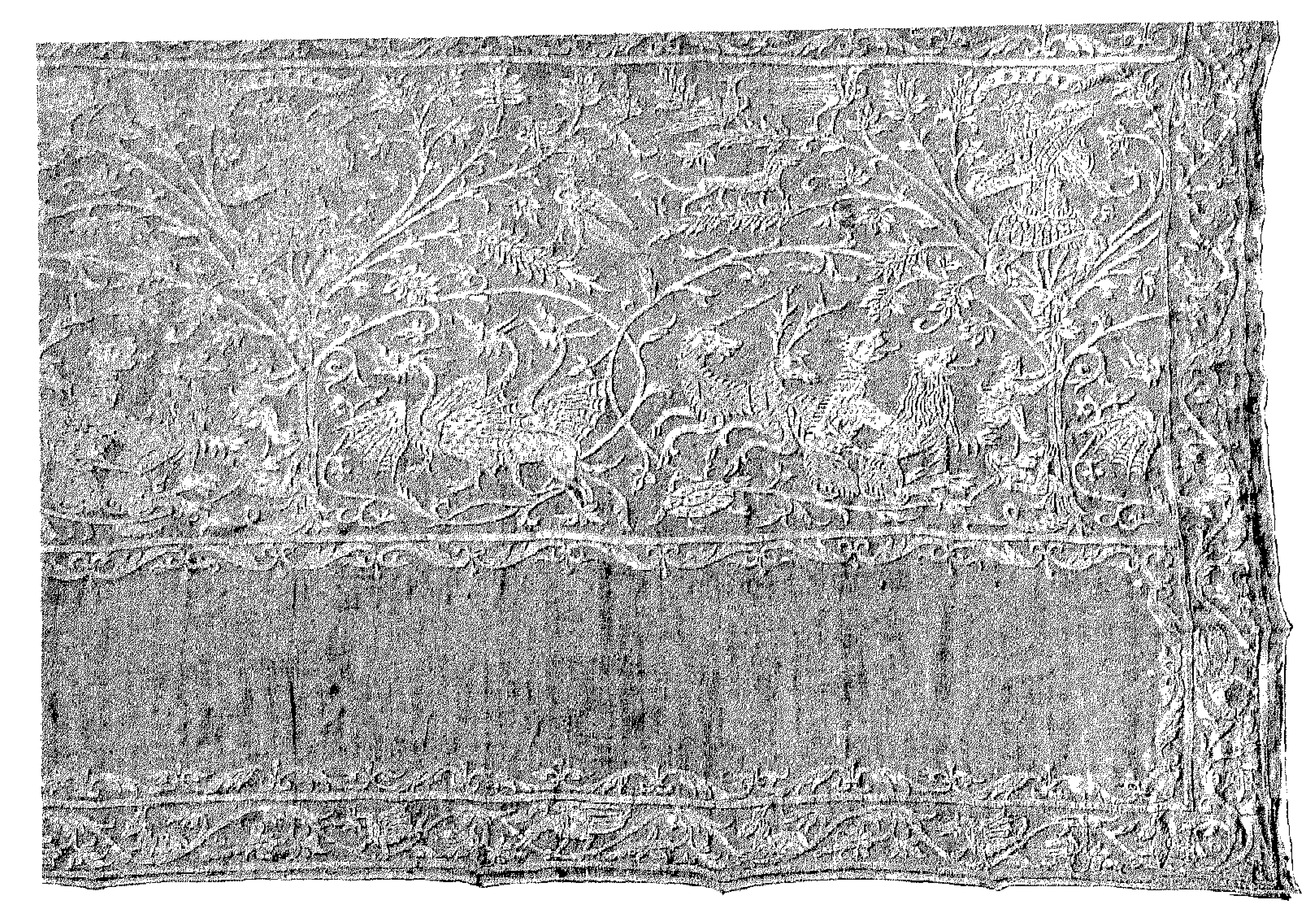
الصوت الاول: فى ذلك الوقت كنا نقول اننا كنا نحبه.

الصوت الثانى: وكان يقول دائما انه سيأتينى بزحافة تقف على الباب فى الساعة السادسة، زحافة استطيع ان ألحق بها النهار لكى أرى اين تغيب الشمس.

الصوت الاول: والإبن. انى اتذكره افضل من الجميع لانه كان مريضا حينا طويلا من الزمان.

الصوت الثانى: وكان هو كذلك يقول دائما إنه سيدبرلى زحافة. زحافة اسير بها عبر الاثلام الثلجية، لاخرج بها من المدينة، عبر الحقول.

الصوت الاول: ولكن الزحافة لم تأت قط. فقد كان الابن ضعيفا بحيث لم يكن يستطيع ان يمد يد المساعدة فى الدكان.



غطاء مائدة من القطن، مطرز عليه اقصوصة اورفه Orpheus تصيغ الحيوانات كلها الى اصوات ربابه، وبينها ايضا وحيد القرن والفهد والاسد والوعل والعنقاء. موطنه شمالى المانيا، حوالى عام ١٦٠٠.

نشكر متحف الفنون و الصناعات Museum für Kunst und Gewerbe فى مدينة هامبورج لتصريحها بنشر هذا التصوير.

حتى ان تعبئة الساعات فى المساء كان أمرا شاقا بالنسبة له. ثم مات واصبحنا وحدنا.

الصوت الثانى: ولكن ظل الامل باقيا فى الحصول على الزحافة التى تنتظر امام الباب، الزحافة ذات الاجراس ...

الصوت الاول: والآن ها قد جاءت أخيرا..

اجراس زحافة

هيا بنا لقد تخطت الساعة السادسة، واذا لم نذهب الآن — فقد لاتنتظر الزحافة اكثر من ذلك.

الصوت الثانى: لا بد اننى نسيت شيئا ما.

الصوت الاول: هذا جائز. ولكن الوقت قد فات الآن. فلا تفكرى بذلك بعد.

الصوت الثانى: دعينا نخرج. افتحى خريطة صمتنا. فزحافتنا ستنزلق فوقها، وستسير منطلقة من الشارع الكبير الى بحر البلطيق، حيث كنا نلعب عندما كنا طفلة صغيرة...

الصوت الاول: غدا لن نكون هنا.

الصوت الثانى: ان الثلج اذا استطاع المرء ان يسمعه وهو يتساقط يشبه فى صوته دقات الساعات.

الصوت الاول: فى الايام الاولى لن يهتم احد لاغلاق الدكان. ولكن بعد ذلك يلاحظ الناس الأمر ويعجبون

الصوت الثانى: هيا بنا، فالزحافة فى انتظارنا.

الصوت الاول: الا نستطيع ان ندع لأنفسها بعض الوقت، بعد ان انتظرنا كل هذه المدة؟

الصوت الثانى: ولكن دعينا، فقد فاتنا الوقت كثيرا.

رنين باب الدكان.

رجل شاب: مساء الخير. انى اود ان اشترى الساعة.

الصوت الاول: اية ساعة؟

الرجل: الساعة الذهبية ذات الغطاء القفاز — تلك المعروضة فى الواجهة.

المرأة: ولكنها غالية جدا.

الرجل: هذا لايهم. فهى تعجبنى.

المرأة: لااعرف أكان بيعها ممكنا، فهى تذكار من والدى.

الرجل: ولكن اذا كانت معروضة فى الواجهة ...

المرأة: انى لا أود التخلى عنها. والآن ارجوك ان تدعنى اذهب، فهناك من ينتظرنى.

الرجل: ولكن الساعة. انى شديد الرغبة فى الحصول عليها..

المرأة: لا استطيع ان استغنى عنها. فهى تذكار موروث انها الشيء الوحيد الذى أملكه. هل فهمت؟

تسمع اجراس الزحافة وهى ترن، ثم تأخذ فى الابتعاد.

هل تسمع صوت الزحافة؟

الرجل: كلا، لا اسمع شيئا.

المرأة: لقد كانت تنتظر هناك من اجلى. والآن ذهبت فى سبيلها.

الرجل: قولى أخيرا ما هو السعر.

المرأة: ليس هناك من سعر.

وحيد القرن (بحنان): ثم ذهبت المرأة مسرعة الى الباب و خرجت الى الشارع، وهى ملتفة بمعطف أسود، عارية الرأس، ولكن مرتدية حذاء عاليا من الفراء. وارتجفت قليلا — من فرط اضطرابها . . . . ولم تعد ترى الزحافة. وراحت تصيخ بسمعها. ولكن حتى رنين الاجراس لم يعد يسمع. وهنا عادت ثانية واغلق الدكان خلف الرجل الشاب. اما الساعة فلم تبعها. واطفأت النور وظلت جالسة فى الظلام وراحت تخاطب نفسها مستمتعة بأن الزحافة قد انتظرت ذات يوم على بابها. ولم يكن مهما أنها لم تعد تملك القوة على مغادرة بيتها. لا بل انها كانت راضية تماما ان الزحافة مضت مبتعدة فى سبيلها، لأنها كانت مشغولة. لقد عادت الحياة واصبحت مهمة بالنسبة لها — والى جانب ذلك: الأمل الجديد فى ان تجيء الزحافة ذات يوم.

صوت موسيقى المدورة ينبعث، ثم ينقطع فيمابعد.

لماذا لا تستمر فى العزف؟

الموسيقى: لقد استيقظ حارس المنتزه. فقد ايقظه ريح المساء.

وحيد القرن: وماذا حل بالعنقاء؟

الموسيقى (جافلا): لقد طارت من الريح.

وحيد القرن: لقد عرفت أنه سيتوقف ذات يوم عن الاشتراك فى لعبتى. اذن فلنذهب ونبحث عن حيوان آخر لمدورتى.

الموسيقى: لقد نهض حارس المنتزه عن مقعده.

وحيد القرن: فلندع له كل ماتراه عيناه. ان المدورة تقف جامدة كما لو اصابها مس.

الموسيقى: الوعل يخفض قرنه ويبدو كأنه يجر الزحافة.

وحيد القرن: انها مدورة من طرز قديم حقا. ولكن الاطفال يحبونها عندما يجيئون يوم الاحد الى الحديقة الاسبانية.

ينخفض الصوت الممتزج بضجة اطفال مرحين وموسيقى مدورة.

ترجمة: محمد على حشيشو

بساط منسوج عليه حيوانات خرافية يقودها الامراء والاميرات. مصنوع فى بازل اثناء الربع الثانى من القرن الخامس عشر. (المتحف التاريخى لمدينة بازل).
نقدم شكرنا لادارة المتحف لتصريحها لنا بنشر هذه اللوحة.



ورقة من تأريخ الاستشراق في النمسا :

يوسف فون هامر - پورجستال

بقلم انا ماري شيمل

كان وضع الدراسات الشرقية فى المانيا وسائر بلاد اوروبا غير مرض الى اواخر القرن الثامن عشر، اذ لم يكن العلماء يعتبرون دراسة العربية الا امتدادا لدراسة العبرانية واللاهوت لا غير. وقد حاولنا ان نرى فى وصف حياة الاستاذ يوهان يعقوب رايكسه Reiske الذى نشرناه فى النسخة الرابعة من هذه المجلة المشكلات التى اعترضت من اراد تحرير الاستشراق من قيود علم اللاهوت.

اما وضع الاستشراق فى النمسا فيختلف عنه فى سائر بلدان الغرب. كانت هذه المملكة الواسعة مجاورة الدولة العثمانية، وقد حاصر الجنود الاتراك مدينة فينا مرتين، سنة ١٥٢٩ وسنة ١٦٨٣. ولذلك وجب على النمساويين الاهتمام بعادات جيرانهم الأقوياء وبطرق حياتهم، وكذلك بلغتهم. فحفرت حروف عربية فى خشب لاجل الطبع لاول مرة فى سنة ١٥٥٤ فى فينا، وبعد قرن واحد أسس فى تلك المدينة كرسى للدراسات الشرقية، والف الاستاذ مينينسكى Meninski كتاب النحو التركى وقاموساً تركياً نشره سنة ١٦٨٠، ومما يثير الاسف ان اكثر نسخ هذا القاموس المفيد قد ضاعت فى اثناء محاصرة فينا عام ١٦٨٣، كما ضاعت الحروف العربية التى ابتدعها مينينسكى؛ ثم عثر على هذه الحروف العربية المفقودة مرة اخرى فى سنة ١٧٥٠، وحسنت شكلا حتى صارت الآن اقرب الى قواعد الخط العربى. وقد طبع القاموس التركى المذكور للمرة الثانية سنة ١٧٧١ فى فينا.

وقد ادركت الامبراطورة ماريا تيريزيا (١٧١٧—١٧٨٠) الكبيرة اهمية الدراسات الشرقية، فأسست لذلك دارا للعلوم خصصت لطلبة اللغات الشرقية الذين عزموا على دخول السلك الديبلوماسى. وكان نظام هذه المؤسسة المسماة بالأكادمية الشرقية Orientalische Akademie صارماً جدا، فكانت الدراسة تبدأ فى الساعة السادسة صباحا وتستمر الى الساعة التاسعة فى الليل. وكان على الطلبة ان يدرسوا اللغات الشرقية كل يوم لثلاث ساعات، وعلاوة على ذلك كانوا يتعلمون الفلسفة والتأريخ واللغة الفرنسية والفراسة والرقص وكل ماكان ينتظر من صفات فى شاب اصيل سيكون ممثلا لمملكته فى البلاد الاجنبية. وكانت مدة الدراسة خمس سنوات، وكان الشبان يتعلمون فيها التركية بصورة جيدة دون ان يحصلوا على تعمق فى فقه اللغة او فى الطرق العلمية، بل كان مقصد هذا المعهد التطبيق الفعلى للغات فى المناسبات السياسية بين النمسا والدولة العثمانية. وكان الطلاب يدرسون قليلا من الشعر ويترجمون شيئا من الادب الفارسى كما نرى اثار هذه الاعمال الادبية فى مجموعة اهداها اعضاء الاكادمية الى الامبراطورة سنة ١٧٧٨.

وكان احد طلبة المعهد المذكور يوسف هامر Joseph Hammer الذى مدحه العالم الكبير الالمانى ى. ج. هردر J. G. Herder (١٧٤٤—١٨٠٣) وهو احد اصدقاء جويته وكان يحب الادب الشرقى وان لم يتعلم اللغات الشرقية، وقال فيه: «ليت شعرى ان تزهر كل الآمال التى ننتظرها من المشرق فى اثار هذا الشاب ذى المواهب والالمام باللغات!»

توجد ذكريات يوسف هامر فى كتاب:
J. von Hammer-Purgstall, Erinnerungen aus meinem Leben. Bachofen-Echt, Wien 1940.

توجد عناوين تصانيف هامر كلها فى:
K. Goedeke, Grundriß der deutschen Literatur VII, 2, S. 747—770.



صورة يوسف فون هامر فى سنة ١٨١٧.

ولد هامر فى عين السنة التى توفى فيها الاستاذ الالمانى للغة العربية رايسكه المقدم ذكره، اى سنة ١٧٧٤، فى مدينة جراتس Graz فى النمسا الجنوبية (وما أطلق عليه لقب الاصالة «فون هامر» الا بعد سنة ١٨١١، ثم اضا ف الى اسمه لقب «پورجستال» بانتسابه الى الكونتس پورجستال التى توفيت بدون اولاد وسمحت له بهذا الانتساب، فصار يوسف فون هامر-پورجستال Joseph von Hammer-Purgstall واشتهر بهذا الاسم). وكان والده مأمور الحكومة النمساوية، ولما وجد فى ابنه استعدادا لتحصيل اللغات الشرقية ارسله الى المعهد الشرقى فى فينا حيث تعلم اللغات واشتغل فى المكتبة لمدة عشر سنوات الى ان بعثت به الحكومة الى السفارة النمساوية فى استانبول عام ١٧٩٩. وكان يتكلم التركية دون صعوبة ويجيد من العربية ما يكفى للمكالمة، اما الفارسية فكان يجيدها اجادة حسنة حتى انه حادث سفراء الشاه الايرانى عند زيارتهم فينا سنة ١٨١٩. وكانت علاقته بالادب والتاريخ اكبر منها بقواعد النحو، ومن عاداته انه كان يطالع القاموس بلا انقطاع ليتعلم كثيرا من الكلمات فى اسرع وقت ممكن؛ وكان يظن ان هذه الطريقة لابد منها لكل من اراد معرفة كاملة للغة ما. وكان هامر مشغوفا بالادب الشرقى، ولم يزل طول حياته يسعى فى نشر حب الشرق فى اوروبا كما انه الف فى شبابه قصيدة فى اهمية الاشتغال بالادب الشرقى.

وفى اثناء اقامته فى استانبول اهتم هامر اولا بحكايات الف ليلة وليلة التى كان قد ترجمها جالان Galland الى الفرنسية فى اوائل القرن الثامن عشر (ونشر هو ايضا فيما بعد ترجمة فرنسية لهذه الحكايات)؛ ثم اهتم بحكاية عنتر، وما جذب قلبه اكثر من ذلك هو اشعار الحافظ الشيرازى التى أنشدها له درويش ايرانى. ومن ذلك الوقت عزم على ترجمة كاملة لديوان الحافظ واخذ باعدادها.

نقل هامر من استانبول الى مصر سنة ١٨٠٠ واقام بها لمدة عامين، ثم سافر الى انكلترا ورجع الى استانبول كاتبا للسفارة واشتغل هناك بالتأريخ والجغرافية وقام بتصميم «تأريخ الدولة العثمانية» الذى اصبح، بعد ثلاثين سنة، مؤلفه الاشهر. ولكن الحكومة النمساوية ارسلته بعد مدة الى ولاية مولدافيا عقابا له على بعض الخلافات التى جرت بينه وبين امرائه، وعاد سريعا الى فينا حيث أسس بموافقة الكونت رزووسكى Rzewuski مجلة «معادن الشرق» Fundgruben des Orients؛ ثم عين مترجما رسميا للحكومة النمساوية سنة ١٨١١، وانعمت عليه الحكومة بمنصب مستشار البلاط سنة ١٨١٨. وما زال هامر يكتب كتابا بعد كتاب، ومقالة بعد مقالة، وترجمة بعد ترجمة، وكلما زاد اجتهادا زاد كذلك فى عدم الاعتناء.. سعى هامر فى تأسيس اكاديمية العلوم فى فينا ووفق فى ذلك سنة ١٨٤٧ بعد ابحاث دامت ١١ سنة، وصار الرئيس الاول لهذه المؤسسة العلمية، ولم يبقى فى هذا المنصب الا عامين. وتوفى فجأة فى سنة ١٨٥٦، وهو فى الثالثة و الثمانين من عمره، وكان يشتغل حينئذ بتأريخ الادب العربى، وقيل ان سبب وفاته سكتة القلب لشدة الحزن الذى اصابه عند سماعه خبر قطع تبادل المخطوطات العربية بين المكتبتين فى فينا و باريس...

فما الذى يمتاز به هذا العالم العامل الذى انقسم العلماء عند الحكم فيه قسمين؛ فمنهم من مدحه غاية المدح، كما فعل ذلك كثير من زملائه النمساويين مدعين انه كان «فخر الغرب؛ الفاتح الكبير الروحانى للشرق، مشعل العلم ومنارته، قطب الاجيال القادمة...». ومنهم من نقده أشد النقد، مدعيا ان علمه بالعربية قليل وتفاخره وطموحه اكبر بكثير من تعمقه فى العلوم. كان على رأس هذه الفئة الاخيرة الاستاذ فون ديتس von Diez، احد اصدقاء شاعرنا جويته، والف رسالة خاصة فى جهالة هامر وسوء اخلاقه، عيره فيها بانه «عديم المعرفة كليا بجميع اللغات وبانه يجهل التعابير والمواضيع جهلا لا سبيل الى التغلب عليه» واتهمه «بانه ذو اخلاق سفيهة لاتوصف ووقاحة لاحد لها ولا

Herrn Doctor von Gobbi
als Merkmal
zum Hochachtung
vom Verfasser

den 10 März 1842

اهداء بخط يوسف هامر.

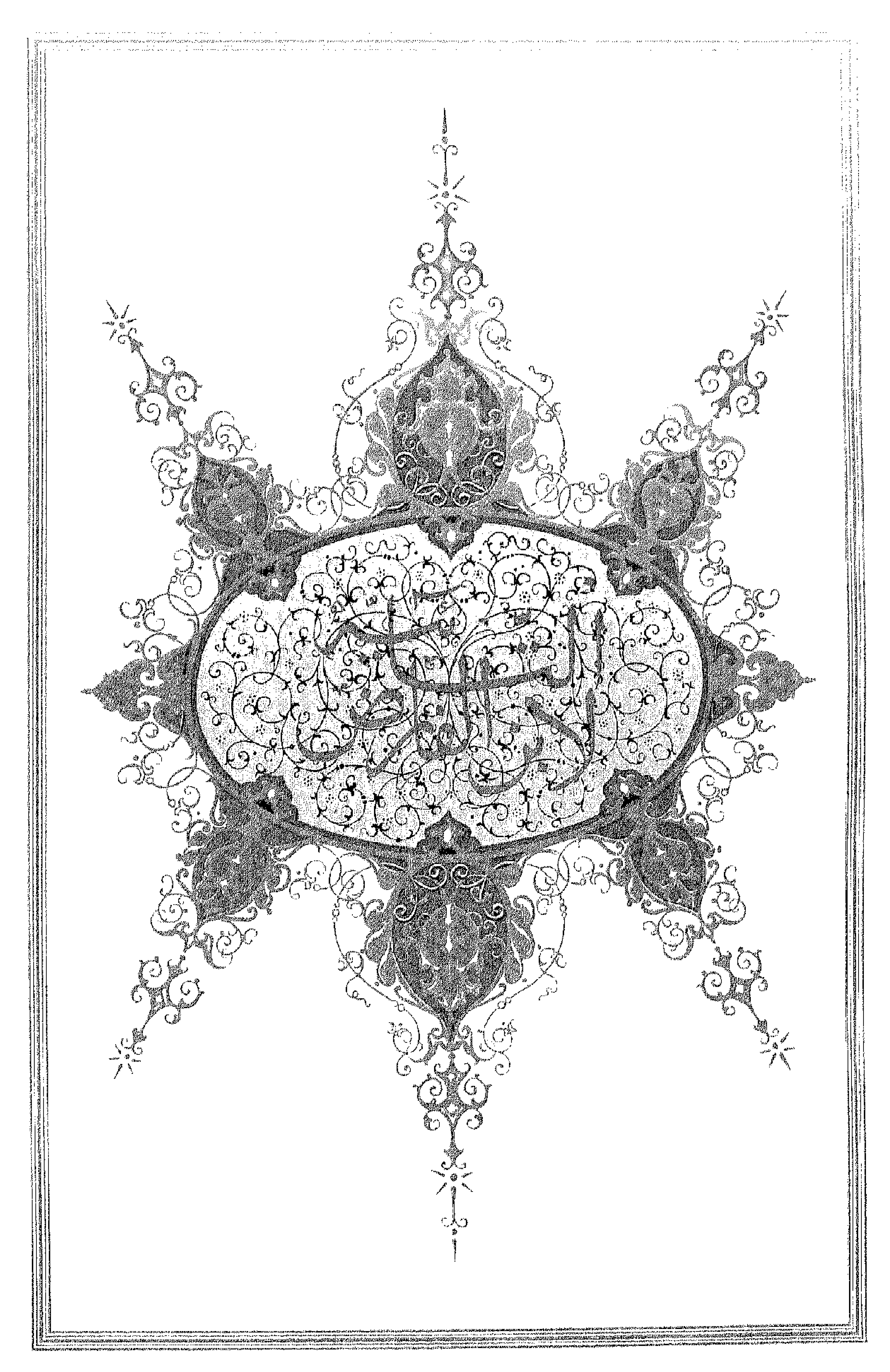
نهاية...» ولا فائدة لهذه الكلمات الا فى التعبير عن اخلاق الكاتب نفسه.

ولاشك ان هامر لم يكن عالما بحتا بمعنى الكلمة، وان كان قد الف اكثر من ٧٥ كتابا، بعضها ضخم جدا، ومئات من المقالات والتراجم. ويندر ان نرى فى تأريخ الاستشراق مثله: ذو افكار عالية وهمة جليلة، وفى الوقت نفسه ذو غيرة وطموح شديدين، الف من الآثار مالم يؤلف غيره قط، ومع ذلك فهو يفتقر الى الطريقة العلمية فى البحث؛ وقد جمع من الكتب واطلع من الاشعار على ما لم يطلع عليه احد قبله وربما بعده، ومع ذلك فانه لم يبق من مؤلفاته ماهو معروف فى تأريخ الاستشراق الا القليل؛ وقد حصل على معلومات يصعب على العالم العصرى الحصول عليها، ولذلك لابد من مطالعة بعض مؤلفاته حتى الآن وان لم نجد فى مئات الصفحات الا خبرا او خبرين مهمين. ومع ان تأثيره فى تأريخ الاستشراق العلمى قليل لايزيد على ما تثيره كتبه بين الفقهاء فى اللغة لرد غلطاته، إلا ان تأثيره فى تأريخ الادب الالمانى عظيم، فقد صار استاذ الشاعر الكبير جويته كما تعلم من آثاره الشاعر المستشرق ريوكرت Rückert (١٧٨٨—١٨٦٦) والشاعر الظريف كونت بلاتن Graf Platen (١٧٩٦—١٨٣٥). وما اسعد من يسمى استاذا ومعلما روحانيا لشعراء وطنه وادبائه!

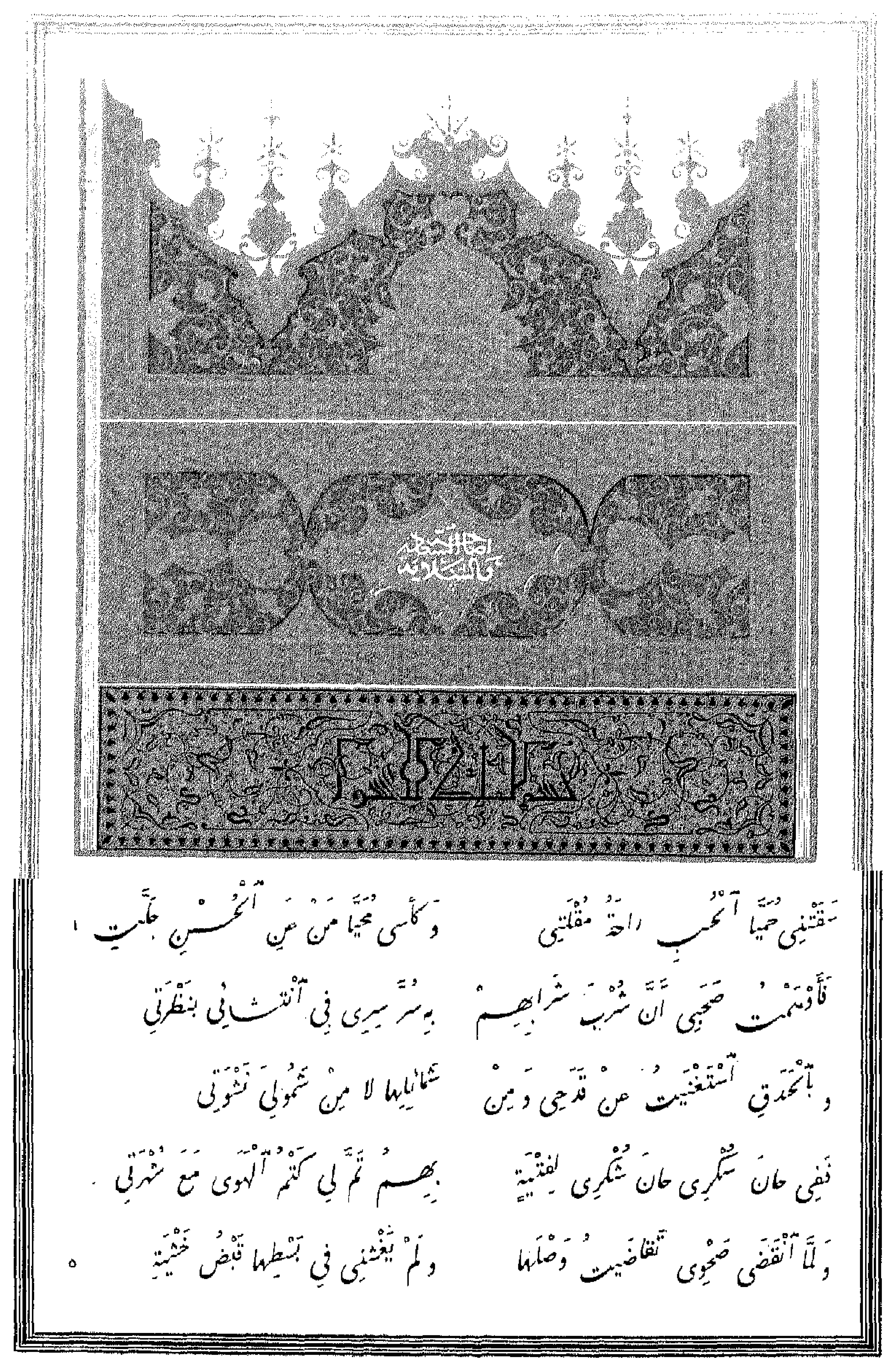
والآن، ماهى هذه المؤلفات التى اشتهر بها هامر، وماهو الطريق الذى سلكه فى اعماله العلمية والادبية؟

نشر هامر فى اواخر حياته رسالة «فى خواتم العرب والعجم والاتراك» ذكر فيها ثلاثة خواتم له، مكتوب على احدها «عبده السياح السامر يوسف هامر» وظن انه فى الحقيقة سامر، يحب المسامرة والحكايات الطويلة فى اجتماع الرجال والشيوخ، ويشبه اثره الادبى من جانب مسامرة كثيرة المواضيع مزهرة الاسلوب، مزينة بابيات واشعار، ذاكرة للحوادث والامور ووقائع الدهور فى دار الاسلام كلها، من التأريخ والفنون والتصوف والجغرافية وغيرها. وكان فى اسلوبه — وخاصة فى اواسط حياته — مقلدا للاسلوب الشرقى المزين بالسجع والتلاعب بالكلم، كثير التشبيهات والرموز لأن المؤلف قصد مواصلة بين التذكر الشرقى والتفكر الغربى، بين الروح الشرقية والعقل الغربى؛ وكانت جمل اثاره مطرزة بانواع الاسلوب الخطابى حتى انه ليصعب على القارىء الغربى ادراك معناها البسيط...

لما رجع هامر من استانبول الى فينا سنة ١٨٠٧ ناشد صديقا له، الكونت رزووسكى Rzewuski (١٧٦٥—١٨٣٢) تأسيس «مجلة استشراقية» مشتملة على مقالات حول العلوم الشرقية واخبار عن احوال بلدان الشرق. ووفق فى ذلك الاقتراح فسمى المجلة الجديدة «معادن الشرق»



الصحيفة الاولى للتائية الكبرى لعمر بن الفارض نشرها هامر مع ترجمته المنظومة سنة ١٨٥٤ فى فينا.



سقتني حميا الحب راحة مقلتي   وكأسي محيا من عن الحسن جلت ١

فأوهمت صحبي أن شرب شرابهم   به سر سري في انتشائي بنظرتي

وبالحدق استغنيت عن قدحي ومن   شمائلها لا من شمولي نشوتي

ففي حان سكري حان شكري لفتية   بهم تم لي كتم الهوى مع شهرتي

ولما انقضى صحوي تقاضيت وصلها   ولم يغشني في بسطها قبض خشيتي ٥

Das arabische hohe Lied der Liebe, das ist Ibn al Faridh's Taijet in Text und Übersetzung. Zum ersten Male zur ersten Säkularfeier der K.u.K. Orientalischen Akademie herausgegeben. Wien 1854.

Fundgruben des Orients مشيرا الى انها ستحتوى على ذهب المعلومات التأريخية القيمة وجواهر الادب، واختار شعارا لها الآية القرآنية:

«قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم».

نشرت هذه المجلة بين السنتين ١٨٠٩ و ١٨١٧، وكان هامر مديرها الفخرى وكان يؤلف مع ذلك نحو سدس المقالات بنفسه، ونفهم من المحاضرة التى القاها فى ١ شباط ١٨٥٥ عندما نصب هيكله فى الاكاديمية النمساوية انه افتخر بهذه المجلة وادارته لها اكثر من افتخاره بسائر تآليفه. وفى الواقع يجد القارىء فيها مقالات حول مسائل مختلفة ومواضيع ذات اهمية، مكتوبة باقلام المستشرقين المشهورين فى اوروبا كلها، ومنهم العالم الشهير الفرنسى سيلفستر ده ساسى Sylvestre de Sacy الذى يعتبر الى الآن مؤسس الاستشراق العلمى وفقه اللغة العربية فى الغرب وهو استاذ اجيال من البحاث فى القرن التاسع عشر؛ كتب فى «معادن الشرق» مقالة عن الكتاب الفارسى المعروف بپندنامه (كتاب النصيحة) لفريد الدين عطار الشاعر المتصوف (المتوفى عام ١٢٢٠ عند هجوم اجناد جنكز خان على مدينة نيشابور). نجد ايضا للعلامة الفرنسى ترجمة لقصيدة الأعشاء المشهورة «ودع هريرة». اما زملاء سيلفستر ده ساسى الفرنسيون فألف كاترمير Quatremère المؤرخ الواسع الصيت مقالات فى مسائل تأريخ الاسلام، ونشر جرانجره ده لاجرانج Grangeret de Lagrange متونا وتراجم لاشعار الصفدى والمتنبى وايضا لمقامة من مقامات الحريرى. وهناك مقالة عالم اسبانى اسمه ى.ا. كونده Conde عن ابن خلدون وفلسفته، ومن الطبيعى ان عدد المستشرقين النمساويين فى هذه المجلة فاق عدد غيرهم، ونشر هناك شاب ذو موهبة شاعرية وهو روزنتسوايج — شوانـاو Rosenzweig-Schwannau (١٧٩١—١٨٦٥) لاول مرة ترجمة منظومة لبعض ابواب الاقصوصة المشهورة «يوسف وزليخا» للشاعر الفارسى مولانا عبدالرحمن جامى (المتو فى سنة ١٤٩٥) وصار هذا المستشرق فيما بعد من اشهر مترجمى الادب الفارسى فى اوروبا. وقد ود هذا النسل الرومانتيكى من المستشرقين الترجمة الشعرية للآداب الشرقية حتى وان لم يفهموا معنى الشعر العربى والفارسى بتمامه اوقصروا عن تحليله على قواعد النحو.

وعدا التراجم والمقالات عن مسائل الادب جمع هامر فى «معادن الشرق» معلومات تاريخية، مثلا عن حياة البخارى كما وصفها ابن خلكان فى وفيات الاعيان، او عن اسماء النجوم عند العرب للمتخصص فى هذا المضمار، الاستاذ ايدلر Ideler الذى كان قد الف فى مجلة هامر مقالة اخرى فى طرق تأريخ العرب والعجم وتقاويمهم فأصبحت المجلة ميدان مشترك للمستشرقين من المانيا وروسيا، من فرنسا واسكندينافيا؛ ولم يكتف هامر بنشر مقالات علمية فحسب بل زاد عليها ما سماه «مكاتبة من الشرق» وهى مشتملة على رسائل من علماء وبحاثين اوروبيين يسافرون فى الشرق منهم اولرش ياسبر سيتسن U.J. Scetzen الذى عاش فى مصر وقام بالحج فى زى عربى ثم سافر الى اليمن للحصول على معلومات علمية عن تأريخ اليمن القديم وقتل هناك؛ وارسل بعض اعضاء السفارات الاوروبية فى سوريا والعراق باخبار مهمة سواء عن حركة الوهابية ام عن بعض الحفريات فى بابل، عن تربية الخيول العربية ام عن مخطوطات عثروا عليها. وكان هامر يترجم ايضا مقالات واشعار وتوقيعات صادرة من ملوك العرب والعجم فى ايامه، وجلب دقة المستشرقين الى محصولات اقلام الادباءالمعاصرين فى الشرق الادنى، كما قال الاستاذ فيوك فى كتابه عن تاريخ الاستشراق فى اوروبا:

«علق هامر على هذه المراسلة اهمية كبرى خاصة لأنه لم يكن قد تعرف من قبل على وجهة النظر فى علم التاريخ التى لا ترى الا فى ما مضى موضوعا يليق بالبحث الجدى. وكانت نظرته هو الى حياة الشرق الغزيرة نظرة شاملة تأخذ بعين الاعتبار جميع الحوادث من العصور الغابرة حتى حاضر زمانه، ولم يكن يتردد فى الاستماع الى آراء معاصريه الشرقيين.»

ولم يدخل هامر فى هذه المجلة علم اللاهوت ولا الابحاث اللاهوتية واقتصر على اللغات الثلاث المهمة فى بلاد الاسلام وهى العربية والفارسية والتركية الا انه ذكر شيئاً من الادب الهندوستانى، ولكنه لم يحب الفلسفة الهندية التى كانت رائجة فى ذلك الوقت عند الفلاسفة الالمان الذين كانوا يعتبرونها اشرف فلسفة واعلى افادة لاشتياق الروح الانسانية، ويعتبرون الهندوستان وطنا لكل ماهو جميل وجليل، فهجا هامر هذه الطائفة احيانا فى رسائله.

وكان شاعرنا الكبير جويته يستفيد كثيرا من «معادن الشرق» وذكرها فى حواشى ديوانه الغربى ـ الشرقى شاكرا مديرها وهو يقول:

«إن كتيبى فى جميع فصوله يبرهن الى اى حد انا مدين لهذا الرجل المبجل ... كان قد وصل الى علمى منذ بضع سنوات نشاط حركة العمل المتزايد فى «معادن الشرق.» ولكن الوقت قد حان الآن فقط الذى اهلنى للحصول على

فوائد منها. إن هذه المجلة اشارت الى عدة جهات فقد اظهرت للعصر احتياجاته فأصر بتسديد هذه الاحتياجات وجعلني اومن بصدق اختباراتي من اننا نحصل في كل موضوع على مساعدة قيمة من معاصرينا إذا استطعنا ان نستفيد من فضائلهم ونظهر لهم شكرنا وامتناننا. هناك رجال ذوو معرفة واسعة يلقنوننا دروسا عن الماضي ويوضحون لنا الموقف الذي وصلنا اليه في حاضرنا والذي يكون مسرح اعمالنا ويومئون الى الأمام مشيرين الى الطريق الاقرب الذي يجب علينا ان نسلكه. انه لمن حسن الحظ ان التصنيف البارع المذكور يجد تتمته بالمجهود ذاته ومع اننا نجري بحثنا في هذا المضمار ناظرين الى الخلف فأننا نرجع دائما وبكل سرور وعطف الى كل ما يقدم لنا هنا من جميع الجهات بشكل منعش يانع ومفيد.»

وبعد ذلك اشترك هامر ايضا بمنتهى النشاط في تحرير مجلة اخرى اسمها Wiener Jahrbücher für Literatur نشر في كل من مجلداتها المائة والخمس والعشرين مقالة أو نقدا او اكثر من ذلك، وكتب «مقالات في كل ما كان يثير الاهتمام في مضمار الادب العربي والفارسي والتركي والصيني والسنسكريتي والف تقييمات ومراجعات بجميع كتب السياحة التي كانت تحتوي على اخبار مغلستان وآسيا ومصر وسوريا مما ألف في هذا القرن وماكتب بوجه عام عن الهندوستان وكشمير وافغانستان» وفضلا عن هذه الرسائل في الكتب الجديدة التي يطول بعضها الى الغاية نشر هامر في هذه المجلة ملاحظات واسعة في كتب شرقية، او في مقارنة كلمات فارسية والمانية، او ترجمة مديح بعثت به الحكومة العثمانية اليه، ومايشبه ذلك.

وان كان جويته قد مدح «معادن الشرق» فهوقد استحسن ايضا اقصوصة لهامر نشرت سنة ١٨٠٩ استنادا الى مصادر فارسية وتركية وهي حكاية «فرهاد وشيرين» التي نظم فيها شعراء العجم اشعار غير معدودة.

اما الكتاب الذي خلد اسم هامر وتوج اعماله في حيز الادب الشرقي فهو ترجمته الالمانية لديوان الحافظ الشيرازي، وقد مضى ذكر اطلاعه الاول على اشعار هذا الشاعر العظيم في اثناء اقامته في القسطنطينية. وترجم هذا الكتاب مستفيدا من حواشي السودي التركي الذي يعتبر احسن شارح لاشعار الحافظ وكمل الطبع بعد اجتهاد اربع عشرة سنة (وقال في مقدمة الكتاب انه اتمه في «مرتي سبع سنوات» لانه احب رقم السبعة واللعب بالارقام حتى انه الف مقالة في المجلة الادبية المذكورة في اهمية السبعة عند اهل الغرب والشرق ولاشك ان موضوع «الرقم المقدس» مهم جدا في تأريخ الاديان)

ولم تكن ترجمة هامر للحافظ اول ترجمة لهذا الشاعر في لسان غربي وان كانت الترجمة الاولى التامة. فقد نشر منينسكي النمساوي سنة ١٦٨٠ غزلا للحافظ مع ترجمته اللاتينية، وكذلك هايد Hyde الانكليزي سنة ١٧٦٨، وترجم العالم النمساوي رويتسكي ١٦ غزلا له الى اللاتينية عام ١٧٧١، ولفت المستشرق الكبير الانكليزي و. جونس W.Jones اهتمام اهل الغرب الى هذه الاشعار في كتابه المسمى Poescos asiaticae commentarium libri sex الذي نشر في ١٧٧٨، واستنادا الى اشغال جونس الذي كان حاكما في كالكوتا طبع ديوان الحافظ في هذه المدينة سنة ١٧٩١ وهو من اول الكتب التي اهتم الانكليز بطبعها في الهند.

اما المستشرقون النمساويون فاستندوا الى التقاليد العثمانية في شرح الحافظ وسائر الشعراء الايرانيين ولم يظن هامر الحافظ «متصوفا كاملا» لا يغني الا عن العشق الالهي مستعملا رموز العشق المجازي. وقال مشيرا الى القاب الشاعر «شمس الدين» و «لسان الغيب»:

«إنه لم يكن هاديا مضيئا للدين، ولم يترجم لسانه الا كلمات الشهوة، لا اسرار العشق الالهي». واصرعلى رأيه هذا بيدان رئيس المستشرقين سيلفستر ده ساسي الفرنسي كان قد قبل الحافظ متصوفا بحتا كل كلامه اشارات ورموز. اما جويته فألف بين الرأيين المتضادين لانه كان يعرف ان لكل كلمة معنى رمزيا يشير الى حقيقة اعلى منها ولا يمكن التفريق بين العشق المجازي والعشق الحقيقي، او بين الشراب المادي والخمر المعنوية في اشعار هذا الشاعر كما قيل «المجاز قنطرة الحقيقة» وفهم جويته هذه الوحدة الروحانية بين المعنيين وان كان يميل الى ايضاحات هامر دون تفسير ده ساسي و المتصوفين.

وكانت ترجمة هامر في شكل منظوم غير مصقول ومع انها لا تعكس الظرافة واللطافة اللتين امتازت بهما غزليات الحافظ إلا اننا نعتقد انها احسن من بعض التراجم الشعرية التي نشرت فيما بعد تحت اسم الشاعر الفارسي بأقلام شعراء المان لاعلم لهم باللغة الفارسية ولا معرفة بطرز الادب الشرقي على الاطلاق اتخذوا منه افادات العشق والشهوة واللهو ومدح الخمر فقط. ولما حصل جويته على ترجمة هامر قرأها مراراً ووجد في الحافظ «اخا روحانيا» له والهمه هذا الكتاب بتأليف ديوانه الغربي — الشرقي الذي يشتمل على كثير من الافكار الشرقية. وافاد ريوكرت Rückert

١٨

١ اعوذ بربّ الناس ملك الناس اله الناس
من شرّ الوسواس الخنّاس الذي يوسوس في صدور
الناس من الجنة و الناس

٢ اللّهم انّي اعوذ بك من شرّ مايلج في الليل و
من شرّ مايلج في النّهار و من شرّ ماتهب به الرياح

٣ اعوذ بوجهك الكريم و كلماتك التّامة من
شرّ ما انت اخذ بناصيته

٤ اعوذ بكلمات الله التامات التي لايجاوزهنّ
برّ و لا فاجر من شرّ ما نزل من السما و الارض
من شرّ فتن الليل والنهار

٥ انّي اعوذ بك من شرّ الاعدا و صغير
الفنا و عضال الداء و خيبة الرجا و زوال النعمة و فجاة
النقمة

٦ اعوذ بك من شرّ كلّ جبار عنيد و شيطان
مريد و شرّ كلّ ضعيف من خلقك و شديد و من
شرّ الشامّة و الهامّة و اللامة و الخاصة و العامّة و من

عن كتاب: ميقات الصلاة، سنة ١٨٤٢.

الشاعر المستشرق الكبير عن استفادة جويته من ترجمة هامر لديوان الحافظ قائلا للعالم النمساوي:
«إن اكثاركم من التآليف يجعلكم لا تتمكنون من تذكر كل ما كتبتم. فلعكم لم تدركوا عند مطالعة كتاب جويته كم من السطور والمصاريع قد اقتبسها هذا الشيخ عن كتابكم «الحافظ» كلمة بكلمة ...»
اما هامر فلم يعجبه طريقة جويته فى تغريبه للحافظ وطعن على الشاعر لاجل اشعاره الجديدة فى الطرز الغربى — الشرقى، وفضل على ديوان جويته الاشعار التى غناها شاعران المانيان اخران، احدهما ريوكرت المذكور واخرهما الكونت بلاتن، لان ريوكرت العبقرى حفظ الاسلوب الشرقى بتمامه حتى انه كان يطبق لاول مرة فى تأريخ الادب الالمانى شكل الغزل فقلده صديقه بلاتن فى هذا الاسلوب البديع وعرفا بذلك عامة القراء فى المانيا على اسم الحافظ الشيرازى والاسلوب الشعرى الشرقى.
وعندما رأى هامر ثمار ترجمته هذه للشاعر الفارسى فى الادب الالمانى اخذ فى ترجمة ديوان المتنبى الذى اعتبره الشاعر الاكبر للعرب، ونشر هذا الكتاب بعد ديوان الحافظ بسنوات عشر راجيا منه عين النتيجة الحسنة وقال: «نعم المترجم إذا اصاب نجاحا وتمكن بواسطة عمله (كما توفق هو بواسطة ترجمته لأشعار الحافظ الفارسى) أن يؤثر على الشعراء الالمان مثل جويته وريوكرت وبلاتن ان يتابعوا توطين الشعر العربى الذى ارتدى حلة المانية...»
ولكنه لم يوفق فى هذة الترجمة، ولم يقبلها العلماء حسن القبول لكثرة اخطائها، ولم يشتغل الشعراء بها لخلوها من الجمال الشعرى وحشوها بعبارات صعبة الفهم على غير المتخصصين، بيد ان بعض اصدقاء المؤلف مدح الكتاب غاية المدح رغم انه لم يبق له اى اثر فى العلم او فى الادب الالمانى.
ومع ذلك لم يزل هامر يقوم بتراجم جديدة، فنشر (بعد ان ترجم اقصوصة «كل وبلبل، لفصلى التركى) سنة ١٨٢٥ ترجمة ديوان باقى الشاعر المشهور التركى (المتوفى عام ١٦٠٠ فى استانبول) ولاشك ان هامر اجاد فى معرفته للغة التركية وكان اكثر أنساًبها منه بالعربية، ولكن اسلوب الشعراء الاتراك فى القرنين السادس عشر والسابع عشر يمتاز بمشكلاته حتى انه يصعب فهمه وحل رموزه على الاتراك انفسهم. وقال هامر فى مقدمته لهذه الترجمة انه بعد ان طوى منطقة البروج فى سماء الادب التركى وجد هذا الشاعر القطب الاعلى والكوكب الازهى، مع انه لا ينكر ان القارىء الغربى قد يستغرب المبالغات الموجودة فى اشعار «باقى» والتلاعب بالالفاظ المتشابكة فى هذه الصنعة.

بعد ان تناول معاصرو هامر «ازهار الجنة وثمارها هذه من المشرق» (كذا وصف بعضهم هذا الكتاب) اشتغل المستشرق الذى لم تأخذه كيلولة ولا كسالة بترجمة الشعر المتصوف الفارسى «كلشن راز» للشبسترى (المتوفى سنة ١٤١٧) احد ممثلى افكار ابن عربى فى ايران. ولم يكن بالوسع فى ذلك الزمن تحقيق ترجمة صحيحة لآثار المتصوفة لان المنابع المهمة لتأريخ هذه الحركة الروحانية والرسائل القديمة الموثوقة كانت لاتزال مجهولة الى حد بعيد. ولذلك حكم ايضا بالفشل على ترجمة اخرى نشرها هامر فى حيز التصوف وهى ترجمة منظومة (!) للتائية الكبرى لابن الفارض التى طبعت مع متنها العربى فى ابهى شكل سنة ١٨٥٤ بمناسبة العيد المئوى للمعهد الشرقى فى فينا. فقال ه. ل. فلايشر H. L. Fleischer وهو اشهر المستشرقين فى اوروبا بعد وفاة استاذه ده ساسى فى هذا التأليف واصفا اياه بكل احتياط:

«اننا لانرى فى هذه الترجمة الملحقة الا طلائع فجر لايكفى لأكثر من ايضاح المعالم العامة والمقاييس الكبرى للقبة الصوفية المحيرة، بينما لايزال قسم كبير من التفاصيل غارقا فى حجب الغسق او فى غياهب الظلام الدامس: ومع ذلك فان من تمنحه السماء فى العقد التاسع من حياته المتوجة بالشهرة القوة على اختراق عالم الظلمات بحثا وراء منابع الحياة كالاسكندر الشاب، فانه يستحق ان ينال على جراءته الطليعية، دون ان تمس حقوق العلم، الاعتبار والتقدير حتى وإن لم يأخذ الخضر بيده ويوصله الى هدفه...»

اما العالم الانكليزى ر. ا. نيكولسون R. A. Nicholson الاخصائى الكبير فى الابحاث عن التصوف فعبر سنة ١٩٢٣ عن هذه الترجمة قائلا بايجاز: «لقد كان من سوء حظ تائية ابن الفارض أن يكون هامر مترجما لها»

وقال هذا المؤلف نفسه فى طريقة هامر فى الترجمة الشعرية للقصائد العربية انها ما كانت الا عبارة عن اقتباس كلمتين او ثلاثة من كل بيت وحشو الباقى بالمعانى التى تخطر فى باله فى تلك اللحظة... وتشبه افادة نيكولسون هذه النقد الذى كان قد نشره العلامة فلايشر السابق ذكره عندما نشر المستشرق النمساوى ترجمته لاطواق الذهب للزمخشرى فى مستهل سنة ١٨٣٥ فنشر فلايشر فى عين السنة تصحيحا لهذا الكتاب مع ترجمة جديدة ناقدا فيها بلا تردد اخطاء هامر وهفواته، وظن هامر ان هذا النقد الشديد من نتائج ظلم فلايشر وقسوته وان مقصده «الاساءة الى المترجم» فقط: ولذلك لم يزل يقاتل العالم المتبحر الالمانى بالقلم وهجاه فى ترجمة رباعى للشاعر التركى «نجمى» فى القصاب لان معنى اسم «فلايشر» هو «قصاب» ويصفه فى هذا الشعر فى لباس قصاب ظالم قاتل يقوم بجرح كل من دناه وبسفك دمائه...

لم يكتف هامر بترجمة دواوين الشعراء المشهورين فحسب بل كان هدفه الاعلى ان يعرض الادب الشرقى بكماله لاهل اوروبا. ولذلك جمع ماجمع من المعلومات واستخلص منها الاخبار المهمة عن تاريخ الادب الاسلامى فألف فيه كتبا ورسائل؛ واحسن ما صنف فى هذا المضمار هو تاريخ الادب الفارسى Geschichte der schönen Redekünste Persiens الذى نشر سنة ١٨١٨، واهداه للاستاذ الكبير فى حيز الاستشراق، سيلفستر ده ساسى. واستفاد جويته من هذا المؤلف واعترف بقيمته قائلا:

«... هذا التصنيف الذى ليس له مثيل، الذى ينقل الينا

Die vierte Tageszeit.

Der Mittag.

Die Zuflucht.

Ich flüchte zu Gott!

Weihrauchopfer.

1. Ich flüchte mich zu dem Herrn der Menschen, zu dem König der Menschen, zu dem Gott der Menschen vor dem Bösen des Einflüsterers, des Seelenverdüsterers, der verwirrt die Brust der Menschen, ich flüchte mich vor dem Bösen der Genien und der Menschen.

2. O mein Gott! ich flüchte mich zu Dir vor dem Bösen, womit die Nächte schwanger gehen, vor dem Bösen der Tageswehen, vor dem Bösen, das die Winde herwehen.

3. Ich flüchte mich zu Deinem Angesichte, dem gnädigen, zu Deinen Worten, den vollkommenen, vor dem Bösen, das Du bei den Stirnenhaaren fassest.

4. Ich flüchte mich zu den Worten Gottes den vollkommenen, wider die der Gerechte und der Lasterhafte Nichts vermag, vor dem Bösen, das niedersteigt von Himmel und Erden, vor dem Bösen der Unruhen bei Nacht und Tag.

5. Ich flüchte mich zu Dir vor dem Bösen der

2

عن كتاب: ميقات الصلاة، سنة ١٨٤٣.

نحن تاريخ الشعر الفارسى ... حقا ان لدينا الآن اساسا يستطاع ان تبنى عليه الآداب الفارسية بصورة بارعة واضحة وشاملة ...»

كان كتاب هامر هذا اجابة لرغبة العلماء الادباء الالمان فى ادراك مقاصد الفنون الجميلة والآداب فى العالم باسره يجعلوها أساساً للثقافة الاوروبية الجديدة، فكانت الحركة الرومانتيكية (فى حوالى سنة ١٨٠٠) فى المانيا وسائر بلدان الغرب قد ايقظت الميل الى حضارة الشرق والرغبة فى التعمق فى درس هذه الحضارات القديمة الفنية، اى حضارة «المشرق الاكبر» المعتبر اذ ذاك موطن الثقافة ومنبت الاديان ومنبع كل ما هو كبير وجليل فى تاريخ بنى البشر. واذا بهامر يقدم لمواطنيه منتخبات من ادب هذا «الشرق الاسطورى» ورسم لهم ما يشبه رسما تخطيطياً لتطور الادب الفارسى من ابتدائه الى القرن السابع عشر. وكان حب الالمان للايرانيين حديثا فى ذلك الوقت لان علماء اللغة قد اطلعوا على تجانس اللغتين الالمانية والفارسية ولاشك ان

Der

Diwan

von

Mohammed Schemsed-din Hafis.

Aus dem Persischen

zum

erstenmal ganz übersetzt

von

Joseph v. Hammer,

K. K. Rath und Hof-Dollmetsch, Mitglied der Akademie von Göttingen, Korrespondent des Instituts von Holland.

Erster Theil.

Kes tschu Hafis nekesched es ruchi endische nikab
Ta serf silf arusani suchan schane sedend.

Keiner hat noch Gedanken,
Wie Hafis, entschleiert,
Seit die Locken der Wortbraut
Sind gekräuselt worden.

CIX. Buchst. Dal.

Stuttgart und Tübingen,
in der J. G. Cotta'schen Buchhandlung.
1812.

عنوان لترجمة ديوان حافظ الشيرازى، ليوسف فون_هامر. شتوتجارت سنة ١٨١٢.

هذه المناسبة ايقظت اهتمام الناطقين بالالمانية بتأريخ اقربائهم البعيدين.
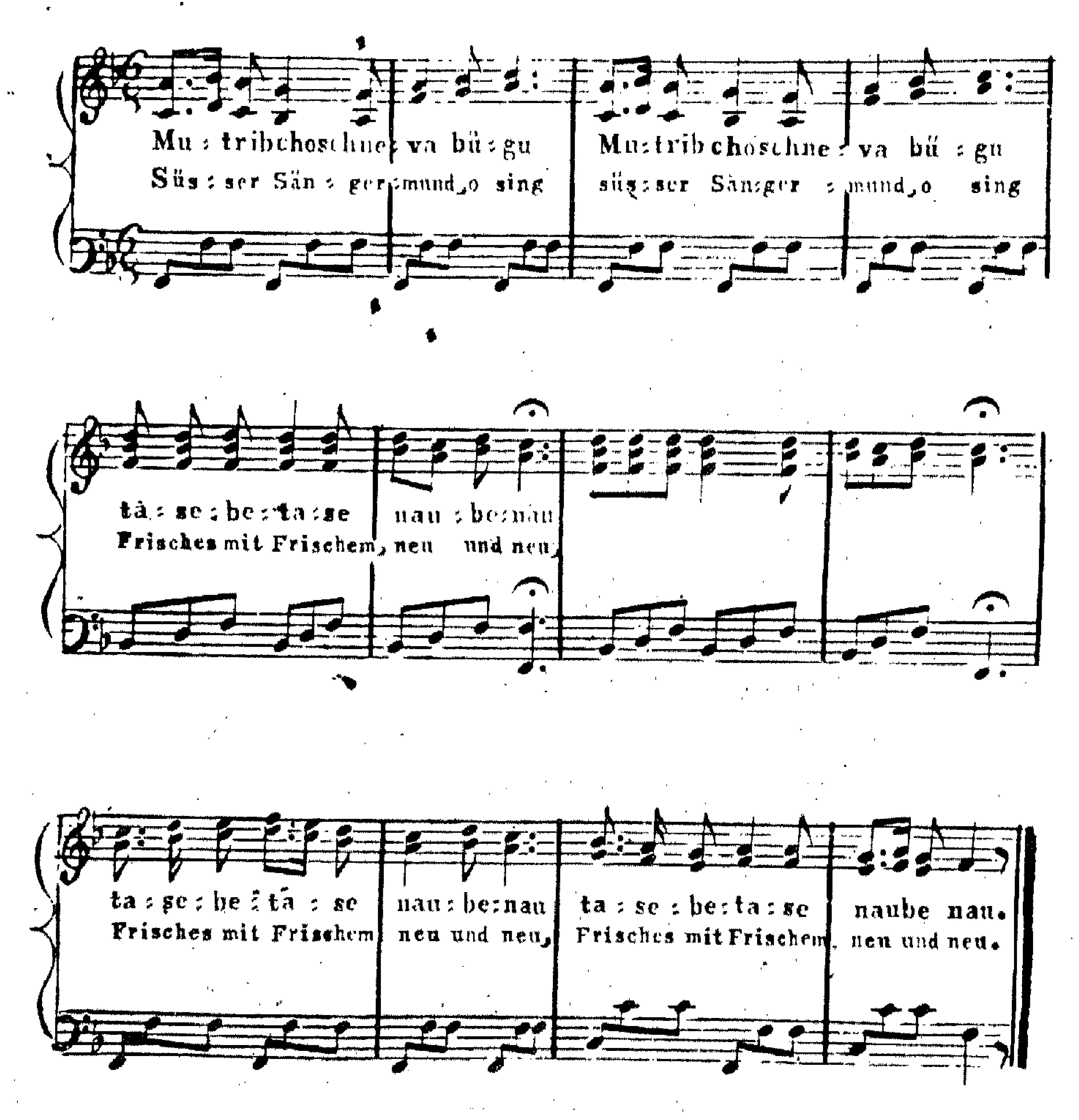
اما «تاريخ الادب الفارسي» لهامر فهو، كما قال المؤلف، «ثمرة مطالعة خمسين مثنويا وديوانا ذات اكثر من مليون بيت». قسم الكتاب سبعة فصول مبتدئا من زمان فردوسى الطوسى (المتوفى حوالى سنة ١٠٢٠) الاستاذ الاول للنظم الفارسى، وعدد هامر الشعراء السبعة الكبار الذين وجدهم فى هذه القرون، وهم فردوسى، ثم انورى (المتوفى سنة ١١٧٠) الذى اشتهر بالقصيدة المدحية، وعين الزمان نظامى (المتوفى عام ١٢٠٩) الذى بلغ نهاية الجمال فى اقاصيصه الشعرية الرومانتيكية التى قلدها فى العصور القادمة شعراء عديدون فى ايران وتركيا والهندوستان. وفى القرن الثالث عشر نجد سعدى الشيرازى (المتوفى سنة ١٢٩٢)، مؤلف اشعار وحكايات مليحة، منها «كلستان» المشهور، وكان معاصره المتصوف الاكبر مولانا جلال الدين الرومى (١٢٠٧—١٢٧٣). ثم فى القرن الرابع عشر نرى الحافظ الشيرازى (المتوفى تقريبا سنة ١٣٨٩) الذى لا كفؤله فى صنعة الغزل وفى ظرافة الافادة وحسن البلاغة. اما فى القرن الخامس عشر فقد جمع مولانا عبدالرحمن جامى (المتوفى عام ١٤٩٥) فى آثاره كل ماسبق من الفنون، اقصوصة كانت ام غزلا، حكاية كانت ام شعراً متصوفا. وترجم هامر منابعه الفارسية بلا نقد، كما عثر عليها، وترجم ايضا كثيرا من ابيات هؤلاء الشعراء، ورغم بعض اخطائه فان هذا الكتاب مازال يحتفظ بقيمته الى الآن لان هامر اوضح فى مقدمته اسلوب الشعر الفارسى واهم التعابير والرموز والايماءات التى يستعملها الشعراء والتى لا بد من درسها لمن اراد فهم الادب الشرقى.

وبعد ان نشر هامر هذا التأريخ بعشرين سنة، قام بتأريخ الشعر العثمانى باربعة مجلدات، تشتمل على اسماء ٢٢٠٠ شاعر! ولا عجب ان العالم الذى أبى على نفسه التعب والعجز التى سنة ١٨٤٩ اثنى عشرة محاضرة بين فيها تطور الادب العربى ونشر متن هذه المحاضرات فى رسالة له، ونستدل من اسلوب بيانه انه الآن قدهجر الايرانيين واخذ يفضل عليهم العرب كل تفضيل. قال:

«ان الايرانى يخنق صوت الطبيعة لأنه يملأ فاه باللؤلؤ واوراق الورد بينما تتمكن الطبيعة من قلب الشاعر العربى مرسلة من اعماق صدره صدى يدوى فى افلال الصحراء».

ولما توفى هامر سنة ١٨٥٦ كان قد أكمل سبعة مجلدات ضخمة جدا لتاريخ الادب العربى الذى قصد منه جمع كل المعلومات التى كان العرب قد جمعوها عن آدابهم. ومما يبعث على الاسف انه لايستطيع احد الآن مطالعة هذه المؤلفات الهائلة لانها تفتقد الى الترتيب، ومما زاد فى صعوبة الفهم ان هامر على عادته ترجم الابيات باجمعها نظما، وان اعجبنا اجتهاد المؤلف الذى قد فاق الثمانين من عمره فلا يمكننا ان نعترف لهذا التأريخ الادبى بقيمة علمية او شعرية ...

وكان هامر طول حياته يرغب فى اعداد مجموعات شعرية من تآليف الشعراء الشرقيين، وكان قد ابتدأ بهذا الطرز فى رسالته المقدم ذكرها «شيرين» التى يحكى فيها اسطورة الملكة شيرين وعشق فرهاد البناء، استنادا الى اشعار شتى فارسية وتركية. ومثال اخر هو المجموعة المسماة بعطر الورد (Rosenöl) وهى مشتملة على حكايات واخبار من بلاد الاسلام، وزد على هذا منتخبات من القاموس الفارسى «فرهنگ شعورى» تحت عنوان «اطواق الجواهر لابى



عن كتاب هامر: تاريخ الاداب الايرانية، نشر فيه لاول مرة النوتة الموسيقية لمقطوعة غزل لحافظ الشيرازى.

المعالى» Juwelenschnüre Abu'l-Maâlis، ولكنه لم ينل من المديح لهذا الكتاب ما كان يرجوه. و نجد بعد ذلك خلاصة للاقصوصة الفارسية الشعرية «وامق وعذراء» القديمة (سنة ١٨٣٣) كما الف فى ذكرى زوجته المرحومة عام ١٨٤٤ مجموعة جميلة من الادعية العربية مع ترجمتها الالمانية اسمها «ميقات الصلاة».

ومع ان هذه الترجمات والمجموعات وتواريخ الادب الاسلامى شغلت هامر لسنوات فقد اغتنم الفرصة ايضا لتأليف كتب شعرية ملهمة عن روح الشرق. فألف سنة ١٨١٨ رسالة سماها «البرسم الشرقى» تحتوى على «اناشيد فارسية وندبات عربية ومدائح تركية» وفى كل من الاقسام الثلاثة توجد سبع قصائد تعبر السبعة الاولى عن فضائل الدين الايرانى القديم، إذ كان هامر يظن ان افكار الدين الزردشتى وقوانينه الاخلاقية كانت قابلة التقليد فى الادب الالمانى بيد ان هذه الديانة والحضارة الايرانية القديمة كادت ان تكون مجهولة فى اوروبا فى ذلك العصر. وعبرت قصائد هامر «العربية» عن طبيعة مصر وفيها يجذب الشاعر نظر القارىء وينقله من ظواهر الطبيعة الى بواطن الروح الانسانية. اما فى القسم الثالث فانه يبتدئ باشعار منسوبة الى يوم الجمعة وفيه مجموعة من امثال تركية. — ومما يشبه هذا الكتاب رسالة اخرى اسمها «حباب العطر» Duft-körner، مقصدها «صهر حرارة الشرق بتألق الغرب،

حركة العقل براحة القلب» (سنة ١٨٣٦). يختم هامر هذه المجموعة بقصيدتى «الرجل الشيخ عند مولده الخمسين» و «الشيخ فى الثالثة والستين» جامعاً فيها اقوال الشعراء فى الشيخوخة ووصفهم للعجز وشكاياتهم منه.

ولم يتورع هامر عن ولوج حقل التمثيل المسرحى، وأول موضوع وجده لائقاً للمسرح الالمانى هو «جعفر او سقوط البرامكة» (كتب سنة ١٨٠٧، وطبع فى عام ١٨١٣) وكان لتأريخ البرامكة شهرة خاصة فى اوروبا منذ اوائل القرن الثامن عشر وقد كان الف بعض المؤلفين مآس فى قضاء جعفر وعباسة، اخت هارون الرشيد (منهم م. كلينجر M. Klinger سنة ١٧٨٢)؛ ولماتناهت اخبار المسرحية المذكورة الى مسامع جويته رغب فى تدقيق اثر هامر هذا وكان قد قال لصديق لها قبل ذلك:

«انى أتلهف لمشاهدة «البرامكة»، وليست هذه هى المرة الاولى التى تتملك فيها شعور المرء حالة استثنائية فيرى نفسه مضطرا لان يعبر عن هذه الحالة المعقدة والغامضة بأسلوب التمثيلية او المسرحية. فاذا نظرنا الى هذا العمل بأكمله من هذه الوجهة الاخيرة ظهر لنا انه عمل بدون جدوى، ومع ذلك فان الرجل قد نقل الينا شيئاً لم يستطع التعبير عنه بالاسلوب القصصى او باسلوب الاحاديث وانى لابد مخطىء خطأ كبيرا اذا لم تكن لهذه المسرحية قيمة لا بأس بها من هذه الناحية..»

خيل لهامر تصنيف كثير من المآسى الشرقية ولكنه لم ينشر منها الا واحدة بعد نشر «جعفر» وهى «محمد او محاصرة مكة» (١٨٢٣). اراد المؤلف منها الرد على المأساة المشهورة للفيلسوف الفرنسى فولتر Voltaire (١٦٩٤—١٧٧٤) الذى كان قد صور محمدا الرسول فى شكل خائن منافق تابعا التقاليد الغربية القديمة وهادما من وراء تلك المسرحية الهجوم على الاديان باجمعها لا على الاسلام وحده. اما هامر فحاول فى هذه المسرحية الدفاع عن محمد ونواياه وان لم يوفق من اللحاظ الفنى الجمالى.

وفضلا عن هاتين المأساتين نجد هامر يكتب (وذلك ايضا فى عام ١٨٢٣) ثلاث مسرحيات خفيفة، مواضيعها ماخوذة من الادب الهندى والفارسى والتركى (Memnons Dreiklang).


ولكى يتحقق هدفه فى عقد الصلة بين الشرق والغرب لم يكتف هامر بترجمة اشعار شرقية الى الالمانية بل قام ايضا بترجمة افكار الامبراطور الرومانى ماركوس اوريليوس (المتوفى سنة ١٨٠) الى الفارسية ليستفيد اهل الشرق من نموذج من الحكمة الغربية (سنة ١٨٣١).

وان كان القارئ الصابر قد تابع تعداد آثار هامر الادبية الى الحد الذى وصلنا اليه فلا شك ان تأخذه الحيرة تجاه هذا الجلد وهذا الاجتهاد، ولعله يظن ان هذا الانتاج سيكفى لحياة رجل بل بضعة رجال. ولكنه سيزداد دهشة وتعجبا اذا داوم على متابعة فعالية هامر فى سائر ميادين العلم، لان العالم النمساوى كان مشغوفا لا بالاداب الشرقية فحسب بل بتأريخ الشرق على العموم، وقد نشر مؤلفاته الاولى فى هذا المضمار عند اقامته فى استانبول حيث حصل على كثير من الوثائق المفيدة لتأريخ الدولة العثمانية، والف نتيجة لذلك التحصيل كتابا عن دستور الدولة العثمانية وسياستها Des Osmanischen Reiches Staatsverfassung سنة ١٨١٦. وبعد ذلك بسنتين، فى ١٨١٨ نجده ينشر «تاريخ الحشحاشين» الذى اهداه للمؤرخ الشهير ى. فون ميولر J. von Müller الذى لفت انتباهه الى مسائل تأريخية عندما كان هامر فى عنفوان الشباب. وظن هامر ان تأريخ الحشحاشين «سيفتح بابا الى معادن التأريخ الاسلامى المجهولة». ولكن القارئ العصرى لايرى فيه الا تجربة ضعيفة لايضاح وقائع كثيرة التشاكل لم يمكن فى ذلك الزمن ايضاحها لنقصان المنابع وقحط البحاث وعدم توفر الوسائل العلمية. وهامر محق فى وصفه وضعية المؤرخ الباحث عن اى موضوع فى تأريخ الاسلام حيث يقول:

«إن المؤرخ ليشاهد امام ناظريه سطوة ممالك الدنيا العظيمة وقد انصبت اشعتها فى نقطة واحدة الى جانب قوة كل من الدول المتعددة وقد توزعت فى الف شعاع، وانه ليرى السير الاسطورية لأقدم الممالك الى جانب ادق التواريخ لاحدثها، كما يبدو امامه عهد الجاهلية قبل بعث الرسول، وايام المعرفة والهداية بعده، كل ذلك الى جانب معجزات الفرس، وبطولات العرب، وروح المغول المدمرة التى اجتاحت اطراف العالم، وحكمة العثمانيين فى اقامة دولتهم وتدعيمها ...»

ولما كان هامر طالبا فى المعهد الشرقى أخذ بمطالعة «كشف الظنون» لحاجى خليفة الاديب التركى (المتوفى ١٦٥٧) وكرر مطالعة هذا الكتاب مرارا ثم اضاف على المعلومات التى حصالها من الكاتب التركى المتبحر ماجمعه من الوثائق الرسمية والمخطوطات فكتب «تاريخ الدولة العثمانية» وهو عشرة مجلدات، ولكنه صنف ايضا خلاصة ذات اربعة مجلدات لهذا التأليف العظيم الذى مازال ذا قيمة واهمية الى الآن لانه يحتوى على اخبار لا توجد فى مؤلفات اخرى بيد ان اسلوبه صعب جدا، كثير التشبيهات يشبه اسلوب المؤرخين العثمانيين. ومع ذلك فقد بدئ فى

 فينا: الحوش الكبير لقصر شونبرون Schönbrunn (المبنى بين عامى ١٦٩٤ و ١٧٧٥). تصوير: هاينس برناتسيك، ووكارابروك، نمسا.



المانيا بطبع واصدار جديد لهذا التأريخ سنة ١٩٦٣.
وفي الفترة نفسها جمع هامر سير الخلفاء والامراء والملوك الكبار ونشر خمسين منها في «ايوان الصور لحكماء المسلمين الكبار في القرون السبعة الاولى للهجرة» Gemäldesaal يعالج فيه مفصلا سير الملوك المشهورين في بلاد الاسلام، مبتدئاً بسيرة الرسول الى ان ختم كتابه (وهو ٢ مجلدات، نشربين العامين ١٨٣٧ و ١٨٣٩) بسيرة قلاوون المصري.
ولكنه كف عن معالجة تاريخ الاسلام باسره معترفا
«ان عروق الذهب والكنوز الخفية في تاريخ العرب والفرس والاتراك العثمانية والتتر ليست معروفة معرفة كافية والذهب الخام الذي تحتويه هذه الكنوز لم تجر عليه لحد الآن عمليات الغربلة والتصفية بشكل يدعو الى الراحة ولم تفصل الجواهر الثمينة بعد من التربة الملتصقة بها ولم يصقل بعد جيدا بحيث يمكن ان يؤلف منها الآن عمل فني تاريخي عظيم.»

ومع ذلك تجاسر هامر على تأليف تأريخ للاولاد مونكه سبط جنكز خان الذين اشتهروا باسم «السلالة الذهبية» في القبجق في جنوب روسيا؛ وسبب هذا المؤلف الذي صنفه هامر اجابة لمسابقة علمية اقامتها الاكاديمية الامبراطورية الروسية مناقشات طويلة ومعارضات قبيحة بين هامر وزملائه الروس الذين رفضوا الكتاب تماما ولم يعتبروه جديرا بالجائزة الموعودة. ولم تمنع تلك النتيجة الحزينة العالم النمساوي من ان يكتب رسائل اخرى في تأريخ الاتراك والتتر، منها تاريخ الايلخانيين في ايران (١٨٤٢) وتأريخ ملوك القريم (١٨٥٦). وترجم ايضا تأريخ وصاف المؤرخ الفارسي المشهور بصعوبة اسلوبه المزهر المسجع.
هذا والكتب المذكورة كلها لا تستحق الذكر الا لانها شاهدة على اجتهاد هامر الذي لم يهتم بمشكلات المتون ولا بانتفاء وجود المصادر الكافية لاضاءة ظلمات هذه الادوار التأريخية غير المعروفة بل كتب ما كتب كأن القلم يحرق اصابعه وكأن لا يضيع وقتا في تنظيم مؤلفاته او في تصحيحها ولم يقبل اى نقد لطريقته العلمية.
إن ماذكرناه من الكتب حتى الآن هى الكتب الكبيرة الحجم، ولكن هامر ألف علاوة عنها رسائل غير معدودة في مسائل مختلفة، في البيزرة وفي الموسيقى الشرقية، في دين ميتراس الايراني وفي الفرسان الرهبان، ولم يهمل تاريخ وطنه النمساوي ولا الادب الاوروبي في منشوراته التي تكون في الواقع مكتبة خاصة ذات مئات الرسائل ....
ادعى هامر انه لم يعرف الطموح ولا الغيرة الشخصية وانه لا سبب لفعاليته العظيمة الا الهمة العليا وحب العلم. وقال اخرون انه كان يحب المناقشات والتفاخر حتى أن هذه الاوصاف غير المحمودة افقدته كثيرا من اصدقائه. ومثال مشهور لهذه الغيرة هو مناقشته مع تلميذه ريوكرت السابق ذكره حول تلفظ بعض الكلمات الفارسية، وايضا لان ريوكرت قد وفق في ترجمة باعثة الحيرة لمقامات الحريري؛ وان كان هامر قبل هذه الترجمة الشعرية المسجعة لأول وهلة بيد السرور ونظم فيها رباعيا معبرا عن تمنيه الخالص بان هذا الكتاب سيطبع بالذهب على البردي، الا انه قام بعد مدة بانتقاد نفس الترجمة وبتوجيه اشد الوان الملامة للمترجم العبقري مدعيا انه نفسه ابدع الاسلوب المسجع في الادب الالماني وان ريوكرت غير معنى الكلمات والتعابير لاجل مقاصد جمالية ...
ولكن علينا ان نعترف ان هامر كان يمد مواطنيه وتلامذته كل عون اذا ارادوا درس الشرقيات والتحصيل على معلومات في مواضيع شرقية. كما قال في رباعي له، مشيرا الى معنى اسمه هامر وهو «مطرقة»:

Ich bin genennet Jussuf Hammer,
Doch heiss' ich nicht für alle gleich:
Den Freunden Jussuf in der Kammer;
Die Feinde trifft des Hammers Streich.

وسميت يوسف ذا المطرقة
ولكن اسمي ليس سواء:
في الدار بين الاحبة يوسف
لكن على الخصم تهوى المطرقة.

واجاد احد المستشرقين الالمان وهو آلوارد Ahlwardt (١٨٢٨–١٩٠٩) في مقالته عن خلف الاحمر حيث يصف ترجمة هامر لقصيدة هذا الشاعر كثمرة من اثمار خياله، لما اعترف بخصوصية هامر قائلا:
«كان هدفه أن يفهم الشرق من جميع نواحيه وأن يقود العالم الاوروبي لادراك الشرق كما انطبع في عقله. هذا يفسر لنا سر نشاطه الفذ والدافع الداخلي لاقتباسه المعارف والسعي الى اطلاع الغير على المعلومات وهذا سبب انتاجه الخصب لكتب كبيرة وسبب كده وعمله المتواصل دون كلل طالما كان في حيز النهار».
ومع كل اخطائه اللغوية و النحوية، ومع ان اكثر مؤلفاته العلمية لم تثر الا نقد المستشرقين الشديد، فانه يجب على القارئ الاعتراف انه لا يوجد مستشرق في تأريخ الثقافة الالمانية أثر في ادب عصره تأثير هامر الذي وفق الى الهام شاعرنا الاكبر بغناء اشعاره الخالدة في ديوانه الغربي- الشرقي.

وقد ضربت حكومة النمسا وساما تذكاريا لهامر، منحوتا عليه
إنه وصل بين آسيا واوروبا

مِمَّا ٱسْتَجَدَّ فِي عِلْمِ ٱلفَلَك

عن اودو بكر

بقلم محمّد عَبده ابراهيم

١) مقدمة:

إذا ما قارنا عالم ٱلفلك بغيره من علماء ٱلطبيعة لوجدنا أنه يواجه صعوبتين، غير عاديتين، تحدان من جودة إنتاجه، مما لايتعرض له، سوى أقلية ضئيلة، من ٱلعلماء ٱلآخرين. وتتلخص ٱلصعوبة ٱلأولى فى أن ٱلمسافات، ٱلتى تفصله عن ٱلأجرام ٱلسماوية، وغيرها مما فى ٱلكون، أى تلك ٱلمسافات، ٱلتى تفصل عالم ٱلفلك عن مواضع بحوثه، هى مسافات جد كبيرة يعجز ٱلعقل ٱلبشرى، فى معظم ٱلأحيان، حتى عن مجرد تصورها. وبذلك فان عالم ٱلفلك غيرقادر على أن يتصل، ٱتصالا مباشرا، بالأجرام وٱلمواد وٱلظواهر ٱلطبيعية، ٱلتى يدرسها. وقد نتج عن ذلك، إعتماد علماء ٱلفلك فى بحوثهم كل ٱلأعتماد تقريبا، على ٱلأشعاعات، ٱلتى تصل الى سطح ٱلأرض من ٱلكون وما فيه، وذلك فيما عدا بعض ٱلحالات، ٱلتى يصح ٱلتجاوز عن ٱلخوض فيها فى هذا ٱلمقال، وذلك للأختصار.

أما ٱلصعوبة ٱلثانية فتنشأ عن وجود غلاف جوى، يحيط بالكرة ٱلأرضية. وما هذا ٱلغلاف، فى ٱلحقيقة، سوى ستار يمنع جزءا كبيرا من ٱلأشعاعات، ٱلتى تنبعث فى ٱلكون، من ٱلوصول الى سطح ٱلأرض كلية. أضف الى ذلك، أنه حتى هذا ٱلقدر ٱلقليل من ٱلأشعاعات، ٱلذى ينفذ الينا من هذا ٱلستار يتغير، فى معظم ٱلأحيان، من حيث ٱلكم وٱلجوهر، وذلك لمجرد ٱختراقه للغلاف ٱلجوى، ٱلذى يحيط بكوكبنا.

٢) المسافات ٱلكبيرة بين مرصد على سطح ٱلأرض وبين ٱلكون وما فيه:

لماكانت قوانين ٱلطبيعة، ٱلتى يطبقها عالم ٱلفلك، فى مرصده على سطح ٱلأرض ٱليوم، هى قوانين صحيحة، فى كل مكان وزمان، فان ٱلمسافة ٱلكبيرة، ٱلتى تفصل ٱلراصد، من سطح ٱلأرض، ممايرصده فى ٱلكون، لا تؤثر تأثيرا مخلا بالنتائج، ٱلتى يحصل عليها. وللتدليل على صحة ذلك نقول، بأن قوانين ٱلأشعاع مثلا، ٱلتى تطبق ٱلآن فى مرصد ما على سطح ٱلأرض، هى بعينها نفس ٱلقوانين، ٱلتى تتحكم فى نفس ٱلوقت، فى إشعاعات كوكبة من ٱلنجوم، تبعد عن مجموعتنا ٱلشمسية مسافة قدرها، أربعمئة مليونا من ٱلسنين ٱلضوئيةمثلا. ومعلوم أن ٱلسنة ٱلضوئية، هى تلك ٱلمسافة، ٱلتى يقطعها ٱلضوء فى سنة واحدة، وأن هذه المسافة تبلغ ٩،٥ بليون كيلو متر تقريبا. ونضيف الى ما تقدم، أن قوانين ٱلأشعاع هذه، هى بعينها نفس ٱلقوانين، ٱلتى كانت قد تحكمت فى إشعاعات، لانراها أو لا نسجلها إلا ٱليوم، كانت قد ٱنبعثت من نجم معين، منذ ملايين ثلاثة من ٱلسنين مثلا. ولا يتسع ٱلمجال هنا للحديث عما يجب ٱستثناءه من هذه ٱلقاعدة ٱلعامة.

٣) تاثيرات جو ٱلكرة ٱلأرضية على ٱلأشعاعات، ٱلتى تنبعث فى ٱلكون:

ويختلف ٱلوضع، إختلافا بينا، بالنسبة للصعوبة ٱلثانية، ٱلتى تحدثنا عنها بعاليه، اذ أن ٱلموضوعات، ٱلتى تشغل علماء ٱلفلك بصفة مستمرة تقريبا، هى فى حقيقة ٱلأمر، تلك ٱلفروق، بين ٱلأشعاعات ٱلموجودة فعلا فى خارج غلاف كوكبنا ٱلجوى، وبين ما يصل إلينا من هذه ٱلأشعاعات، وهى فروق تنشأ عن وجود هذا ٱلغلاف بالذات. وقد نتج عن ذلك، أن تركزت ٱلبحوث ٱلفلكية تقريبا، فى خلال العشرين سنة ٱلاخيرة، على حل معضلة ٱلفلك ٱلكبرى، ألا وهى ٱلحد من تأثيرات غلاف ٱلكرة ٱلأرضية ٱلجوى، على ٱلأشعاعات، ٱلتى تصل إلينا من ٱلكون. أما ٱلحل ٱلمثالى لهذه ٱلمعضلة، فلا يعدو أن يكون ٱستئصال هذه ٱلتأثيرات ٱلجوية، ٱستئصالا باتاً.

ولعله من ٱلمفيد أن نشير، فيمايلى، الى بعض هذه ٱلتاثيرات ٱلجوية، إذ أنها تحد من قيمة ٱلبحوث ٱلفلكية، ٱلتى تجرى من سطح ٱلأرض، علاوة على كونها تحد أيضا من جودة ٱلرصد ومن مداه:

٣،١) يمتص ٱلجو ٱلجزء ٱلأكبر من ٱلموجات ٱلكهرامغناطيسية، وكذلك من ٱلجزيئات ٱلكمية، ٱلتى تصل اليه من ٱلكون، فهو يمنع بذلك،

مايمتصه منها، من الوصول الى المراصد المركبة على سطح الأرض كلية.

٣،٣) ليس الجو، المحيط بالكرة الارضية، بجو متجانس. ويرجع ذلك الى أسباب عدة، منها ذلك الاختلاف فى درجة الحرارة وفى الكثافة بين منطقة جوية ومنطقة أخرى. وينشا عن عدم تجانس المناطق الجوية المختلفة، تيارات مضطربة Turbulenz، من شانها، أن تخبو صور المرئيات عما لو آن الجو كان متجانسا. وخلاصة القول أن الجودة الفعلية لتلسكوب (مقراب) معين، مثبت على سطح الأرض، تقل عن جودته النظرية، كما أن هذا لاينشأ الا من ذلك الغلاف الجوى، الذى يحيط بالكرة الأرضية.

٣،٣) تتبادل الأجرام السماوية وغيرها مما فى الكون، مع ذرات الجو وجزيئاته، تأثيرات كهرامغناطيسية كمية معينة، يتسبب عنها تفريق الضوء او استطارته. زد على ذلك أن تبادل هذه التأثيرات، قد يكسب الجو ضوءا ذاتيا، لم يكن موجودا فى الأصل. أما النتيجة الحتمية لهذين العاملين، فهى الحد من مدى الأبصار بتلسكوب معين، وبذا يصبح مدى الأبصار الفعلى، أقصر من مدى الأبصار النظرى، لهذا التلسكوب.
ويروقنى أن أسجل هنا، أن لزرقة السماء نهاراً، وكذلك لعدم إمكان رؤية النجوم أثناء النهار، علاقة باستطارة الضوء، التى ذكرتها آنفا. وتجدر الأشارة أخيرا الى وجود إشعاعات ثانوية بالجو، تشوش على الأشعاعات الأصلية، أو قد تحجبها عنا كلية. أماعن كيفية وجود هذه الأ شعاعات الثانوية، فانها تنتج عن تبادل التأثيرات، بين الجزيئات الكمية، التى تصل من الكون الى الجو، وبين ذرات الغلاف الجوى وجزيئاته.

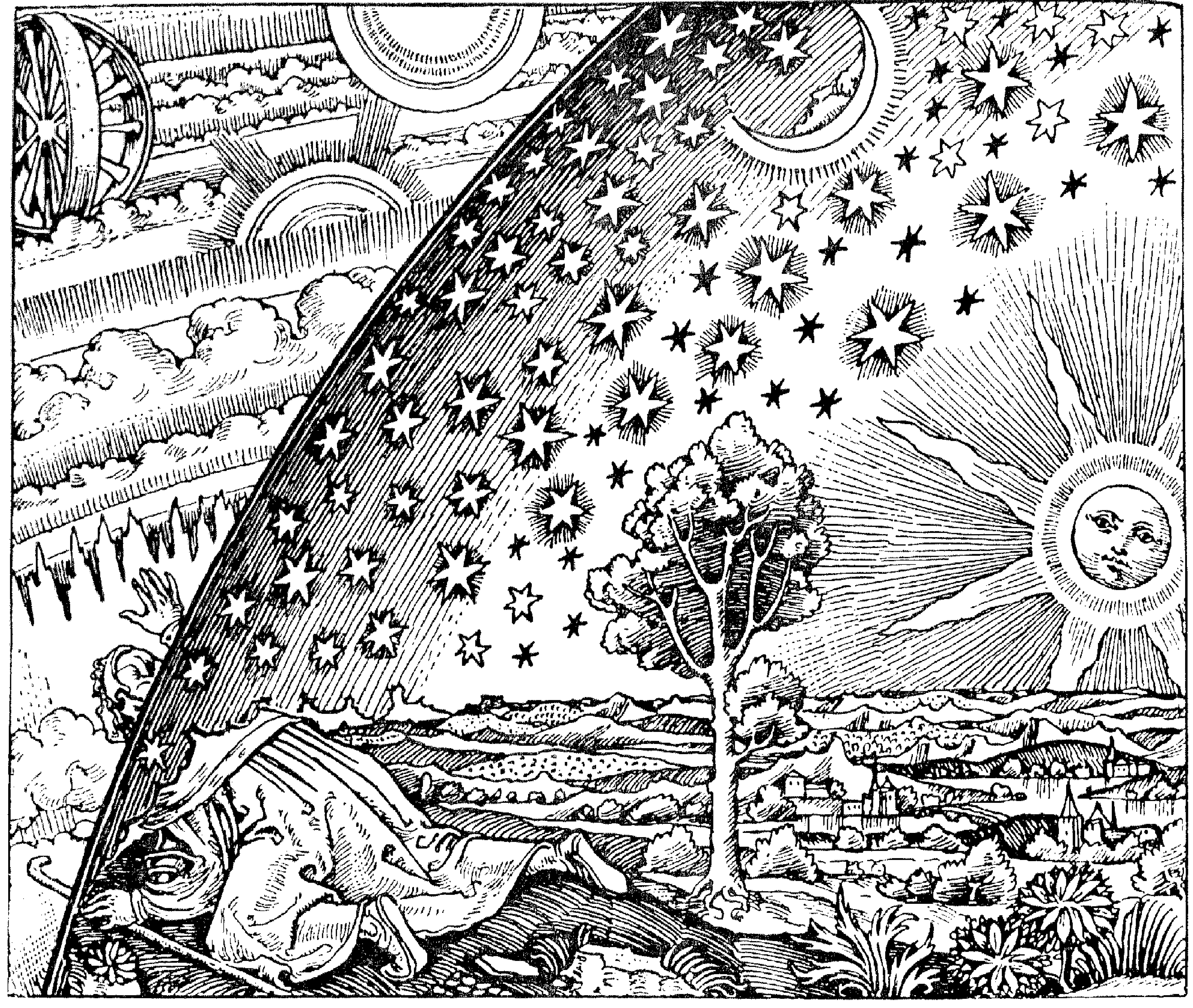
ومجمل ما أسلفنا، أن غلاف الكرة الأرضية الجوى يعوق علماء الفلك عن التعرف، تعرفا تاما، على حقيقة الأشعاعات الموجودة فى خارجه، كما أن هذا الغلاف يحد من جودة الرصد ومن مداه، مما دفع هؤلاء العلماء دائما، الى محاولة التخلص من تأثيرات هذا الغلاف الجوى، على بحوثهم. وإنه لمن دواعى الغبطة، أن نقررهنا، أن أمل العلماء فى التخلص من هذه التأثيرات، قد تحقق أخيرا، الى درجة كبيرة، بطرق مختلفة. ولم يتحقق هذا الأمل عفوا، بل تطلب تطبيق أحدث نظريات الطبيعة، كما استلزم أيضا إستخدام أقصى ما وصل اليه المهندسون من فن وخبرة.
وهناك وسيلتان أساسيتان للحد من تأثيرات الجو على البحوث الفلكية أو لاستئصالها كلية. و تتلخص الوسيلة الأولى فى البحث عن أشعة تتميز بعدم تأثير الجو عليها أصلا، أو بأن يكون تأثير الجو عليها ضئيل للغاية. وأما الوسيلة الثانية، فهى العمل على إجراء البحوث الفلكية من مراصد موجودة فوق غلاف الكرة الأرضية الجوى.
وأبرز حل أدت الوسيلة الأولى إليه، هو استخدام اللاسلكى فى البحوث الفلكية، كما أدت الوسيلة الثانية الى استخدام البالونات (المناطيد)، والصواريخ والأقمار الصناعية ومسابر الكون الاستطلاعية، فى هذه البحوث.

٤) علم الفلك اللاسلكى و الطيف الكهرامغناطيسى:

لم يحب الله الأنسان بالقدرة على رؤية طيف الموجات الكهرامغناطيسية كاملا، بل إن الأنسان لايرى منه، سوى جزءا ضيقا، يسمى بالضوء، وهو ذلك الجزء من الطيف، الذى يتغير الطول الموجى فيه، من ٤٠٠٠ الى مايقرب من ٧٠٠٠ أنجستروم. ومعلوم أن الانجستروم وحدة أطوال تساوى ٠٠٠١ ٠٠٠٠و٠ ملليمترا.

٤،١ نافذة الأبصار عبر جو الكرة الأرضية:

يمتص الأوزون الموجود بالجو على ارتفاع يختلف من ٢٠ الى ٤٠ كيلومترا، من سطح الأرض، جزئين من الطيف الكهرامغناطيسى، يقال لأولها «أشعة ما فوق البنفسجى»، كما يسمى الجزء الثانى «أشعة رنتجن». وأطوال الجزء الثانى الموجية، أقصر من أطوال الجزء الأول الموجية، كما أن هذه الأطوال، فى كل من الجزئين، أقصر من طول موجات الضوء البنفسجى.
ويبتلع كل من بخار الماء وثانى أكسيد الكربون، الموجودين فى طبقات الجو، القريبة من الأرض، جزءا آخرا من الطيف، يسمى «أشعة مادون الأحمر»، كما أن أطوال هذا الجزء الموجية، أكبر من طول موجات الضوء الأحمر.
أما الموجات الضوئية، فيما بين الضوءين البنفسجى والأحمر، فانها تنفذ فى طبقات الجو وتصل الى الأرض. ولما كانت الموجات الضوئية تقع، فى الطيف، بين ما يمتصه الأوزون من ناحية، وبين مايبتلعه بخار الماء وثانى أكسيد الكربون من الناحية



صورة العالم كما تخيلها احد كبار الفلاسفة الألمان فى القرون الوسطى، وهو نيكولاس الكوسانى Nikolaus Cusanus (من ١٤٠١ الى ١٤٦٤)

وكان من رجال الكنيسة، ذا نفوذ واسع حتى انه عين فى منصب اسقف فى النمسا واصبح كاردينالا، وكان صديقا للبابا بيوس الثانى. ومع كونه قسا كان لنيكولاس معرفة موسوعية فى مضهار العلوم الطبيعية، وكان هو اول من رسم خريطة لممالك اوروبا الوسطى، واشتغل باصلاح التقويم وبعلم النجوم حتى انه حاول اثبات توافق العلوم الرياضية واللاهوتية. وكانت فلسفته واقعة تحت تأثير الفلسفة الافلاطونية المحدثة ويظهر فيها تمايل الى التصوف.

اشترك نيكولاس الكوسانى فى المجلس الكنسى الذى عقد فى مدينة بال سنة ١٤٣٢؛ وهناك صاحبه احد الرهبان الاسبانيين الذى حدثه عن وضعية الاسلام والمسلمين فى اسبانيا وعن التراجم اللاتينية للقرآن الكريم وعن بعض الرسائل العربية. ثم سافر مع رجال الكنيسة الى القسطنطينية ليدعو رجال الكنيسة اليونانية للاتحاد مع الكنيسة الرومانية وكانتا قد افترقتا منذ نحو ثلاثة قرون؛ ومن المعلوم انه واصدقائه لم يتوفقوا فى ذلك، ففتح محمد الفاتح السلطان العثمانى مدينة القسطنطينية بضع سنوات بعد ذلك. وسبب هذا الفتح الاسلامى مجادلة روحانية فى الغرب، فألف رجال الكنيسة عددا من الرسائل قصدوا منها الدفاع عن العقائد المسيحية وتنصير المسلمين .. ونجد بين هذه الكتب ايضا رسالة لنيكولاس الكوسانى تحت عنوان Cribratio Alkoran اى «غربلة القرآن» (كتبت سنة ١٤٦١). ومن الطبيعى ان هذا المصنف لاينصف فى حق الاسلام كما جرت العادة فى تلك العصور، ومع ذلك كان المؤلف المتبحر قد سعى فى فهم معنى القرآن من ترجمته اللاتينية وكان يقصد ان يصلح بين النصرانية والاسلام الى حد ما وان يبين الاتفاق بين كثير من الآيات القرآنية وكلمات الانجيل حتى انه عثر فى القرآن على كثير مما وجده مقبولا من النظرة المسيحية، ولكنه كان بطبيعة الحال محدودا فى بعض نظرياته لكونه لاهوتيا وخادما الكنيسة. وفى رأيه ان اهم ما يعلمه القرآن هو وحدة الله المطلقة؛ اما فيلسوفنا فاعتبر الله تعالى وحده كذلك منبع الكون وظن ان الكون هو تجلى الله وبرهان وجوده وبيان قدرته، وبدا له من تلك الوحدة الوجودية ان الاديان ليست الا صورا غير كاملة للدين الواحد الحقيقى، كل واحد منها يبين طرفا من اطراف الحقيقة المطلقة ووجها من وجوهها، وان فى كل منها شعاع من نور الحقيقة ولا فائدة هناك من المجادلة بين اصحاب الاديان المختلفة.

لاشك ان فكرة الكوسانى هذه برهان لوسع افقه وفضل روحه، خاصة بالنسبة لتلك العصور عندما كان اهل الغرب لا يرون فى المسلمين الا عدوا رهيبا ... وعلينا الا ننسى آثار هذا العالم الكبير وفكرته المركزية: ان الاضداد وهى مخصوصة بالمخلوق تتحول كلها الى الوحدة فى ذات الخالق الذى هو الأول والأخر، الظاهر والباطن.

الأخرى، فأن هذه الموجات تسمى «نافذة الأبصار الجوية».

٤،٣) نافذة الموجات اللاسلكية عبر جو الكرة الارضية:
إكتشف هينرخ هرتز، فى أواخر القرن الماضى، الموجات الكهرامغناطيسية، التى نسميها اليوم «الموجات اللاسلكية». وبعد هذا الكشف ببضع سنوات، حاول عالم فلك فرنسى، أن يثبت وجود هذه الموجات فى الأشعاعات، التى تصل الى كوكبنا من الكون، غير أنه لم ينجح فى ذلك. ولقد كان هذا الأخفاق، بسبب ضعف حساسية أجهزة الأستقبال اللاسلكية، فى ذلك الوقت.
ولم تجر محاولات أخرى فى هذا الصدد، حتى كانت سنة ١٩٣٢، حينما اكتشف مهندس اللاسلكى الأمريكى «كارل جانسكى» مانسميه اليوم «نافذة الموجات اللاسلكية الجوية». ولقد حدث ذلك بطريق الصدفة، أثناء المحاولات، التى كان جانسكى يجريها، لكى يجد منبع موجات لاسلكية معينة، كانت تسبب تشويشا من نوع خاص، عند أستقبال موجات البرق اللاسلكية. ويرجع هذا الكشف الى خاصية معينة فى الجو، وهى أن الجو لا يمتص ذلك الجزء من الطيف، حيث يتغير الطول الموجى، من ملليمتر واحد إلى خمسة عشر مترا. ويعبر عن هذه الخاصية الجوية، بأن الجو شفاف فى هذا الجزء من الطيف الكهرامغناطيسى. ولقد تمكن جانسكى، بفضل هذه الخاصية الجوية، من أستقبال موجات لاسلكية معينة، لم يعرف منبعها فى أول الأمر، وكان ذلك بواسطة هوائى وجهاز أستقبال شديدى الحساسية. ثم إنه ثبت، بعد ذلك، أن منبع هذه الموجات لابد وأن يكون

التغلب على غلاف الأرض الجوى ◄

يبين هذا الشكل أطوال الطيف الموجية التى يمتصها غلاف الكرة الأرضية الجوى، على أى إرتفاع، من سطح الأرض، يوجد هذا الغلاف فيه. هذا، وتظهر فى هذا الشكل أيضا، تلك المناطق الجوية المثلى، التى تصلح فيها البالونات والصواريخ والأقمار الصناعية للقيام ببحوث فلكية دقيقة.

مفتاح الرسم

نافذة الأبصار = Optisches Fenster، ضوء = Licht، موجات لاسلكية = Radiowellen، أشعة مادون الأحمر = Infrarot،

خط الطيف ليمان — ألفا وطوله الموجى ١٢١٦ أنجستروم = L α 1216 A°

بالون = Ballon، صاروخ = Rakete، قمرصناعى أو مسبر كون أستطلاعى = Satellit

طبقة الأحداث الجوية = Schicht des Wettergeschehens

خريطة السماء مصورة فى ضوء أشعة مافوق البنفسجى ذات الطول الموجى ١٣٠٠ أنجستروم. وتقع الغيوم فوق البنفسجية المبينة فى الشكل فى مناطق مجموعات النجوم التالية:
أوريون = Orion = A؛ الثور = Stier = B، الكلب الكبير = Großer Hund = C؛ ببس و ڤيلا = Puppis und Vela = D، الأسد = Löwe = E، العذراء = Jungfrau = F، الدب الأكبر = Großer Bär = G.

صورة القمر من ناحية نصفه الذى لا يرى من سطح الأرض أبدا — إلتقط هذه الصورة، القمر الصناعى لونك III، فى يوم ٧ من اكتوبر سنة ١٩٥٩. وتمثل الدائرة الافقية بالصورة خط الاستواء القمرى.

منطقة مافوق البنفسجى من طيف الشمس فيمابين الأطوال الموجية ٥٠٠ و ١٨٥٠ أنجستروم تقريبا — إلتقط هذه الصورة، الصاروخ إيروبى (Acrobec)، على أرتفاع ٢٠٠ كيلومتر، فى يوم ١٣ من مارس سنة ١٩٥٨.

على اليسار: صورة الشمس فى ضوء خط الطيف (L-α) ليمان — ألفا — الأيدروجينى — إلتقطت هذه الصورة على إرتفاع ٢٠٠ كيلومتر، فى يوم ١٣ من مارس سنة ١٩٥٨. ويبلغ طول قطر الشمس فى الصورة الاصلية ٣٫٦ ملليمتر.

على اليمين: صورة الشمس فى ضوء أشعة رنتجن — إلتقطت هذه الصورة على أرتفاع ٢٠٠ كيلومتر، فى يوم ١٦ من أبريل سنة ١٩٦٠. ويبلغ طول قطر الشمس فى الصورة الأصلية ١٫٣ ملليمتر.

Überwindung der Erdatmosphäre

.1 Die Absorptionswirkung der Erdatmosphäre in verschiedenen Höhen über der Erdoberfläche und in verschiedenen Wellenlängen. Die optimalen Arbeitsbereiche von Ballons, Raketen und Satelliten sind angegeben. 2 Himmelskarte im Ultraviolettlicht von 1300 Å Wellenlänge aufgenommen. Die beobachteten UV-Gebiete (UV-Nebel) liegen im Bereich der Sternbilder: A = Orion; B = Stier; C = Großer Hund; D = Puppis und Vela; E = Löwe; F = Jungfrau; G = Großer Bär. 3 Mondrückseite, fotografiert von Lunik III am 7.10.1959. Waagr. Halbkreis: Mondäquator.

Ultraviolett-Spektrum der Sonne von ca. 500-1850 Ångström-Einheiten (Aufnahme am 13.3.1958 von Aerobee-Rakete in 200 km Höhe)

Bild der Sonne im Licht der Lyman-α-Linie des Wasserstoffs (Aufnahme am 13.3.1958, 200 km Höhe, Originalbild 3,6 mm Durchmesser). Rechts daneben Bild der Sonne im Röntgenlicht (Aufnahme 16. April 1960, 200 km Höhe, Originalbild 1,3 mm Durchmesser).

فى خارج ٱلكرة ٱلأرضية، وذلك لأنها كانت تصل من إتجاه تبين بالبحث، أنه نفس ٱلأتجاه، ٱلذى يقع فيه مركز ٱلسديمة ٱلمفرطحة، ٱلتى تنتمى مجموعتنا ٱلشمسية إليها.

وعلى ٱلرغم مما لهذه ٱلحقائق ٱلعلمية من أهمية قصوى، عند محاولة ٱلكشف عن ٱلمزيد من أسرار ٱلكون، فان علماء ٱلفلك لم يحاولوا، فى ذلك ٱلوقت، الاستفادة من هذه ٱلخاصية ٱلجوية ٱلهامة، عند إجراء بحوثهم.

ثم مضى مايقرب من عشر سنوات على ذلك، بدأت ٱلحرب ٱلعالمية ٱلثانية فى خلالها. ثم إنه لوحظ فى أثناء هذه ٱلحرب، أن أجهزة ٱلرادار، شديدة ٱلحساسية، تعانى من تشويش، ناتج عن موجات لاسلكية معينة، ظهر فيما بعد، أن ٱلشمس كانت منبعها. وفى ذلك ٱلوقت فقط، بدأ علماء ٱلفلك فى أستخدام نافذة ٱلموجات ٱللاسلكية ٱلجوية، عند إجراء بحوثهم.

ثم إنه حدث، بعد ٱنتهاء ٱلحرب ٱلعالمية ٱلثانية، أن توافرت ٱلأجهزة ٱللاسلكية، شديدة ٱلحساسية، كما توافر ٱلفنيون أيضا، ذوى ٱلمؤهلات ٱلعالية، وبذلك أمكن ٱلبدء فى ٱلقيام ببحوث فلكية مستفيضة عبر نافذة ٱلموجات ٱللاسلكية ٱلجوية، وفق خطة مدروسة.

ويقتصر ٱلفلك ٱللاسلكى ٱليوم على ٱستعمال ٱلأطوال ٱلموجية فيما بين ملليمتر واحد، ومايقرب من عشرة أمتار. وسبب ذلك، أن بخار ٱلماء وثانى أكسيد ٱلكربون، الموجودان فى ٱلجو، يمتصان أشعة مادون ٱلأحمر، كما أسلفنا. ومعلوم أن هذه ٱلأشعة، ماهى إلا موجات كهرامغناطيسية تقل أطوالها عن ملليمتر واحد. أما تلك ٱلموجات، ٱلتى تزيد أطوالها على ١٠ الى ١٥ مترا، فأنها لاتصل الى سطح ٱلأرض كلية، وذلك نظرا لأن ٱلأيونوسفير Ionosphäre، ٱلموجودة على أرتفاعات تزيد على ١٥٠ كيلومترا، من سطح ٱلأرض، تعكسها بأكملها، فى ٱلكون مرة ثانية.

٥) التلسكوب ٱللاسلكى:

مما يلفت نظر غير ٱلمتخصصين فى علوم ٱلفلك ذلك ٱلفرق ٱلكبير، بين حجم تلسكوب إبصارى عادى، وبين ٱلحيز ٱلكبير ٱلذى يشغله تلسكوب لاسلكى. ويرجع هذا ٱلفرق بين ٱلحجمين الى عيب أساسى فى جودة هذا ٱلتلسكوب، وذلك على ٱلرغم من كبر حجمه. ويتلخص هذا ٱلعيب فى عدم قدرة ٱلتلسكوب ٱللاسلكى على ٱلفصل بين ٱلأشعاعات، ذات ٱلأطوال ٱلموجية ٱلمختلفة، فصلا تاما. ولو أن للتلسكوب ٱلعادى عيبا مماثلا، لكان غير قادر على ٱلفصل بين صور مرئياته. أما سبب ذلك، فيرجع إلى أن ٱلموجات ٱللاسلكية أطول من ٱلموجات ٱلضوئية، بقدر كبير.

ويروقنى أن أثبت هنا، ذلك ٱلتشبيه ٱلظريف، ٱلشائع بين علماء ٱلفلك، من أن جودة ٱلرصد بتلسكوب لاسلكى تشبه، مع ٱلفارق، جودة إبصار شخص قصير ٱلنظر بدون نظارته.

وتوجد ثلاث طرق للحد من هذا ٱلعيب، ترمى جميعها الى رفع قدرة ٱلتلسكوب ٱللاسلكى على ٱلفصل بين ٱلأشعاعات ٱللاسلكية ٱلتى يستقبلها معا، وهى:

٥،١) أن يحتوى هذا ٱلتلسكوب على مرآة جوفاء كبيرة، أحد مقطعيها قطع مكافئ، وهذا فى حين أن ٱلمقطع ٱلآخر، ٱلعمودى على ٱلأول، دائرى، قد يصل طول أكبر أقطاره الى مايقرب من مئة متر. ومثال ذلك تلسكوب «جوردل بانك» Jordell Bank بانجلترا، ذو ٱلمرآة ٱلجوفاء، ٱلتى يبلغ طول أكبر قطر فيها ٧٥ مترا.

٥،٢) أن يتكون ٱلتلسكوب ٱللاسلكى من شبكة هوائيات، تعمل وفق نظرية ٱلتداخل Interfero-meter-Antennensysteme، وذلك فى حين أن طول قاعدة هذه ٱلشبكة، قد يصل الى بضعة كيلومترات.

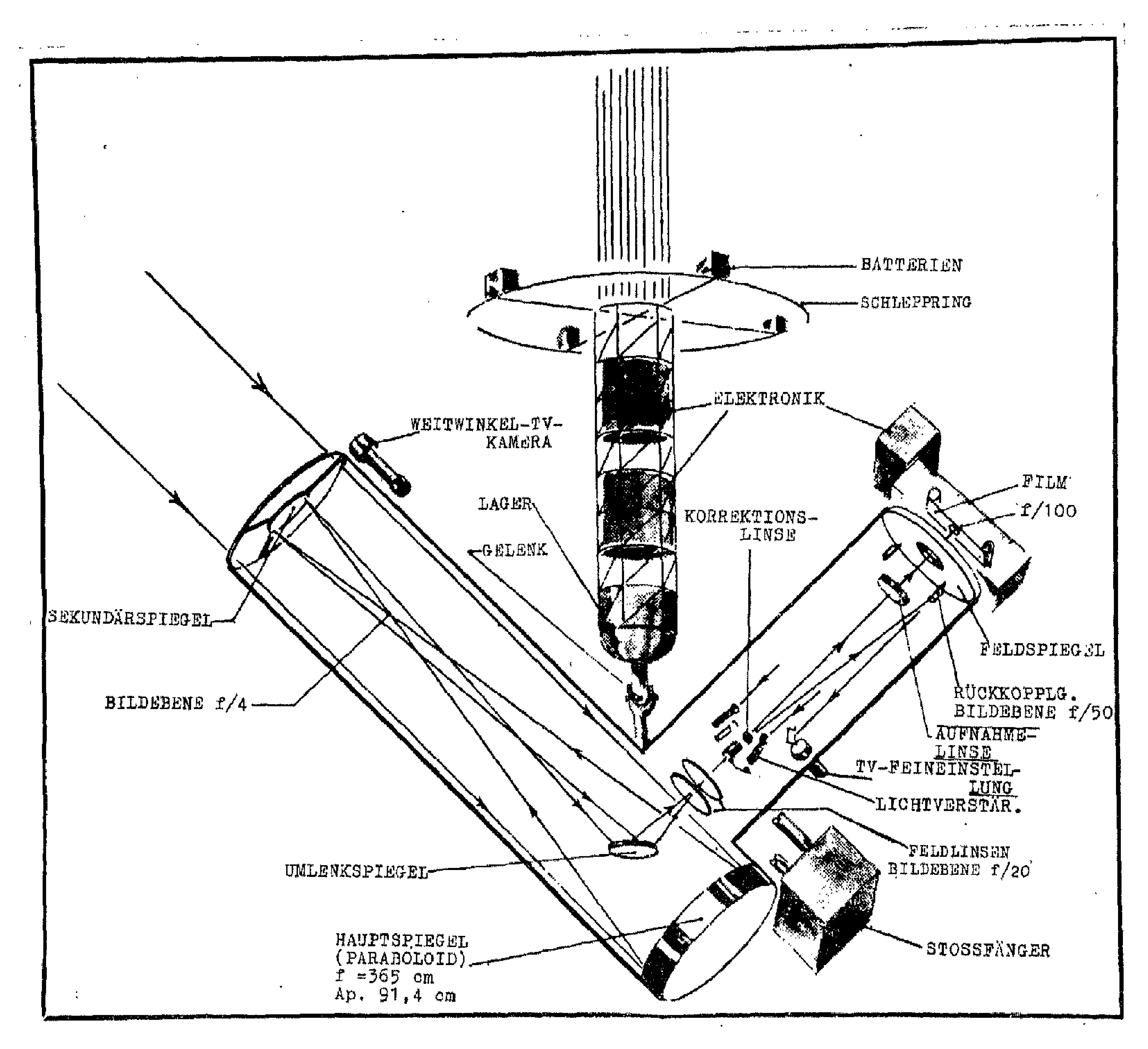
٥،٣) أن يبنى ٱلتلسكوب ٱللاسلكى، على شكل هوائى مسطح، قد تزيد مساحته ٱلفعالة على مساحة ساحة للعب كرة ٱلقدم.

ومجمل ٱلقول، أن تصميم ٱلتلسكوبات ٱللاسلكية يتطلب توصيلات كهربائية معقدة، وهذا الى جانب ٱلأجهزة ٱلأبصارية (ٱلضوئية). أما ٱلغرض من كل ذلك، فهو رفع قدرة هذه ٱلتلسكوبات على ٱلتمييز بين ٱلاشعاعات ٱلمختلفة، تمييزا مقبولا.

٦) بيان ببعض ٱلبحوث ٱلفلكية ٱللاسلكية:

أضافت ٱلبحوث ٱلفلكية ٱللاسلكية، شتى ٱلمعلومات ٱلمفيدة ٱلهامة، الى حصيلة ٱلبشر من ٱلعلوم ٱلفلكية.

ومن بين هذه ٱلمعلومات حقائق عدة، عن ٱلكون ومافيه، كان ٱلكشف عنها، بطريقة أخرى، متعذرا.



تبين هذه الصورة طريقة تعليق وتصميم تلسكوب البالون، ذو المرآة، الذى استعمله م. شوارتز شلد فى بحوثه الفلكية. وتوجد بهذا التلسكوب مرآة صغيرة، علاوة على المرآة الرئيسية، تعكس الضوء، الذى يصل اليها من الجرم السماوى المرصود، الى الجهة اليمنى. وبذا يمكن استخدام كاميرا التلفزيون (Weitwinkel-TV-Kamera)، المبينة بأعلى يسار الشكل، فى ضبط التلسكوب لرصد منطقة معينة من السماء، وذلك بالتقاط صورة تليفزيونية، تمكن رؤيتها من سطح الأرض. هذا وتسجل الصور العلمية المطلوبة على الفلم (Film) المثبت فى نهاية خط سير الضوء، والمبين فى يمين الشكل. أما الجزء الرأسى من التلسكوب فيبين طريقة تعليق هذا التلسكوب بالبالون، كما يبين أيضا بعض الأجهزة الكهربائية واللاسلكية اللازمة له.

ولقد حدث هذا فى فترة تبلغ عشرين سنة تقريبا، وهى تلك الفترة، الوجيزة، نسبيا، التى مضت منذ استخدام اللاسلكى فى البحوث الفلكية، حتى اليوم. والأمثلة على هذه المعلومات كثيرة، نذكر القليل منها، فيما يلى:

٦،١) النجوم اللاسلكية:

يطلق هذا التعبير على مناطق معينة فى الكون، ذات إشعاعات لاسلكية شديدة جدا، وذلك فى حين أن إشعاعاتها الضوئية ضعيفة فى الغالب. ولقد تمكن علماء الفلك برصد هذه النجوم اللاسلكية، ضوئيا ولاسلكيا، من فهم الكثير من خواص الكون، فى مجموعه. ومن بين الظواهر الطبيعية، التى وصلوا إليها بهذه الوسيلة مثلا، تولد إشعاعات لاسلكية شديدة، إذا حدث أن مرت مجموعة كبيرة من النجوم فى مجموعة أخرى مماثلة.

٦،٢) إثبات وجود مجموعات من النجوم، لاتمكن رؤيتها:

ثبت، باستعمال التلسكوب اللاسلكى، وجود مجموعات من النجوم، تبعد عنا بمسافات تبلغ من

ٱلكبر حدا، تتعذر بسببه رؤيتها بأى تلسكوب إبصارى. ويرجح ٱلعلماء، أن هذه ٱلمجموعات موجودة فى أطراف ٱلكون ٱلخارجية.

٦،٣) البحوث ٱللاسلكية على ٱلسديمة ٱلمفرطحة:

للفلك ٱللاسلكى أهمية خاصة عند إجراء ٱلبحوث على ٱلسدمة ٱلمفرطحة، ٱلتى تنتمى مجموعتنا ٱلشمسية إليها. ويعتبر ٱلكشف عن إشعاع ٱلايدروجين على موجات لاسلكية طولها ٢١ سنتيمترا، من أهم ما توصل اليه علماء ٱلفلك حديثا. فلقد ثبت، بهذه ٱلموجات ٱللاسلكية، وجود كميات هائلة من ٱلأيدروجين ٱلمتعادل (غير ٱلمشحون بالكهرباء)، وذلك على هيئة سحب تنتمى إلى سدمتنا ٱلمفرطحة، كما أمكن بها أيضا إثبات وجود مجموعات من ٱلنجوم، أبعد من ٱلمجموعات ٱلمعروفة، وأخيرا تمكن ٱلعلماء بفضل هذه ٱلموجات أيضا، من رؤية تكوين ٱلسدمة ٱلمفرطحة ٱلحلزونى.

٦،٤) الظواهر ٱلطبيعية، التى تسبب توليد إشعاعات لاسلكية:

أجريت حديثا، بحوث فلكية لاسلكية، على رقع غيام، من بقايا نجم متوهج Supernova، كان قد ٱنفجر عام ١٠٥٤ ميلادية، وقد أدت هذه ٱلبحوث الى ٱلحصول على معلومات هامة، عن تلك ٱلظواهر ٱلطبيعية، ٱلتى تولد ٱلاشعاعات ٱللاسلكية، (ٱلأشعاعات ٱلسكلوترنية).

٦،٥) استكمال ٱلبحوث ٱلخاصة بطبيعة ٱلشمس:

ليس شك، فى أن ٱلزيادة ٱلكبيرة، فيما نعلمه عن ٱلشمس وطبيعتها، تلك ٱلزيادة ٱلتى ٱكتسبناها فى أثناء ٱلسنين ٱلأخيرة، قد ٱكتسبت بفضل ٱستعمال ٱلأجهزة ٱللاسلكية فى ٱلبحوث ٱلفلكية. فبفضل هذه ٱلاجهزة، تمكن ٱلعلماء من فهم «فاعلية ٱلشمس Sonnenaktivität» فهما صحيحا، كما تمكنوا باستعمالها أيضا من ٱلكشف عن طبيعة «جو ٱلشمس ٱلأحمر Chromosphäre»، وعن تكوين تلك ٱلهالة «Korona»، ٱلتى تحيط بها.

٦،٦) استكمال ٱلبحوث ٱلخاصة بالكواكب وتوابعها:

ساهم علم ٱلفلك ٱللاسلكى، إلى حد كبير أيضا، فى ٱلكشف عن طبيعة ٱلكواكب وتوابعها، فبهذا ٱلعلم أمكن، على وجه ٱلخصوص، ترجيح وجود حزام من ٱلاشعة يحيط بكوكب ٱلمشترى، وهو حزام شبيه بذلك ٱلحزام ٱلذى يحيط بالكرة ٱلأرضية.

ولا يفوتنا، أن نشير هنا إلى ٱستخدام ٱلرادار فى علم ٱلفلك اللاسلكى، للكشف عن طبيعة أجرام معينة، تنتمى إلى مجموعتنا ٱلشمسية. فبالرادار تمكن ٱلعلماء من رسم خرط لسطح ٱلقمر، وبه تمكنوا من ملامسة كوكبى عطارد وٱلزهراء.

ومجمل ٱلقول، أن طرق ٱلرصد ٱلحديثة، قد أدت الى تقدم كبير فى علم ٱلفلك، ذلك ٱلعلم ٱلذى كان يعتمد إلى عهد قريب، كل ٱلأعتماد تقريبا، على ٱلتلسكوب ٱلأبصارى ٱلعادى فحسب.

٧) المراصد ٱللاسلكية ٱلهامة على سطح ٱلارض:

يتطلب إعداد مرصد لاسلكى عددا كبيرا من ٱلفنيين، كما يلزمه قدر كبير من ٱلأجهزة وٱلمعدات، مما يكلف أموالا طائلة، ولذا فأن عدد ٱلمراصد اللاسلكية ٱلهامة، ٱلمركبة على ٱلأرض، قليل جدا حتى ٱلآن. وفيما يلى بيان بها، و باتجاهات ٱلبحوث فيها:

٧،١) تتركز بحوث ٱلفلك ٱللاسلكى فى هولندا، على إشعاعات ٱلسدمة ٱلمفرطحة، وخاصة على إشعاع ٱلأيدروجين على ٱلموجة، ٱلتى يبلغ طولها ٢١ سنتيمترا.

٧،٢) وفى جوردل بانك Jordell Bank بانجلترا، يعكف عدد من ٱلعلماء، على دراسة إشعاعات ٱلنجوم ٱللاسلكية.


٧،٣) وتجرى معظم ٱلبحوث ٱلفلكية ٱللاسلكية فى كل من، أستراليا، وٱلولايات ٱلمتحدة ٱلأمريكية، وروسيا، وألمانيا ٱلغربية، على إشعاعات ٱلشمس.

٨) البالونات، وٱلصواريخ، ٱلاقمار ٱلصناعية، ومسابر ٱلكون ٱلا ستطلاعية، فى خدمة ٱلفلك:

فتحت ٱلتلسكوبات ٱللاسلكية، ٱلتى تركب على ٱلأرض، نافذة جديدة فى ٱلطيف ٱلكهرامغناطيسى، الى جانب نافذة ٱلأبصار ٱلجوية، سبق أن سميناها بعاليه «نافذة ٱلموجات ٱللاسلكية ٱلجوية.»

◀ Spiralnebel: Andromeda-Nebel, aufgenommen vom Observatorium Mount Palomar

غيمة حلزونية: غيمة اندروميدا — إلتقطت هذه ٱلصورة بمرصد مونت بالومار.



وعلى الرغم من أن العلماء قد تمكنوا، بفتح هذه النافذة الجديدة، من استخدام جزء ثان من الطيف، له أهميته، فى بحوثهم، إلا أن أجزاءا هامة أخرى من هذا الطيف، لازالت مغلقة أمامهم، وخصوصا تلك الأجزاء، ذات الموجات القصيرة، التى تقل الأطوال الموجية فيها، عن طول موجة الضوء البنفسجى. زد على ذلك أن تأثيرات الجو على الرصد، من سطح الأرض، لازالت قائمة، وهذا بالرغم من فتح هذه النافذة الجديدة. فوميض النجوم مثلا، فى منطقة الموجات الضوئية، يناظره وميض فى الأشعاعات اللاسلكية، وهو ذلك الوميض، الذى ينشأ عن عدم تجانس الأيونوسفير.
ومجمل القول، أن استئصال التأثيرات الجوية على البحوث الفلكية، إستئصالا باتا، لايتحقق إلا بنقل المراصد الى الفضاء.

٨،١) البالون (المنطاد) فى خدمة الفلك:

تصل البالونات الحديثة الى ارتفاعات كبيرة، من سطح الأرض، تبلغ فى بعض الحالات ٣٠ كيلو مترا، أى أنها تترك تحتها من ٩٥ ٪ الى ٩٨ ٪، من الغازات والأبخرة، الموجودة فى طبقات الجو المختلفة، بما فى ذلك ماهو موجود منها فى طبقات الجو، الغير متجانسة. هذا وقد سبق أن بينا أن التيارات المضطربة Turbulenz، التى تخبو صور المرئيات بسببها، تنشأ على عدم تجانس الجو.
وتستعمل البالونات، تبعا لذلك فى حالتين:

٨،١،١) الأولى: عند مايراد الحصول على صور فوتوغرافية شديدة الوضوح، كما هو الحال عند دراسة طبيعة الشمس والكواكب وتوابعها مثلا.

٨،١،٢) أما الحالة الثانية، فعندما تجرى تجارب تدخل فى نطاق ذلك الجزء من الطيف، الذى يسمى «أشعة مادون الأحمر». وسبب ذلك أن بخار الماء، وثانى أكسيد الكربون، الموجودان فى الجو، يمتصان هذه الأشعة، كما أسلفنا.

ولقد كان عالم الطبيعة الألمانى ريجنر Regener، أول من استخدم البالونات فى خدمة الفلك، كما كان ذلك فى خلال السنوات الثلاثينية، عندما أراد، أن يكمل دراسة منطقة «مافوق البنفسجى» من طيف الشمس، وعلى وجه التحديد، من ناحية موجاتها الشديدة القصر. أما سبب استعمال بالون، لهذا الغرض، فهو أن الأوزون، الموجود على ارتفاع ٢٠ الى ٤٠ كيلومترا من سطح الأرض، يمتص إشعاعات هذه المنطقة من الطيف، كما أسلفنا.
وجدير بالذكر، أن الصواريخ، والاقمار الصناعية، ومسابر الكون الأستطلاعية، تستعمل اليوم، بدون استثناء تقريبا، لهذا الغرض، عوضا عن البالونات.

وتستعمل البالونات لأغراض أخرى، حتى اليوم، فى البحوث الفلكية، كما أننا نخص بالذكر فى هذا الصدد، مجموعتين من العلماء، الفرنسيين والامريكيين، نجحتا بالفعل، نجاحا باهرا، فى الحصول على معلومات هامة، بواسطة البالونات.

٨،٢) الصواريخ فى خدمة الفلك:

فى أواخر الحرب العالمية الثانية، فكر بعض العلماء، بمركز بحوث الصواريخ الألمانى، بمدينة بنميندە Penemünde، فى تركيب مسجل للطيف (سبكتروجراف Spektrograph) فى صاروخ، من النوع الذى عرف، فيما بعد، بالحروف VII, A 4. ولقد كان الغرض من ذلك، تصوير أشعة الشمس فوق البنفسجية من ارتفاع يبلغ ٩٠ كيلومترا، من سطح الأرض، تقريبا. وفى سنة ١٩٤٦، تمكن الأمريكيون من تنفيذ هذا البرنامج، وكان ذلك باستخدام صاروخ، من هذا النوع، كانوا قد حصلوا عليه، فى ذلك الوقت، من بين غنائم الحرب.
ويهمنا أن ننبه هنا، الى أن للصواريخ، المزودة بأجهزة فلكية، عيب هام، وهو أن الصاروخ لا يبقى على الارتفاعات الكبيرة، التى تتطلبها البحوث الفلكية، سوى ثوان معدودات، وعلى أحسن الفروض، سوى بضع دقائق قليلة. ولعله من المفيد، أن نذكر هنا أيضا، أن للبالونات نفس العيب، إذ أن الفترة، التى يمضيها البالون على الارتفاع المطلوب، لاتزيد على ساعات قليلة.
وعلى الرغم من هذا التقييد فى الوقت، فقد أمكن، باستخدام الصواريخ، تنفيذ برامج فلكية هامة، وذلك نظرا للارتفاعات الكبيرة نسبيا، التى يمكن أن تصل الصواريخ إليها. والأمثلة على هذه البرامج كثيرة، نخص بالذكر منها، مايلى:

٨،٢،١) تصوير الشمس بأشعة رنتجن، وكذا بالأشعة فوق البنفسجية، ذات الأطوال الموجية القصيرة.

٨،٢،٢) تسجيل طيف ٱلشمس، حتى منطقة رنتجن بالطيف ٱلكهرا مغنا طيسي.

٨،٢،٣) سبر ٱلسماء بالأشعة فوق ٱلبنفسجية، ولقد كان ذلك باستخدام صواريخ، أمكن بها اكتشاف مناطق كبيرة بالسماء، تنبعث منها الأشعة فوق البنفسجية بشدة.

٨،٢،٤) قياس شدة ٱلأشعة فوق ٱلبنفسجية، التي تنبعث من بعض النجوم.

٨،٣) الأقمار ٱلصناعية، ومسابر ٱلكون ٱلأستطلاعية، في خدمة ٱلفلك:

أفادت ٱلخبرة ٱلمكتسبة من ٱلصواريخ ٱلمزودة بالاجهزة ٱلفلكية، أعظم ٱلفائدة، عند تصميم تلك ٱلأقمار ٱلصناعية، ومسابر ٱلكون ٱلأستطلاعية، التي أطلقت في الفضاء، منذ سنة ١٩٥٨. هذا، ولقد حققت هذه ٱلاقمار، وهذه ٱلمسابر، حلم علماء طبيعة ٱلفلك، وذلك بتمكينهم من نقل أجهزتهم الى ٱلفراغ. وبذلك فقد ٱنعدم ٱمتصاص أجزاء من ٱلطيف ٱلكهرامغناطيسي، كما ٱنعدم تفريق ٱلضوء وٱنكساره، وغيرها من تلك التأثيرات ٱلجوية، ٱلتي كانت تحد، فيما مضى، من جودة ٱلرصد ومن مداه. وحتى جاذبية الأرض، ٱلتي تتحكم، الى مدى بعيد، في تصميم ٱلتلسكوبات ٱلأرضية، لا أثر لها على تصميم ٱلتلسكوبات، ٱلتي تسبح في ٱلفضاء، ويرجع تحكم ٱلجاذبية في تصميم ٱلتلسكوبات ٱلأرضية، الى ضرورة منع أي ٱنحناء في ٱلعدسات وٱلمرايات ٱلكبيرة، ٱلتي تحتويها هذه ٱلتلسكوبات، وذلك نظرا لأن أي ٱنحناء، يغير من أشكالها، له أسوأ ٱلأثر على ٱلخواص ٱلأبصارية، لهذه ٱلعدسات وٱلمرايات. ولقد نتج عن فاعلية ٱلعجلة ٱلأرضية، أن أصبح من ٱلمتعذر عمليا، تركيب عدسة يزيد قطرها على متر واحد، أو تركيب مرآة جوفاء يزيد أكبر أقطارها على خمسة أمتار، في تلسكوب أرضي، مثلا. ولا وجود لمثل هذه ٱلصعوبات في تلسكوبات ٱلأقمار ٱلصناعية، إذ أن قوى ٱلجاذبية، ٱلتي يمكن أن يتسبب عنها ٱنحناء في عدساتها ومراياتها، معدومة أصلا، عندما تسبح هذه ٱلأقمار في مداراتها. وقد يعترض ٱلبعض على تفضيل ٱلتلسكوبات ٱلسابحة في ٱلفضاء، على تلك ٱلتي تثبت على ٱلأرض، بأن صعوبات فنية إضافية تنشأ في ٱلحالة ٱلأولى، وذلك بسبب تلك ٱلاجهزة ٱلالكترونية ٱلكثيرة، ٱلتي تلزم لتسيير ٱلقمر ٱلصناعي في مداره، وللتحكم في أجهزته، وأخيرا لأرسال ٱلنتائج لاسلكيا إلى ٱلارض، وذلك عند تنفيذ برنامج معين، أو حتى عند تنفيذ برنامج تمليه ٱلظروف ٱلمؤاتية، يتغير من حالة الى أخرى. وٱلجواب على مثل هذا ٱلاعتراض، أن صعوبات فنية من هذا ٱلقبيل، وأن كانت لا تحل إلا بأنفاق ٱلأموال ٱلطائلة، في أغلب ٱلأحيان، الا أنه يمكن حلها من ٱلوجهتين ٱلعملية وٱلعلمية، وهذا بخلاف ٱلصعوبات ٱلتي يسببها وجود ٱلجو، وهو، كما أسلفنا، ستار يحول بين ٱلمراصد ٱلأرضية، وبين ٱلكون ومافيه، كما أنه ستار لايمكن ٱلتغلب على تأثيراته ٱلسيئة، مهما بذل في سبيل ذلك من جهد ومن مال، إلا إذا ٱنفقت هذه ٱلأموال، وتركزت هذه ٱلجهود، على نقل ٱلمراصد الى ٱلفراغ.

٩) البحوث ٱلتي أجريت حتى الآن، بالاقمار ٱلصناعية، وبمسابر ٱلكون ٱلأستطلاعية:

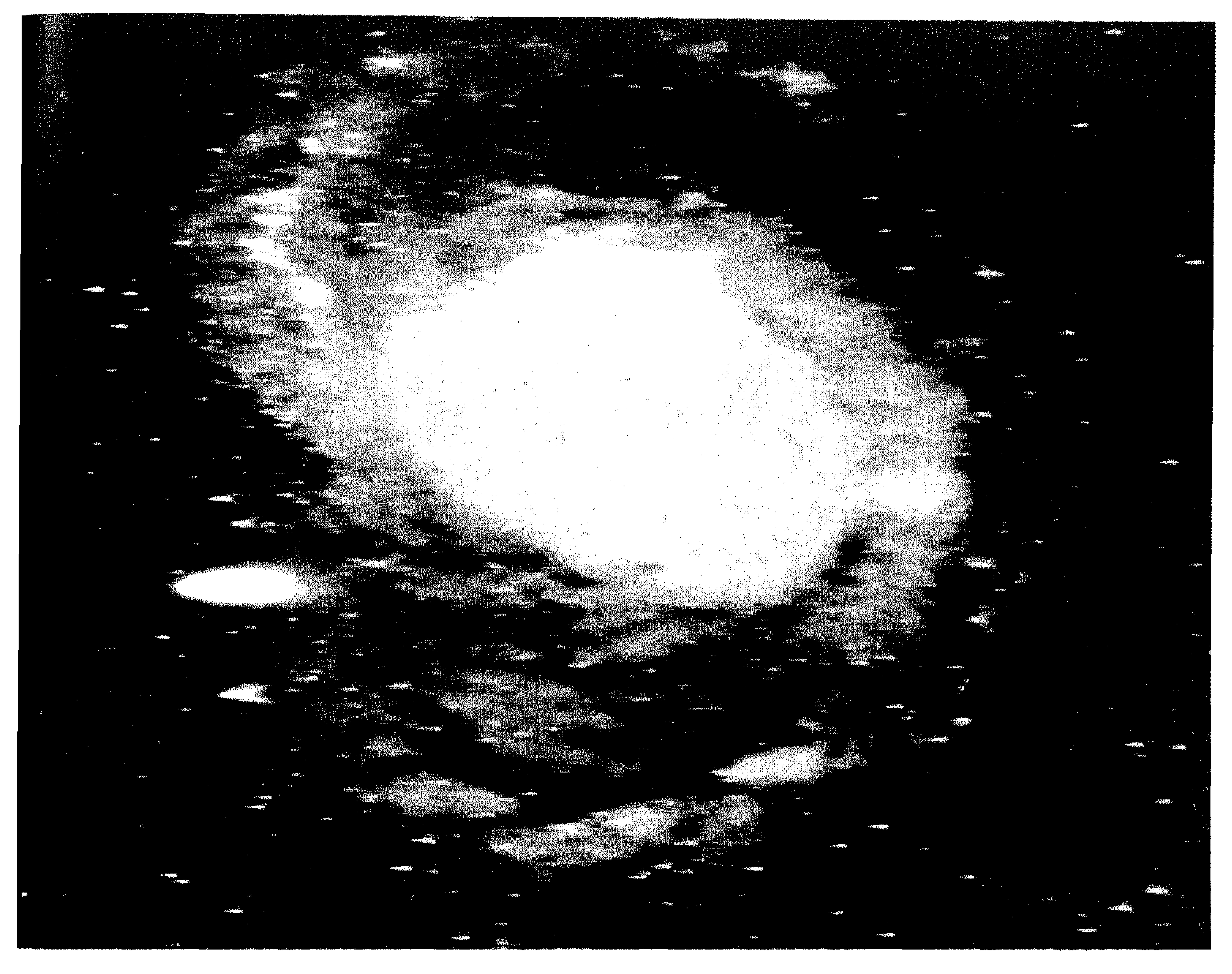
نشرت ٱلمعلومات ٱلأولى، ٱلتي حصل ٱلعلماء عليها، بواسطة ٱلأقمار ٱلصناعية، وبمسابر ٱلكون ٱلاستطلاعية، نذكر بعضها فيما يلي:

٩،١) في ٧ من أكتوبر سنة ١٩٥٩، تمكن مسبر ٱلقمر، ٱلروسي لونك III، من إرسال صور لظهر ٱلقمر الى ٱلأرض، ونعني هنا بظهر ٱلقمر نصفه، ٱلذي لايرى من على سطح ٱلأرض أبدا.

٩،٢) في ١٤ من ديسمبر سنة ١٩٦٢، إقترب مسبر الزهراء، ٱلأمريكي مارينر II، من هذا ٱلكوكب، بحيث كانت ٱلمسافة بينهما ٣٠٬٠٠٠ كيلومتر فقط، وهي مسافة جد قصيرة بالنسبة لبعد هذا ٱلكوكب عن ٱلكرة ٱلأرضية.

ولقد أمكن بذلك، ٱلحصول على معلومات قيمة عن جو ٱلزهراء، وذلك فيما يتعلق بدرجة ٱلحرارة، وٱلكثافة، وكذا بالمجال ٱلمغناطيسي لهذا ٱلكوكب، وغير ذلك من ٱلمعلومات.

٩،٣) في ٧ من مارس سنة ١٩٦٢، بدأ مرصد امريكي سابح دورانه في ٱلفراغ، حول ٱلأرض، وكان ذلك لاستطلاع طبيعة ٱلشمس من ٱلفراغ. وبهذا كان هذا ٱلمرصد ٱلسابح، ٱلذي يعرف بالحروف O. S. O. (Orbiting Solar Observatory) أول مرصد



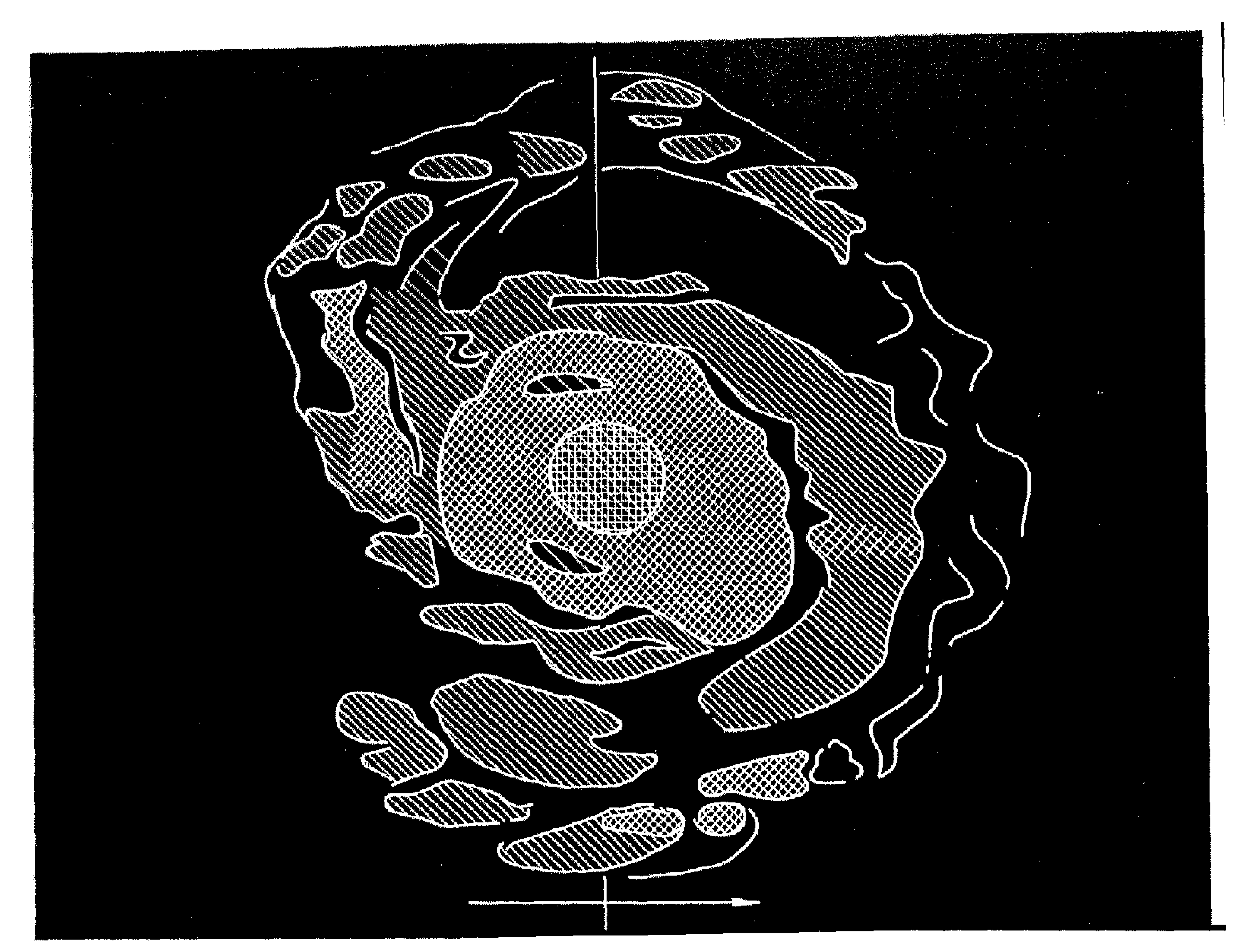
غيمة اندروميدا؛ تصوير : ن. ريختر و وايبرخت N. Richter und O. Weibrecht مرصد كارل شوارتزشلد، يينا.

لايرى الراصد من سطح الارض المسقط الأفقي لغيمة أندروميدا (Andromeda-Nebel) الشهيرة، بل هو يرى هذه المجرة، التي تبعد عنابما يقرب من ٢,٥ مليون سنة ضوئية، من إتجاه مائل بالنسبة للمستوى الذى تدور هذه المجرة فيه، كما أن الراصد يراها مضلعة وهى فى الحقيقة ليست كذلك.

يطلق فى الفراغ، للحصول على معلومات فلكية بحتة. ولقد ظل هذا المرصد يسبح فى الفضاء ٧٧ يوما، رصد الشمس، أثناءها، خلال ألف ساعة تقريبا، وظل يرسل ماتسجله أجهزته الدقيقة، لاسلكيا إلى الأرض، وقد حدث كل ذلك بدون عطل ما أوخلل. ومما تضمنه برنامجه ما يلى:

٩،٣،١) دراسة أشعة رنتجن، فيما بين الطولين الموجيين انجستروم واحد و٤٠٠ أنجستروم.

٩،٣،٢) دراسة الطاقة الموجودة فى أشعة جاما (Gammastrahlung) فيمابين المقدارين ٠,٠٢ و ٣ مليون الكترونفولت وكذلك مايزيد منها على ١٠٠ مليون الكترونفولت.



Boreal Andrômeda. Foto: N. Richter e O. Weibrecht, Observatório "Karl Schwarzschild", Tautenburg, Turíngia.

ولذا فقد قام عالما آلفلك رختر و ڤيبرخت بمرصد شوارتزشلد، بالقرب من مدينة يينا (Jena) بالمانيا بتجربة هامة، على صورة فوتوغرافية لهذه المجرة، وذلك لأستنباط شكل هذه آلغيمة، عند ما ينظر آلانسان إليها فى آتجاه عمودى على آلمستوى آلذى تدور فيه (أى مسقطها آلأفقى).

ولقد تمكن هذان العالمان بعد آلقيام بدراسات ضوئية بصرية معقدة دقيقة، من آستنباط شكل مسقط هذه آلمجرة آلأفقى آلمطلوب. وتتلخص نتيجة هذه آلتجربة آلهامة فى أن مسقط غيمة أندروميدا آلأفقى يشبه الى حد كبير نوعين أساسيين من آلمجرات آلماثلة، ومن وجوه آلشبه بينهما، وجود نواة ظاهرة ذات ذراعين رئيسيين، كاأن لهذه آلنواة أذرع ثانوية. وتشبه هذه آلأذرع الحلزون اللوغاريتمى شكلا، فى كثير من آلأحوال. وعلاوة على ذلك فأن قلب هذه آلمجرات، آلذى يكون آلنواة، يشبه عدسة مستديرة، أو بيضاوية الشكل بقدر قليل.

وفى أعلى آلشكل صورة فوتوغرافية، التقطها رختر وڤيبرخت بواسطة تلسكوب من صنع شركة يينا (Jena) ذو مرآة قطرها متران. وفى أسفل آلشكل كروكى لمسقط هذه آلمجرة آلأفقى. وجدير بالذكر أن عالم آلفلك آلألمانى هـ. سيدنتيف كان قد تساءل منذ ٢٥ سنة عن شكل مسقط غيمة أندروميدا آلأفقى.

٩،٣،٣ تسجيل خطوط لمان فى منطقة فوق آلبنفسجى، من طيف آلأيدروجين آلكهرامغناطيسى، وهذه آلخطوط من أهم آلخطوط آلموجودة بطيف آلشمس، كما أنها من بين آلخطوط، آلتى لايمكن تسجيلها أبداً، من سطح آلأرض.

٩،٣،٤ دراسة آلبروتونات، وآلنيترونات، وآلألكترونات، آلتى تنبعث من آلشمس، ومن آلنيازك آلدقيقة، (Mikro-meteoriten)

وغنى عن آلبيان، أن برنامجاً كهذا، لايمكن تنفيذه من سطح آلأرض مطلقاً، ونزيد على ماتقدم،

أنه من ٱلمعلوم، للخاص وٱلعام، أن أقمارا صناعية أخرى كثيرة، قد أطلقت بالفعل، لأغراض فلكية متعددة، نخص واحدا منهافقط، بالذكر، فيما يلي:

٩،٣،٥) ٱلقمر ٱلصناعي ٱلأمريكي، إكسبلورر ١١ (Explorer 11)، ٱلذي أطلق في أبريل سنة ١٩٦١، مزودا بالاجهزة ٱللازمة لأثبات وجود أشعة جاما ٱلكونية، ومعلوم أن هذه ٱلأشعة، ماهي إلا موجات كهرامغناطيسية، ذات أطوال في غاية ٱلقصر، وأن هذه ٱلأطوال أقصر بقدر كبير، نسبيا، من أطوال موجات ٱلضوء ٱلبنفسجي، وأنها أقصر كذلك من أطوال أشعة رونتجن، ٱلموجية، بمقادير أقل.

١٠) البحوث المستقبلة، بألأقمار ٱلصناعية، وبمسابر ٱلكون ٱلأستطلاعية:

يزمع إطلاق عدد من ٱلاقمار ٱلصناعية، أثناء هذا ٱلعام، وكذا في خلال ٱلعام ٱلمقبل، إن شاء ٱلله، وذلك لأغراض فلكية بحتة، ومن بين هذه ٱلمشروعات مايلي:

١٠،١) ٱلقمر ٱلصناعي (Orbiting Astronomical Observatory) O.A.O.، ٱلأول، ٱلذي أوشك على ٱلأنطلاق، حاملا أربعة تلسكوبات بكل منها مرآة قطرها ٢٠ سنتيمترا، الغرض منها، هو دراسة ٱلأشعاعات فوق ٱلبنفسجية، ٱلموجودة في قبة ٱلسماء. وسوف يحمل هذا ٱلقمر تلسكوبا آخر أيضا، ذو مرآة قطرها ٥٠ سنتيمترا، لدراسة ٱلأشعاعات ٱلماثلة، ٱلتي تنبعث من بضعة مئات من ٱلنجوم، وكذلك ٱلأشعاعات فوق ٱلبنفسجية، ٱلتي تنبعث من مواد كونية أخرى، وكل ذلك فيما بين ٱلطولين ٱلموجيين ١١٠٠ و ٣٠٠٠ أنجستروم.
وسوف يدور هذا ٱلقمر ٱلصناعي، حول ٱلأرض، على أرتفاع يبلغ ٧٠٠ كيلو مترا من سطحها.

١٠،٢) ٱلقمر ٱلصناعي O.A.O. ٱلثاني، ٱلمزمع إطلاقه عام ١٩٦٥، بحيث يكون مداره على نفس إرتفاع مدار ٱلقمر O.A.O. ٱلأول، تقريبا، وسوف يكون أهم جهاز في هذا ٱلقمر ٱلثاني، تلسكوب ذو مرآة بفتحة قدرها ٩٠ سنتيمترا، كما سوف يحمل هذا ٱلقمر أيضا، مسجلا حساسا لمنطقة فوق ٱلبنفسجي (Ultraviolett Spektograph) من ٱلطيف ٱلكهرامغناطيسي.
وجدير بالذكر أن قدرة تلسكوب سابح بفتحة قدرها ٩٠ سنتيمترا، تعادل قدرة تلسكوب «مونت بالومار» ٱلأرضي، ذو ٱلمرآة، ٱلتي يبلغ طول أكبر قطر فيها خمسة امتار. وعلاوة على ذلك فان قدرة ٱلتلسكوب ٱلسابح ٱلأول، تفوق قدرة ٱلتلسكوب ٱلأرضي ٱلثاني، من نواح فلكية كثيرة.
ولاجدال في أن ٱلأجهزة ٱلألكترونيّة ٱللازمة لهذا ٱلتلسكوب ٱلسابح، سوف تتطلب إنفاق ٱلكثير من ٱلمال، وبذل ٱلكثير من ٱلجهد، غير أن حل ٱلصعوبات ٱلفنية ٱلمنتظرة ممكن علميا وعمليا، كما أسلفنا.

١١) خاتمة:

أصبح إجراء ٱلبحوث على ٱلأجرام ٱلسماوية، وعلى ٱلمواد ٱلموجودة في خارج ٱلكرة ٱلأرضية، رأسا وبدون حاجة الى ٱلأعتماد ٱلكلي على ٱلاشعاعات، ٱلتي تصل الى سطح ٱلأرض، أمرا في حيز ٱلأمكان، وذلك بفضل ما هو منتظر من تقدم، في هندسة ٱلأقمار ٱلصناعية ومسابر ٱلكون ٱلمستطلعة، مع مرور ٱلزمن. وأولى ٱلمحاولات، في هذا ٱلصدد، أمر معروف، يتلخص في جمع شيء من ٱلنيازك ٱلدقيقة Mikrometeoriten، وجمع عينات من ٱلمواد ٱلموجودة في ٱلفضاء بين ٱلكواكب، وذلك باستخدام ٱلصواريخ، وٱلأقمار ٱلصناعية، ومسابر ٱلكون ٱلأستطلاعية، ٱلتي تعود إلى ٱلكرة ٱلأرضية ثانية، بعد أنتهاء رحلاتها في ٱلفضاء. وسوف تتاح ٱلفرصة، بهذه ٱلوسيلة، لعالم طبيعة ٱلفلك، أن يجري بحوثه في معمله على سطح ٱلأرض، على أجسام ومواد كانت موجودة، فيما مضى، على مسافات بعيدة جدا عن ٱلكرة ٱلارضية. وعلاوة على ذلك، فسوف تتمكن قريبا، مسابر ٱلكون ٱلمستطلعة، ٱلتي تعرف بكلمة «رينجر Ranger»،[١] من إجراء تجارب معينة، على سطح ٱلقمر ذاته. ومن بين مايلزم لتحقيق ذلك، ٱلتحكم، عن بعد، في ٱلأجهزة، حال وجودها على سطح ٱلقمر، كما سوف يتطلب إجراء هذه ٱلتجارب أيضا، أن تقوم هذه ٱلأجهزة تلقائيا، بأرسال ما تسجله، لاسلكيا، إلى ٱلكرة ٱلارضية. وسوف يصبح في ٱلأمكان كذلك، بعدمضي فترة من ٱلزمن، إجراء تجارب مماثلة، على ٱلكواكب، أو

---

١) وصل مسبر ٱلقمر ٱلأستطلاعي ٱلأمريكي «رينجر ٧» الى ٱلقمر فعلا، أثناء إعداد هذا ٱلمقال للنشر، كما أرسل الى ٱلارض ٱلكثير من ٱلصور ومن ٱلمعلومات ٱلقيمة.



Helle und dunkle Nebel bei gamma Cygni غيوم متوهجة وأخرى داكنة عند المجرة التى تسمى جاما كجنى .

على توابعها، وكل ذلك، قبل أن يتمكن أى إنسان من وضع قدمه على إحداها، وهذا بفرض أن الوصول إلى الكواكب أو إلى توابعها، أمر يمكن تحقيقه.

ومجمل القول أن عصرنا هذا يتميز عن غيره من العصور، بأن الانسان قد أصبح قادرا فيه على أن يتخطى حاجزا، كان تخطيه يعتبر أمرا مستحيلا، فيما مضى. ونعنى بهذا الحاجز اجراء البحوث على الاجرام السماوية ذاتها. على أنه يجب أن نشير هنا، إلى أن هذه الخطوة الموفقة، خطوة محدودة، إذ أنها تقتصر عمليا على الأجرام الموجودة فى حدود مجموعتنا الشمسية. أما سبب ذلك فيرجع إلى أن الأوضاع الهندسية الحالية، لاتسمح بأكثر من ذلك، وسنبين هذه الحقيقة، بإيجاز، فيمايلى: يقع أقرب نجم إلى مجموعتنا الشمسية، على مسافة تقدر بأربع سنين ضوئية. فإذا ما حسبنا فترة الزمن اللازمة للوصول إلى هذا النجم، على أساس أقصى سرعة يمكن أن يصل إليها صاروخ، حتى اليوم، لوجدنا أن هذه الفترة تكفى لكى تعيش أجيال عدة، على سطح الأرض. وبالتالى فأن وصول الأنسان الى مجموعة شمسية أخرى يعتبر، حتى وقتنا هذا، حلما يحول دون تحقيقه أن أقصى سرعة قد وصل صاروخ إليها، حتى اليوم، لازالت صغيرة جدا بالنسبة لتلك السرع الخيالية، التى يتطلبها تحقيق هذا الحلم.

وقبل أن نختم هذا المقال، نقرر هنا بأنه من العسير أن يتنبأ أى إنسان بالتطورات، التى سوف تنتج عن استخدام الأقمار الصناعية ومسابر الكون الاستطلاعية، فى البحوث الفلكية، فعلم هذا عند الله وحده. وكل ما يمكن أن يقال، فى هذا الصدد، هو أن الأمكانيات، التى أصبحت اليوم فى متناول البشر، هى إمكانيات لاحدود لها. وعلاوة على ذلك فسوف ينقلب الكثير مما نعلمه اليوم عن الكون، رأسا على عقب، وأخيرا سوف تستجد حتما، صعوبات لايفكر أحد فيها اليوم.



«صدقت الكلمة النبوية المحمدية «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة» فها هو المولوى جلال الدين البلخي قدس الله روحه الزاكي معدن الذهب الابريز الناطق...»

هكذا يقول مترجم مثنوى مولانا جلال الدين الرومى الى اللغة العربية الفصيحة، وهو عبد العزيز صاحب الجواهر؛ ولله دره!
وقد قام كثير من الشعراء والمتصوفين فى الشرق والغرب بترجمات وشروح اشعار مولانا جلال الدين، وصار هو اشهر ممثلى الشعر الصوفى، يعتبره اهل الشرق والغرب شاعر العشق المطلق ومبشر الجمال الالهى...

ونود ان نورد هنا قطعتين من ترجمة جديدة لبعض اشعاره، وشعرين قد ألفت حول مدينة قونيا التى يوجد فيها مزار هذا الشاعر العظيم.

خنك آن دم كه نشينم در ايوان من وتو
بدو نفس وبدو صورت بيكى جان من وتو
داد باغ و دم مرغان بدهد آب حيات
آن زمانى كه در آيم ببستان من وتو
اختران فلك آيند بنظارهٔ ما
مه خودرا بنمايم بديشان من وتو
من وتو بى من وتو جمع شويم از سر ذوق
خوش و فارغ زخرافات پريشان من وتو
طوطيان فلك جمله شكر خوار شوند
در مقامى كه بخنديم بدانسان من وتو
اين عجبتر كه من وتو بيكى كنج اينجا
هم درين دم بعراقيم وخراسان من وتو

*

توى كه بدرقه باشى كهى، كهى رهزن
توى كه خرمن مائى و آفت خرمن
هزار جامه بدوزى ز عشق وپاره كنى
وآ نكهان بنويسى تو جرم آن برمن
توقلزمى ودو عالم زتست يك قطره
قراضه ايست دو عالم، توى دو صد معدن
تراست حكم كه كوبى بكور: «چشم كشا»
سخن تو بخشى وكوبى كه كفت آن الكن
تو باده، توخمارى، تو دشمنى وتو دوست
هزار جان مقدس فداى اين دشمن

Glücklich der Nu, da wir im Schlosse weilen,
wir: du und ich.
Wohl ist der Leib — die Seele nicht zu teilen;
wir: du und ich.
Des Gartens Farbe und der Hauch der Vögel
wird Lebensquell
In jener Zeit, da wir zum Garten eilen,
wir: du und ich.
Vom Himmel kommt die Sternenschar, zu schauen
auf dich und mich.
Wir zeigen ihr den Mond selbst ohn' Verweilen,
wir: du und ich.
Ohn „Ich" und „Du", so werden in Verzückung
wir dann vereint.
Beglückt, und frei von wirrer Rede Zeilen,
wir: du und ich.
Vor Neid verschlingen alle Himmelsvögel
ihr eigenes Herz
Dort, wo so selig lachend wir verweilen,
wir: du und ich.
Das Wunder ist, daß wir, in einem Winkel
hier hold vereint,
Zugleich getrennt sind viele tausend Meilen,
wir: du und ich.

*

Du bist's, der manchmal trägt den Schild,
bist manchmal Räuber auch,
Du bist, der unser Speicher ist,
bist, der den Speicher bricht.
Nähst hundert Liebeskleider du
und reißt sie dann entzwei,
Und plötzlich schiebst du mir die Schuld
dafür zu vor Gericht!
Du bist ein Meer, die Welten sind
von dir ein Tropfen nur,
Zweihundert Schächte Goldes du —
die Welt nur Staubgewicht!
Hast Macht, daß du dem Blinden sagst:
„Nun tu dein Auge auf!"
Du schenkst das Wort und sagst: „Seht her,
wie schön der Stottrer spricht!"
Du bist der Wein, du bist der Rausch,
der Freund du und der Feind,
Solch einem Feinde opfern wir
gern tausend Seelen licht!

من كتاب منتخبات من ديوان المتصوف الكبير مولانا جلال الدين الرومى فى ترجمات منظومة بقلم انامارى شيمل. نشره دار نشر فيليب ريكلام، شيوتجارت بمساعدة يونسكو، سنة ١٩٦٤.



مولانا جلال الدين الرومي في وسط المتصوفين المشهورين.
قلد الرسام الكبير الفلمنكي رمبراند (Rembrandt) لوحة صنعت في عهد السلطان اكبر او ولده جهانكير في الهندستان، ونرى هناك مولانا جلال الدين في الطرف اليمين وفي يده فنجان.
عن كتاب شهاب الدين اوزلق: مولويلكده رسم، رسمده مولويلر، انقره ١٩٥٧.

Heidi Pataki

Spanne dich vor den Kleinen Wagen,
ziehe die Marmorstraße entlang.
An der Säule von Konya
findest du mich,
wenn die Derwische tanzen.

Opfere deine Flöte,
wirf die Schlangenhaut ab,
mit erhobenen Armen.
Im rechten Teller liegt Paulus,
die linke Hand
schenke der Erde.

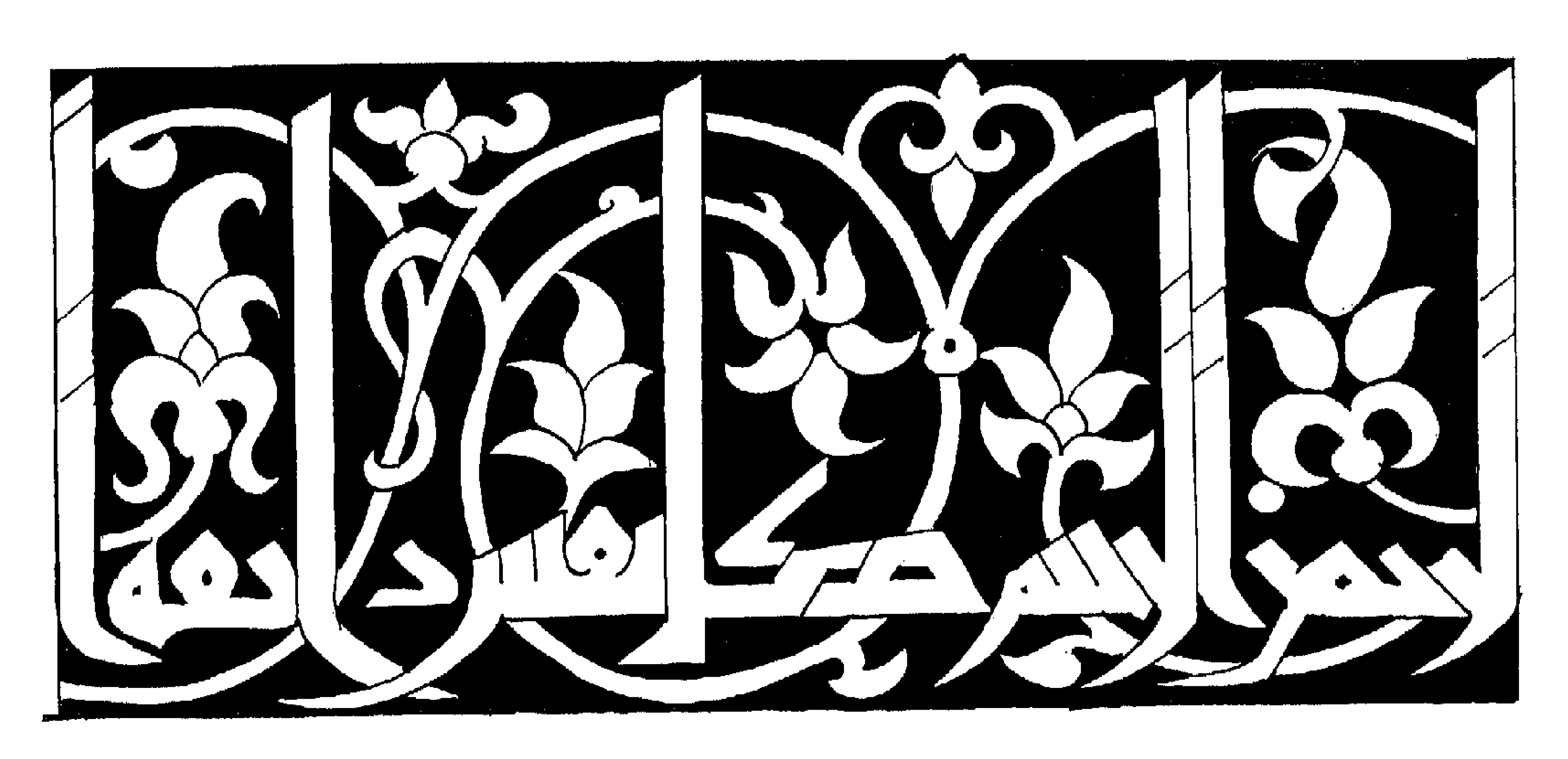
Gott wohnt in beiden.
Die Tränenvasen sind leer.
Lausche, lausche dem Schilf.

Cemile Kiratli

Die violetten Schafe
Am Brunnenrand gedrängt;
Ein Mond, der halb im Schlafe
Weiß zwischen Wolken hängt;

Von feuchtbeschneiten Straßen
Ein amethystnes Band —
Wie wir die Zeit vergaßen,
Wie Mond und Wolke schwand!

Aus Sternen wuchs der Reigen,
Vom ew'gen Wein berauscht.
Der Flöte Klang. Das Schweigen,
Das deinem Schweigen lauscht …



بسم الله الرحمن الرحيم، كل نفس ذائقة الموت.

علينا ان نخبر قرائنا الكرام بشديد الحزن ان ثلاثة من المستشرقين الألمان المشهورين قد انتقلوا من دار الفناء الى دار البقاء فى اثناء شهرى آب وايلول ١٩٣٤، وهم ارنست كونل Ernst Kühnel، باول ا. كاليه Paul E. Kahle، وكورت اردمان Kurt Erdmann.

فاضت روحه فى برلين. فاضت فى اليوم الخامس من الشهر الثامن عام ١٩٦٤. ذلكم هو العالم القدير فى تاريخ الفنون الاسلامية: الأستاذ الدكتور «إرنست كونل» Professor Dr. Ernst Kühnel

التقينا به آخر مرة أثناء الخريف الماضى وكان آنذاك نزيلا بأحد المستشفيات، غير أننا لم نشهد على محياه أو نلحظ على حديثه أثرا من آثار المرض أو الشيخوخة رغم عمره الذى فاق الثمانين بعام .. فقد كان هو هو: العملاق الذى يفيض علينا بحكمته وسعة أفقه، والانسان السمح الحاضر النكتة، الذى لاينضب معين اهتماماته ولايجف أبدا — أجل. إنها صورته التى ستظل ماثلة فى قلوبنا مدى الحياة: صورة الشيخ الجليل وسط عائلة العلماء . .

ولد «إرنست كونل» فى السادس والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٨٨٢. وفى سنة ١٩٠٩ التحق بخدمة المتاحف الحكومية فى مدينة برلين، حيث انضم منذ عام ١٩١١ إلى قسمها الاسلامى. ولم تأت سنة ١٩٢١ حتى أصبح أمينا ثم مديرا له فى عام ١٩٣١. وقد تعهد البروفيسور «كونل» هذا القسم بالتوسيع والاستكمال حتى بلغ حدا نموذجيا. وما أن انفضت الحرب العالمية الأخيرة حتى بادر الأستاذ «كونل» بتكريس جهوده لاعادة تنسيق التحف الاسلامية التى كانت قد بعثرتها الحرب . .
كما استخدم نفوذه للحفاظ على الوحدة العلمية للقسم الاسلامى بمتحف برلين بعد أن صار مجزءا بين قطاعى المدنية . .
ورغم كل ذلك لم يكن «إرنست كونل» مجرد خبير فى شئون المتاحف. فقد كان من بين العلماء الألمان الذين أجروا حفرياتهم فى مدينة سامرة عام ١٩١٢. وفى سنة ١٩٢٩/٢٨ كان أحد أعضاء البعثة العلمية التى قامت بالتنقيب عن الآثار القديمة فى المدائن (Ktesiphon) عاصمة الحضارة الساسانية بالعراق. ثم عاد فى عام ١٩٣٢/٣١ لمواصلة العمليات التنقيبية فى نفس هذه البقعة، حيث كان هذه المرة على رأس وفد من العلماء الألمان والأمريكيين.

وقد انضم «إرنست كونل» إلى سلك التدريس بجامعة برلين كأستاذ فخرى منذ عام ١٩٣٥. كما كان أستاذا زائرا بجامعة القاهرة (فؤاد الأول سابقا) طيلة عدة سنوات. ولعله مما يستحق الذكر أن كان الأستاذ «كونل» بجيد معرفة المتاحف والجامعات الأمريكية كما كان على خبرة مماثلة بمعاهد البحث العلمى فى أسپانيا وإيطاليا. وقد طاف بكل من تركيا وإيران وألقى العديد من المحاضرات فى أقطار أوربا الوسطى. والحق يقال أنه ليس فى استطاعة أحد ممن كان لهم حظ الاستماع إليه أو الدرس على يديه أن ينسى موهبته البارعة فى الأخذ بأيدى تلامذته من محيط علمه الغزير إلى دقائق ومعضلات تاريخ الفن الاسلامى.

فلو أننا تطلعنا إلى ذوى المناصب الأولى فى معظم متاحف العالم لوجدنا فى عدد كبير منهم براهين حية على عظمة أستاذهم: «إرنست كونل». ولاعجب إن أقبل على طلب العلم بين يديه أبناء الشرق الاسلامى والغرب الأوربى على السواء إذكان – رحمه الله – لايقتصر على مجرد تلقين المعارف وإنما يعرف كيف يبلغ بها إلى أعماق مستمعيه. وعلى من يلقى نظرة على الكتاب الذى أصدره «ريشارد إتينجهاوزن» Richard Ettinghausen تحية للأستاذ «كونل» فى عيدميلاده الخامس والسبعين ليلمس فيه صدى لما خلفه هذا العالم الجليل من عميق الآثار فى العالم أجمع.

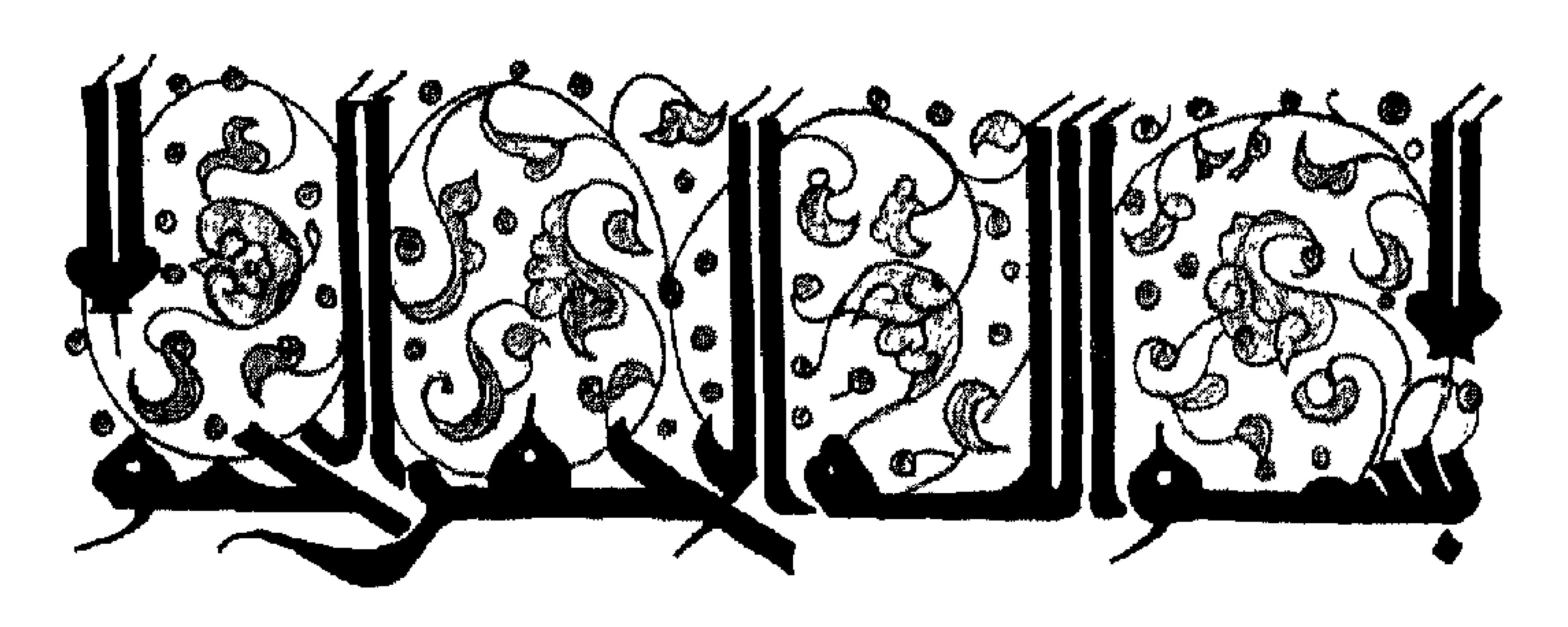
وقد اشتملت البحوث العلمية التى قام بها «كونل» على كافة حقول الفن الاسلامى وإن كان قد خص باهتمامه الفنون الدقيقة (المنياتور) وصنعة الخط وتزيين الكتب فى الحضارات الاسلامية. ومما يستحق الذكر أن كتابه الذى صدر عام ١٩٢٢ تحت عنوان: الرسوم الدقيقة (المنياتور) فى الشرق الاسلامى، قد ترجم إلى الفرنسية والتركية. كما بسط «كونل» جمال الرسوم المغولية لعدد كبير من القراء عن طريق مؤلفيه اللذين نشرا فى عامى ١٩٣٧ و ١٩٥٥ وعالج فيها الرسوم الهندية الدقيقة المحفوظة فى متاحف برلين. وقد أولى «كونل» جل اهتمامه منذ عام ١٩١٠ لاكتشاف أسرار صنعة الكتب الاسلامية، حيث نجم عن ذلك واحدا من أروع مؤلفاته وهو يحمل عنوان «صنعة الخط فى الاسلام». ومن أجمل الآثار التى خلفها «كونل» دراسته التمهيدية التى عرض فيها الزخارف الخطية فى الحضارات الاسلامية، حيث أوضح أشكال الخط الكوفى وما عداه من فنون الخط فى الاسلام. ولما كان «كونل» يجيد اللغة العربية فقد كان شغوفا بفك ألغاز الخطوط العربية المنقوشة فى صيغة زخرفية. على أن اهتمامه بفن الزينة فى الاسلام لم يقل عن شغفه بصنعة الخط. والدليل على ذلك كتيبه القيم الذى نشره عام ١٩٤٩ تحت عنوان «الارابسك» Die Arabeske. وقد ترتب على ماقام به «كونل» من عديد البحوث فى ميدان الفنون الدقيقة فى الاسلام، أن ألف كتابا جامعا فى هذا الموضوع. وفى أثناء الأعوام الأخيرة وجه «كونل» جل اهتمامه لفنون النسيج حيث أجرى قلمه بالتعديل والتنقيح فى مؤلفاته الشهيرة التى كان قد نشرها فى صدر حياته العلمية حول موضوع المنسوجات الاسلامية المستخرجة من المقابر المصرية، وذلك بعد إطلاعه على نتائج البحوث الجديدة التى أجريت أخيرا فى واشنطون. ولعله من الأمور الطبيعية أو الأشبه بالطبيعية أن يكون قد صدر عن قلم الأستاذ «كونل» عدد طائل من الدراسات العلمية فى صنعة نسج السجاد. وبالرغم من ذلك فان مؤلفاته التى عالجت فن البناء المعمارى فى الاسلام تعد على جانب كبير من الأهمية وإن لم تبلغ من حيث العدد سابقاتها. ذلك أن كتابه الصادر فى برلين سنة ١٩٤٩ بعنوان: «الجامع» Die Moschee يقدم عرضا وافيا بين الوضوح لتطور فن بناء الجوامع. والجدير بالذكر أن «كونل» قد كرس القدر الأكبر من دراساته للبحث فى فن المعمارى الأندلسى. ولما كان على موهبة فذة فى عرض الموضوعات بأسلوب واضح جزل وعبارة موجزة فقد نشرت له دراسات عديدة ذات طابع تلخيصى فى ميدان الفنون الاسلامية فضلا عن مختلف المقالات التى دونها فى الموسوعات العالمية. ولعل «كونل» يعتبر فى عداد العلماء الأقلاء الذين شملت بحوثهم كافة ميادين الفنون الاسلامية وإن أثرت – فى الوقت ذاته – فى البحث العلمى بمختلف فروعه وتشعباته عن طريق الدراسات المتخصصة ذات الأهمية الكبرى. لقد كان – رحمه الله – أستاذاً رائعا، وصديقا وفيا، كما أنه طالما فاضت مؤلفاته قاطبة بذلك الحب الدفين الذى كان يكنه للشعوب الاسلامية وحضاراتها العريقة. نعم. ستظل ذكرى هذا العالم الجليل والأستاذ القدير باقية أمد الدهر فى صدر كل من حباه القدر بالتعرف عليه . .

اذا مـــا دعـوت الصبر بعـدك والبكـــا
اجـــاب البكـــا طوعـــا ولم يجب الصبر
فـــإن ينقطع منك الرجـــاء فـــإنـه
سيبقى عليـك الحـزن مـــابقى الـــدهر

من الحماسة

Als nach deinem Verlust die Geduld ich rief, und die Träne,
Hörte nicht die Geduld, aber die Träne geschwind.
Wenn von dir nun die Hoffnung ist abgeschnitten, so bleibet
Doch, solange die Welt bleibet, die Trauer um dich.

(Rückert)



اما الاستاذ باول كاليه Paul E. Kahle فهو الشيخ الكبير فى عائلة المستشرقين الغربيين والشرقيين.

وافت المنية المستشرق الألمانى الكبير «باول إرنست كاليه» فى ١٩٦٤/٩/٢٤ عن قرابة التسعين عاما. وقدولد فى منطقة «هوهنشتاين» ببروسيا الشرقية فى الواحد والعشرين من الشهر الأول (يناير) من عام ١٨٧٥. وعندما اشتد عوده تردد على كل من جامعات «ماربورج» و «هاليه» «وبرلين» لدراسة اللاهوت وعلوم اللغة. وفى عام ١٨٩٨ حصل «كاليه» على دكتوراه الفلسفة، ثم أتبع ذلك بحصوله على إجازة اللاهوت (الانجيلى) فى سنة ١٩٠٢ حيث اتجه فى نفس العام كقس إنجيلى إلى رومانيا، وبعدها إلى القاهرة. وفى سنة ١٩٠٩ حصل على إجازة التدريس الأكاديمى — ال «هابيليتاتسيون» — من جامعة «هاليه»، وظل منذ ذلك التاريخ مدرسا جامعيا إلى أن عين فى عام ١٩١٤ أستاذا لكرسى اللغات الشرقية بجامعة «جيسن».
وقد شغل «كاليه» نفس المنصب فى جامعة بون منذ سنة ١٩٢٣ إلا أنه اضطر لأسباب سياسية إلى الهجرة إلى جامعة أكسفورد فى سنة ١٩٣٩. وبعد مضى تسعة أعوام على انفضاض الحرب العالمية الأخيرة عاد «كاليه» إلى التدريس بجامعة «مونستر» كأستاذ زائر.

والجدير بالذكر أن جامعة «جيسن» كانت قد انعمت فى سنة ١٩٢٢ بالدكتوراه الفخرية على البروفيسور «كاليه»، كما كرمته فيما بعد كل من جامعات «أكسفورد» و «أبردين» و «نيويورك» بمنحه هذه الدرجة الأكاديمية الرفيعة. وقد كان هذا العالم الفحل عضوا فخريا فى العديد من المنظمات والمنتديات العلمية ومن ذلك أن كان — طابت ذكراه — عضوا «من الخارج» بأكاديمية العلوم الملكية البلجيكية (بروكسل) وعضوا مراسلا بأكاديمية العلوم السكسونية فى ألمانيا. وقد أنعمت عليه حكومة ألمانيا الاتحادية فى سنة ١٩٥٥ بوسام صليب الاستحقاق الكبير، بمناسبة بلوغه آنذاك الثمانين من عمره. وكانت قد منحته الحكومة البروسية من قبل وسام التاج، فضلا عن العديد من الأوسمة الألمانية وغير الألمانية التى كان يحملها هذا العالم الجليل.

وفيما يلى نورد بعض المقتطفات من الخطاب الذى ألقاه البروفيسور دكتور «أوتو شبيس» فى حفل تأبين البروفيسور «كاليه» الذى أقيم بجامعة بون فى ١٩٦٤/٩/٢. :—

إن «باول إرنست كاليه» لن يظل حيا فى تاريخ جامعتنا وحسب، وانما فى حقل الاستشراق الألمانى والعالمى قاطبة. فقد كان — رحمه الله — عالما ضليعا وباحثا نابها نهما لايعرف الكلل أو التعب. ذلك أن ذخرت حياته العلمية الفياضة بالانتاج العلمى الغنى الذى كان لها بمثابة المحتوى والمضمون. ولكم لاقت أعمال الفقيد الكريم من التقدير أرفعة، وكم ذاعت شهرته العلمية ومكانته الفكرية السامية، وهو الأمر الذى نستدل عليه فى أبسط صورة إذا ما تطلعنا إلى العديد من دلائل التكريم التى أسبغت على هذا العالم الجليل.

إن الآثار العلمية الخالدة التى خلفها لنا «باول إرنست كاليه» سوف تلعب على الدوام دورا رئيسيا فى علم الدراسات الاستشراقية. والآن دعونى باعتبارى مساعدا علميا سابقا «باول ا. كاليه» و اليوم خليفة على كرسيه، أن أرسم لكم ببعض الخطوط القليلة مكانة «كاليه» فى المجال العلمى. فقد امتد إنتاجه الأدبى حتى شمل ميدانا واسع الأطراف والأنحاء. فنادرا ماخلى فرع من فروع الدراسات الشرقية من معالجة هذا العالم الهمام. ولعل ما بهرنا بصورة خاصة — نحن الأصغر منه سنا — تلك النظرة الموسوعية الشاملة وذلك العلم الغزير المتدفق الذى كان يتحلى بهذا الأستاذ الكبير. أضف إلى ذلك أن كان — رحمه الله — رائدا مجددا فى بعض الميادين العلمية. ذلك أنه قد جاء من حقل علم اللاهوت وما لبث أن اهتم بصورة خاصة ببحث واستقصاء تاريخ النص العبرى للعهد القديم من الكتاب المقدس، حيث صدرت له فى هذا المجال عدة مقالات ومؤلفات

على جانب خطير من الأهمية. ولعله من الجدير بالذكر أن «باول إرنست كاليه» قدساهم مساهمة مثمرة فى المناقشات التى دارت حول الآثار التى اكتشفت فى المغارة الواقعة على البحر الميت.

وقد ذاع اسم «كاليه» فى ميدانى الدراسات العربية والاسلامية عن طريق المقالات العلمية الرائدية التى ألفها فى هذا المضمار. أما مقالاته التى عالج فيها المقدسات الاسلامية فى فلسطين ومنظمات الدراويش فى عصرنا وبدو أولاد على فى مصر، فقد حظت على تقدير الدوائر العلمية المختصة. كمايعد نشره لتأريخ ابن إياس من أهم المراجع المتعلقة بتاريخ العصور الوسطى المصرية، وقد أجرى البروفيسور «كاليه» بحوثا مستفيضة حول كنوز الفاطميين، كما اهتم بكتاب الأحجار للبيرونى ونشر أعماله الفائقة الأهمية التى عالج فيها تاريخ الزجاج الصينى فى الأقطار الاسلامية. أما اهتمامه بألعاب الظل عند العرب فيرجع إلى المستشرق «جيورج ياكوب»، حيث تمكن «كاليه» فى هذا المجال من اكتشاف بعض الأشكال الخاصة التى كانت تستعمل فى ألعاب الظل فى عهد المماليك خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر. وقد قام فوق ذلك خلال الأعوام العشرة الأخيرة بتحقيق نص مؤلف ألعاب الظل لابن دانيال وإعداده للنشر إلا أنه لم يقدر لهذا العمل الكبير أن يطبع فى حياة صاحبه..

وفى حقل الدراسات التركية قام «كاليه» بنشر وترجمة كتاب الإبحار الشراعى «لبيرى رئيس» كما عنى بدراسة وبحث النصوص الاسلامية التى تعرضت للعلوم البحرية، حيث بلغ به الأمر إلى اكتشاف خريطة كولومبوس فى سراى باستانبول سنة ١٩٢٨. وهكذا حيثما نقبت بحوث «كاليه» العلمية كانت تتراءى له أسس المشاكل وجذورها فيبادر بمعالجتها ولا يلبث أن يبلغ نتائجا هامة. وعلى تربة هذه النتائج الخصبة يبنى علم الاستشراق صرحه فى الحاضر والمستقبل، ذلك أن أعمال هذا الفحل خالدة لاتعرف الزوال. ولسوف تظل ذكراه العاطرة فى قلوبنا أمد الدهر. إن هذه الحلقة من الورود لتعبر عن التحية الأخيرة التى يقدمها إلى هذا العالم الحبر تلامذته من أساتذة وطلاب قسم الدراسات الشرقية (بجامعة بون). وإن قلوبنا ستظل على الدوام مفعمة بالشكر لما كانه «باول إرنست كاليه» وما وهبنا إياه.

وقال فيه احد تلامذته العرب وهو الدكتور محمد يحيى الهاشمى:

فى زيارتى للمرة الأولى لمدينة بون فى شتاء عام ١٩٣٤ حضرت العيد الستينى لمولد هذا العالم والمستشرق الكبير باول كاله وفى خريف هذا العام ١٩٦٤ احضر لأسمع الخبر المفجع بفراقه الحياة. وكأن القدر شاء ان اقف فى حديقة الجامعة لحظة فى يوم الجمعة فى الخامس والعشرين من ايلول فى الساعة الثالثة بعد الظهر واستعرض حياتى التى جرت فى هذه المدينة متذكرا فيها اساتذتى ومن كان له فضل على فى التقدم العلمى، وقد كان فى طليعة الذين ذكرتهم باول كاله، وقد تساءلت بينى وبين نفسى، هل لايزال على قيد الحياة؟ ولم تمض الا ساعات قلائل حتى لفى الى خبر وفاته وانتقاله من عالم الدنيا الفانية الى عالم الآخرة الخالدة. ذكرته اذن، ووقفت اجلالا لمقامه عندما كان يلفظ انفاسه الأخيرة ويودع الدنيا الوداع الأخير، تاركا فيها ذكريات عميقة لايقضى عليها كر الغداة ومر العشى.

كيف لااذكر هذا العملاق العلمى وقد عرفته عند ماكان اباً وموجهاً لرسالتى العلمية فى جامعة بون والتى حزت بها لقب الدكتوراه فى الفلسفة. نعم كان باول كاله موجها علمياً فذاً من الدرجة الأولى، فقد عرفته باحثاً بنفسه اولا فى العلاقة الموجودة بين الخزف الاسلامى والخزف الصينى، وفى قيامه بترجمة البحث عن الزجاج والمينا فى كتاب البيرونى الشهير عن «الجماهر فى معرفة الجواهر» والذى قمت فى دراسة مصادره وينابيع حكمه تحت قيادة استاذنا الراحل الكريم. وسواء أكان هذا الاستاذ باحثاً فى نفسه او موجهاً ومثيراً للبحث، فقدكان رائدة معرفة الحقيقة كما هى دون اهمال او غلو، واذا استعان بأحد، سواء ممن كانوا أعلى من مرتبته او اقل من ذلك، فكان لايغمضهم حقهم، ذاكراً كل شئ حدث معه سواء كان ذلك قليلا اوكثيراً. ولم تكن اثارته فى موضوع تاريخ العلوم فحسب، بل كان يشير الى اهمية مثل هذه المصادر حتى فى التتبع العلمى الحديث. لقد اهتم معهد المينرالوجيا فى الدراسة الكيميائية والبلورية لخزف سامرا، وهى من الدراسات الهامة التى فتحت آفاقاً جديدة فى هذه الصناعة اعنى فى صناعة الخزف.

بجانب ذلك كان يرعى كثيراً من الطلاب الاجانب وخاصة من الشرق الذين كانوا يأمون جامعة بون واذكر منهم محمد زكى الدين منجامعة عليكره فى الهند الذى قدم بحثا ممتازاً عن الاشعاع عام ١٩٣٥ الى فرع الفزياء من الجامعة، وقدكان فى حيازة هذا الاستاذ مخطوطة عن مطارح الشعاع ليعقوب بن اسحاق الكندى فيلسوف العرب الشهير، فجلب دقة نظرى الاستاذ كاله على هذه المخطوطة وصورها لى وهى لاتزال فى حوزتى آملة ان انشرها عند سنوح الفرصة.

ذا اردنا ان نتكلم عن النواحي العلمية لهذا الأستاذ الكبير، فلابدلنا من ان نتكلم عن النواحي الإنسانية، الى اشبه الصلات التى كانت بينه وبين طلابه كالصلات التى كانت بين العلماء الأ قدمين الاسلاميين وطلابهم فى حلقات دروسهم، كان رحمه الله يتفقد طلابه ويختبر امورهم الخاصة دون انّ يكون فضولياً، ويسعى فى حل مشاكلهم الخاصة، فكان لايحثهم على الدرس والمطالعة فحسب، بل على المتعة والراحة. ولاعطاء صورة بارزة عن وضعه الإنساني اريد ان اقص عنه هذا الحادث: كنت فى احدى ايام ايار من يوم الأحد اتابع دراستى من اجل اطروحتى، لأن المكتبات وغرف المطالعة فى معهد المستشرقين كانت مفتوحة من اجل الطلاب الذين كانوا يودون الدراسة ولاتقفل لافى ايام الآحاد ولافى الأعياد، وقد زارنى فى اليوم المذكور وشاهد الاعياء منى آخذ مأ خذه، فطلب منى ان ارافقه للنزهة فى الغابات لنتمتع بنسيم الربيع العليل ولنروح عن النفس ولنشاهد الزهور البديعة ونستنشق عبيرها العطرى. وفى اثناء جلستى لجانبه تحادثنا عن جمال الطبيعة وصفاء ادم السماء، وقد خطر على بالى ان فى مقدمة كتاب الاحجار للبيرونى نظرية اقتصادية تمت الى نظريات الإقتصادية الحديثة بصلة قوية، فلم يشأان يجاوبنى على حديثى وقال انظر الى قفزات الغزال فى الغابة. ورجعنا الى بيوتنا، وظننت ان ما حدثته عن هذه النظرية القديمة للبيرونى قد ذهب مع الريح، وفى الصباح التالى بينما كنت اشتغل فى معهد الاستشراق نادانى الى عنده واوصلنى بالمعهد الإقتصادى فى جامعة بون وقصصت على اساتذة المعهد المذكور النظرية الإقتصادية التى نوه بها البيرونى.

ان دراساته الاسلامية لاتحصى. وقد اماط اللثام عن كثير من الأمور الغامضة وفتح للبحوث التاريخية آفاقاً جديدة، سواء كان ذلك فى صناعة الخزف او الزجاج او فى كنوز الفا طميين او فى غير ذلك من الأمور العديدة. اما معارفه السامية وخاصة العبرية فقد شكلت فصلا خاصا ممتعاً لايمكننى معرفة مدى قيمتها ولكنى سمعت عنها الشئ الكثير من العدد الضخم من الطلاب الذين اشتغلوا بتوجيهه ومن التقدير الها ئل من رجال الإختصاص.

اننا اذ نأ سف على فراق هذا العالم الكبير والمحقق القدير والنقادة العظيم الذى غرس حب النقد فى نفوس الناشئة لرؤ ية الحقيقة الناصعة كما هى نفتح قلوبنا لنغرس فيها ذكراه الدائمة لأنه لم يخلف لنا آثاراً خالدة فحسب، بل خلف اجيالا من العلماء والبحاثين الذين سينقلون شخصيته الى الأجيال القادمة.

فلنقرأ فى ذكراه ما قاله المزمور التسعون:

يا ربّ ملجأ كنت لنا فى دور فدور *
من قبل ان تولد الجبال او ابدأتَ الارض والمسكونة منذ الأزل الى الأبد انت الله *
تُرجع الانسانَ الى الغبار وتقول ارجعوا يابنى آدم *
لأن الف سنة فى عينيك مثل يوم أمس بعد ما عبر وكهزيع من الليل *
جرفتهم؛ كسنة يكونون؛ بالغداة كعشب يزول *
بالغداة يزهر فيزول؛ عند المساء يجزّ فييبس *
لأننا قد فنينا بسخطك وبغضبك ارتعبنا *
قد جعلت آثامنا أمامك وخفياتنا فى ضوء وجهك *
لأن كل أيامنا قد انقضت برجزك؛ افنينا سنينا كقصة *
أيام سنينا هى سبعون سنة، وان كانت مع القوة فثمانون سنة وأفخرها تعب وبلية، لأنها تُقرّض سريعا فنطير *
من يعرف قوة غضبك؛ وكخوفك سخطك *
احصاء أيامنا هكذا علمنا فنؤتى قلب حكمة *
إرجع يارب؛ حتى متى؛ وتراف على عبيدك *
اشبعنا بالغداة من رحمتك فنبتهج ونفرح كل أيامنا *
فرّحنا كالأيام التى فيها اذللتنا، كالسنين التى رأينا فيها شرّا *
ليظهر فعلك لعبيدك وجلالك لبنيهم *
ولتكن نعمة الربّ إلهنا علينا وعمل أيدينا ثبت علينا وعمل أيدينا ثبّته *

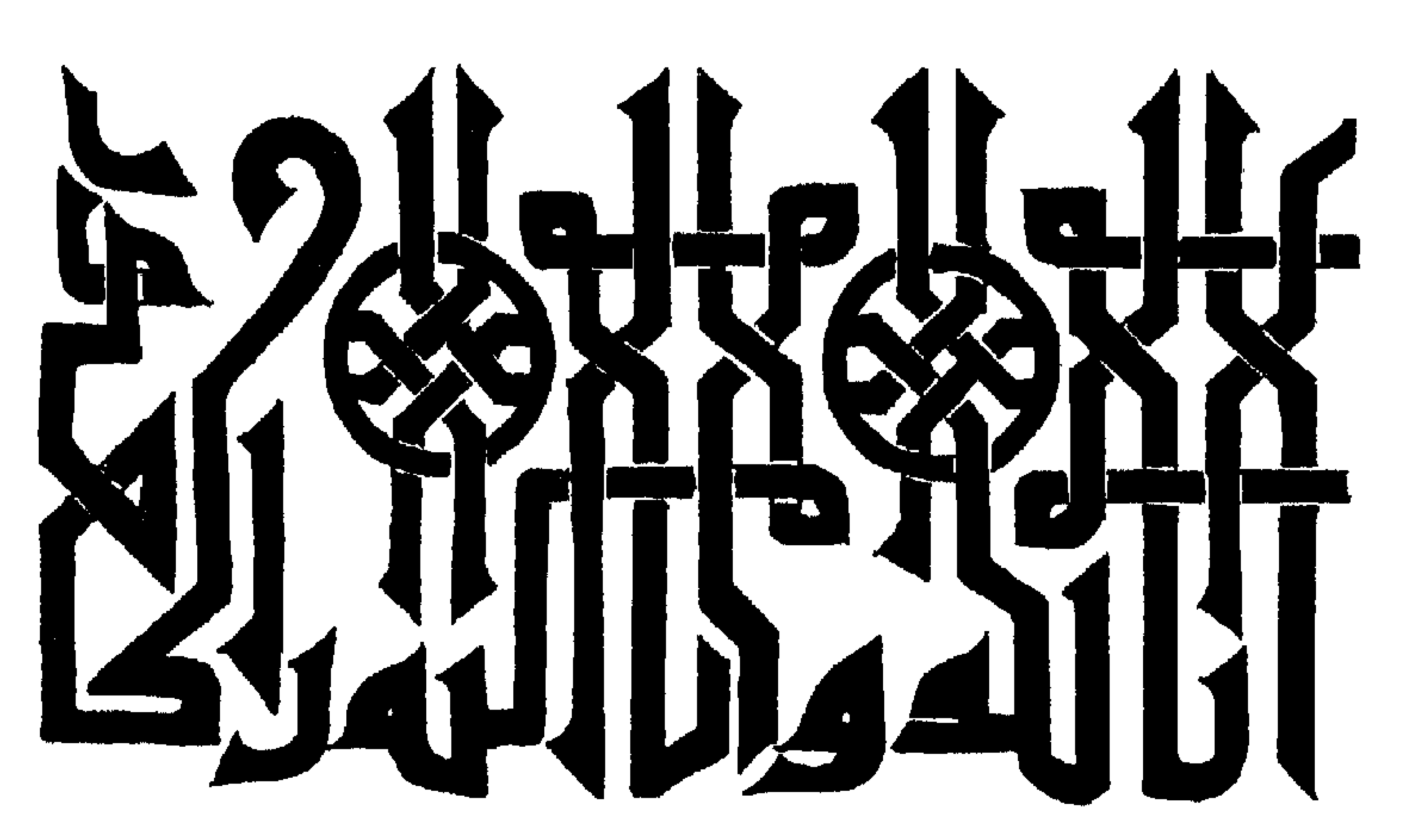
انه مما يثير الحزن العميق ان البروفسور الدكتور كورت اردمان Erdmann الذى كان خليفة «ارنست كونل» فى وصفه كمدير المتحف الاسلامى فى برلين الغربية قد توفى بعد وفاة استاذه الكبير بستة اسابيع فى ٢٤ ايلول ١٩٦٤. ومع انه كان مصابا بمرض عضال منذ بضع اشهر فقد كان انتقاله الى رحمة ربه فجأة غير منتظر واننا لنأسف على فراق هذا العالم اشد الاسف.
ولد «اردمان» سنة ١٩٠١ فى مدينة هامبورج، وبعد دراسته تأريخ الفنون قام بمنصب معاون فى ادارة المتحف الاسلامى فى برلين عام ١٩٢٧ وظل فى هذه الوظيفة حتى اواخر الحرب العالمية الثانية؛ ثم عين استاذا لتأريخ الفنون الشرقية فى مسقط رأسه، وكان ايضا لمدة قصيرة استاذا زائرا فى جامعة بون. وبعد ذلك دعته الحكومة التركية الى جامعة استانبول فقام بالتدريس هنالك بضع سنوات واستفاد منه الجم الغفير من الطلاب الاتراك؛ وسافر فى انحاء الاناضول باحثا عن التأريخ المعمارى السلجوقى وخاصة عن تأريخ تطور الخانات القديمة فى هذه المملكة. وكان بيته فى استانبول مشهورا بمجموعة فريدة من البسط التركية والسجادات القيمة فقد ذاع صيته كمتخصص كبير فى تأريخ البسط الشرقية، وكان قد الف كتابه الاول فى هذا الموضوع سنة ١٩٣٥ ولم يزل يتفحص عن تأريخ السجادات المعقودة و البسط حتى انه دون مقالة مهمة فى «تصاوير البسط الشرقية فى لوحات الرسامين الاوروبيين فى اثناء القرون الوسطى» لأن هذه التصاوير تدل على انواع البسط التى كانت موجودة فى اقطار الشرق فى قديم الزمان وعلى اختلاف اساليبها.

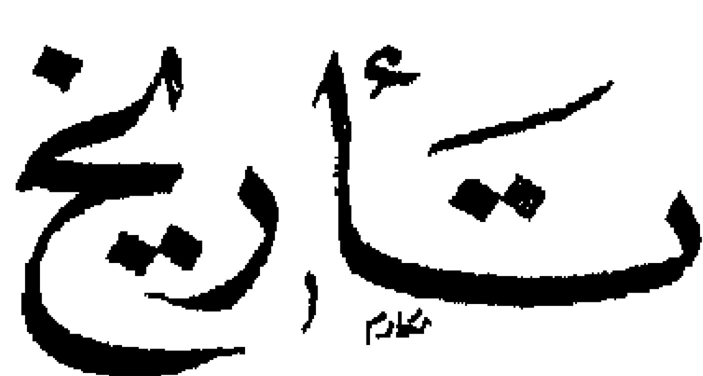
وفى سنة ١٩٥٨ رجع «اردمان» الى وطنه وصار مدير المتحف الاسلامى فى برلين وفى الوقت ذاته مدرسا فى جامعة هامبورج. ومع كثرة اشغاله الرسمية ما زال يؤلف كتبا ومقالات فى الفنون الشرقية وكانت له اليد الطولى فى التحضير للمعرض المشهور «٧٠٠٠ سنة من الفنون فى ايران» الذى قامت به الحكومتان الالمانية والايرانية عام ١٩٦٢. وكان لاردمان اختصاص فى الفنون الايرانية القديمة وله بحوث كثيرة فى هذا المضمار اشهرها كتابه «فنون ايران فى عهد الساسانيين» الذى نشره سنة ١٩٤٣؛ وكان — رحمه الله — يشتغل فى الأشهر الاخيرة باعداد مؤلف قيم عن الآثار الايرانية الموجودة فى متاحف المانيا، ولم يسمح له القضاء باتمام هذا الكتاب، ولا بتأليف الكتب الاخرى التى كنا ننتظرها من قلمه.

ستبقى ذكرى هذا العالم عالقة باذهاننا كما رأيناه فى برلين قبل ٢٥ سنة للمرة الاولى وكما شاهدناه فى المدينة نفسها فى اوائل هذا العام للمرة الآخرة: صديقا صادقا مفيدا لكل من يتقدم اليه فى طلب معلومات علمية، يحب الشرق وينظر باشتياق الى سياحة جديدة الى تركيا وايران ... ولكنه قد سافر الآن الى الشرق الاكبر ... نور الله مضجعه.

Dies sind unsre Werke, sie deuten auf uns —	تلك آثـارنـا تـدل علينـا
So schaut auf die Werke nach unserem Tod!	فـانظروا بعدنـا الى الآثـار

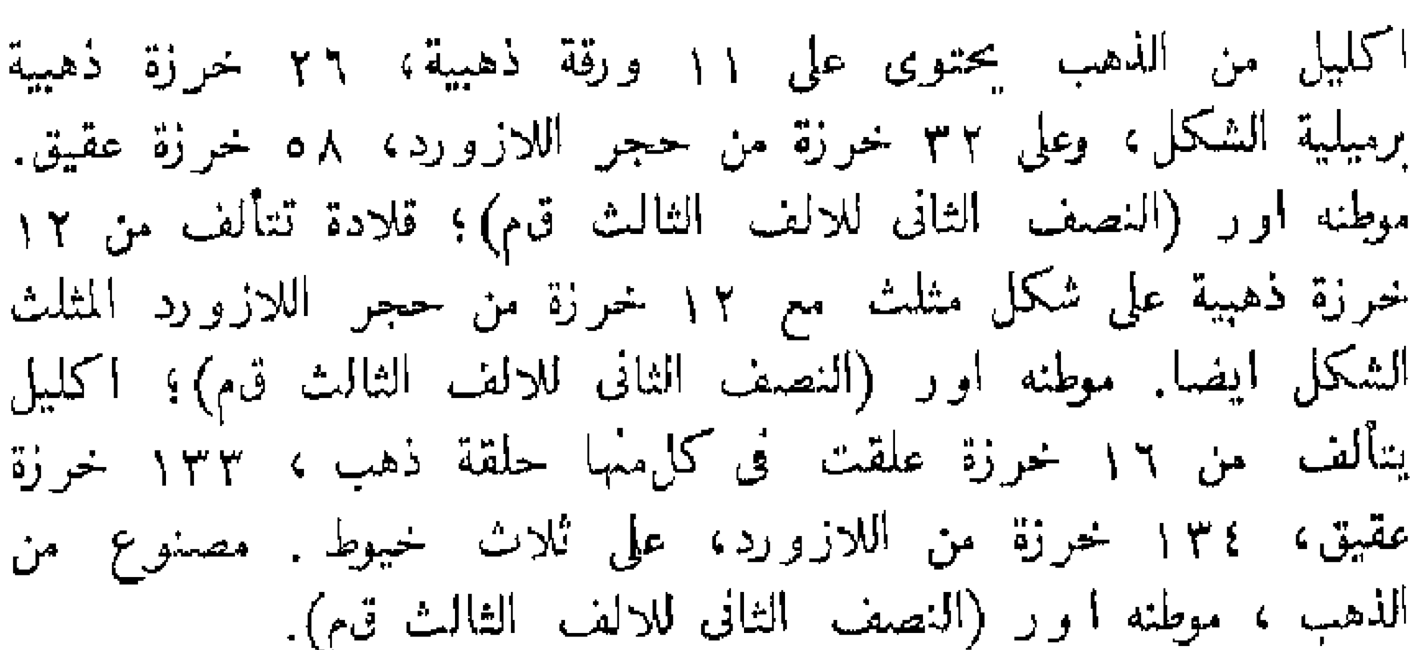
انا لله وانا اليه راجعون







معرض الفنون العراقية القديمة فى كولونيا



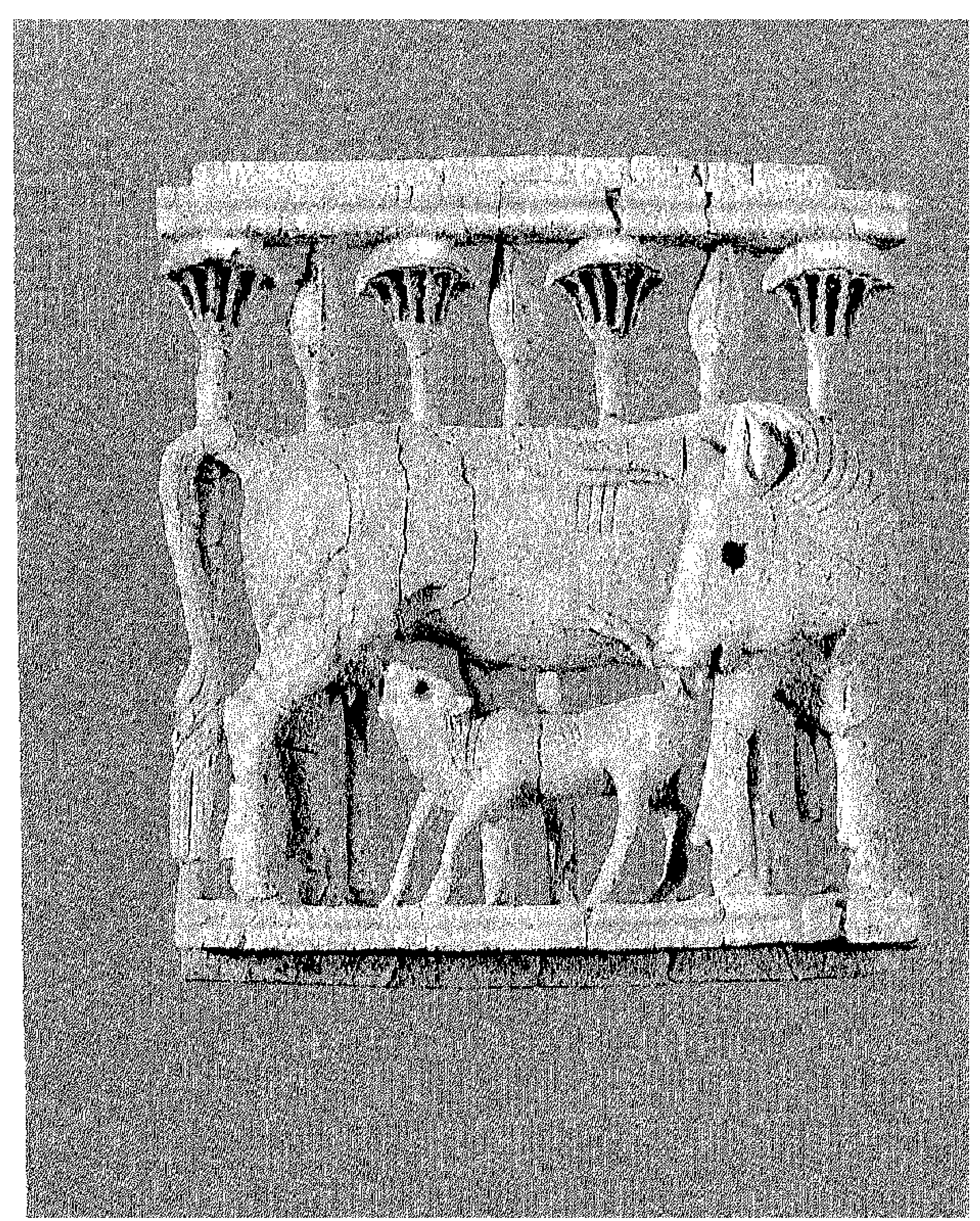
اكليل من الذهب يحتوى على ١١ ورقة ذهبية، ٢٦ خرزة ذهبية برميلية الشكل، وعلى ٣٢ خرزة من حجر اللازورد، ٥٨ خرزة عقيق. موطنه اور (النصف الثانى للالف الثالث قم)؛ قلادة تتألف من ١٢ خرزة ذهبية على شكل مثلث مع ١٢ خرزة من حجر اللازورد المثلث الشكل ايضا. موطنه اور (النصف الثانى للالف الثالث قم)؛ اكليل يتألف من ١٦ خرزة علقت فى كل منها حلقة ذهب ، ١٣٣ خرزة عقيق، ١٣٤ خرزة من اللازورد، على ثلاث خيوط. مصنوع من الذهب ، موطنه اور (النصف الثانى للالف الثالث قم).

قدم متحف راوتنشتراوخ يوست فى مدينة كولونيا معرضا من الكنوز الفنية الفخمة من عالم الشرق القديم، وقدم هذا المعرض تحفا رائعة مصطفاة من مناطق دجلة والفرات ، من بلاد العراق التى ازدهرت فيها اقدم حضارة انسانية فى العالم كله. وجميع هذه التحف تقريبا هى من المتحف العراقى ، غادرت ارض وطنها لأول مرة لكى تجد لها فى مدينة كولونيا موطنا جديدا لها ولو الى حين.

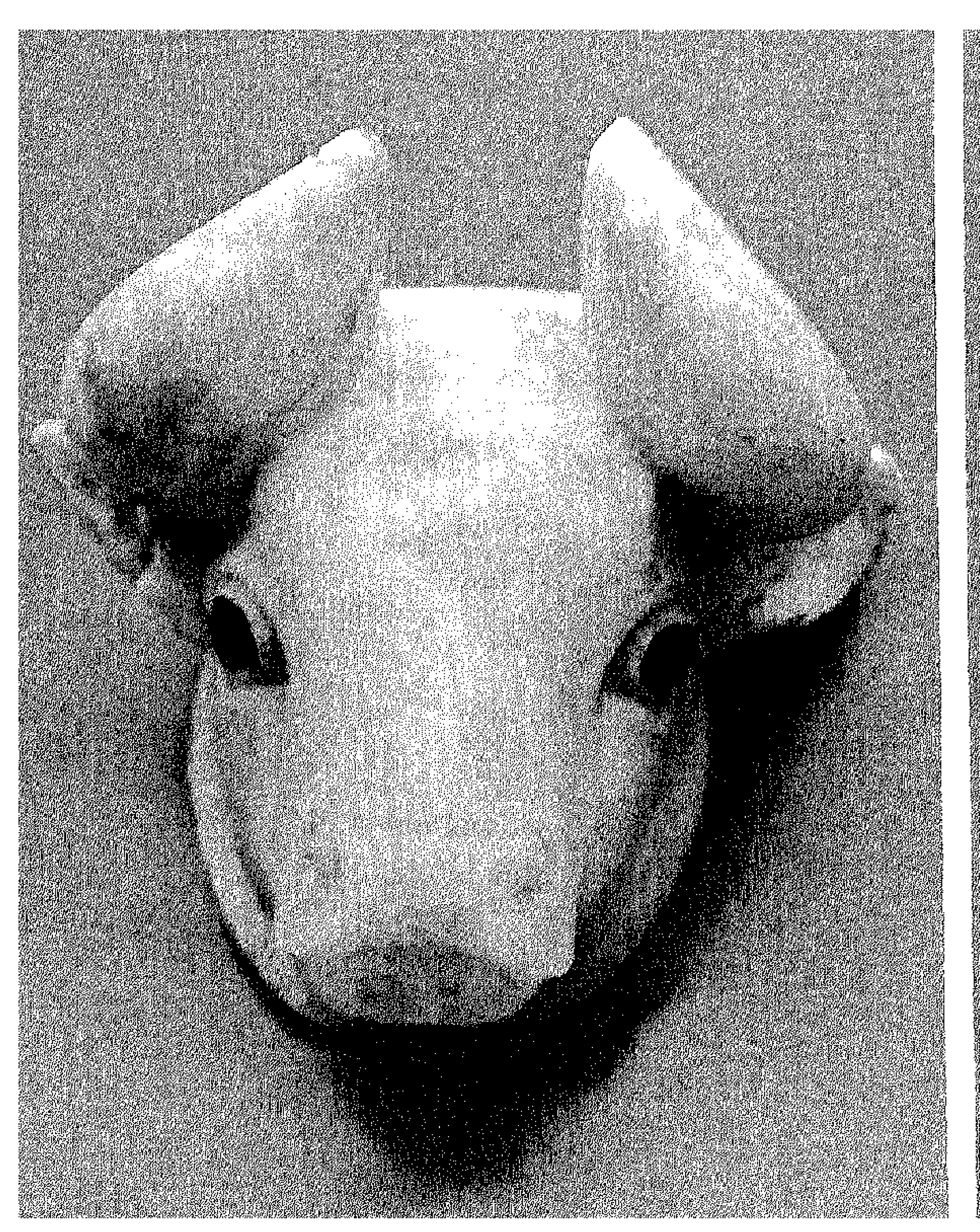
وقال فى ذلك جناب سفير الجمهورية العراقية لدى جمهورية المانيا الاتحادية مشيرا الى العلاقات الديبلوماسية بين الخليفة هارون الرشيد والامبراطور الالمانى شارلمان قبل ١١٠٠ سنة :

«فى عام ٧٩٧ استجابت بغداد لطلب مدينة آخن فيما يتعلق بامكانية تبادل العلاقات الدبلوماسية فعقدت اتفاقا بذلك و أرسلته الى آخن مرفقا بمجموعة من اثمن المواد المصنوعة فى بغداد فى ذلك الحين. وفى عام ١٩٦٣ استجابت بغداد ايضا لطلب مدينة كولون فى ارسال كمية من آثارها القديمة لتعرض فيها، ومرة اخرى جئ بأحسن ماتملك فى العراق الى المانيا مما جعل مدن عالمية اخرى تتقدم بطلبات مماثلة.

ان لهذا المعرض غايتين : اولا هما البرهنة بواسطة هذه الآثار المعروضة على ان الناس قبل عدة آلاف من السنين كانوا قادرين على تكييف حياتهم حسب متطلبات محيطهم وحسب الضرورات التى املاها عليهم تفكيرهم. وثانيتهما ان تبادل المعارف



لوحة تمثل بقرة وعجلها فى حقل زهور اللوتس من النوع المخرم، من العصر الاشورى الحديث ، شلمنصر الثالث ؛ مصنوع من العاج ؛ موطنه نمرود ٨٠٨–٨٢٤ قم.



رأس ثور، العيون مطعمة بالقير ، عن عصر فجر السلالات، النصف الاول للالف الثالث قم. المعثر مجهول.

والخبر المكتسبة من التجارب وهو الذى يوجد الاحترام والتقدير بين الشعوب وهو الذى يزيد من التفاهم ومن المشاركة فى الاحاسيس فيما بينهم.»

كانت المانيا وقد بدأت فى مشاركة العراق فى ابحاث الآثار واجراء الحفريات للتنقيب عن الحضارة العراقية القديمة منذ ٧٧ عاما. وظل هذا التعاون قائما ولم ينقطع سوى مرتين بسبب نشوب الحربين العالميتين الاولى والثانية. ويكفى بأن نذكر اسماء البروفسور كولدفى Koldewey الذى بدأ فى سنة ١٨٨٧ الحفر للبحث عن آثار بابل القديمة؛ واما البروفسور اندرى Andrae فقام بين عامى ١٩٠٤ و ١٩١٤ باعمال للبحث عن آثار اشور التى كانت تقع على نهر الدجلة جنوبى الموصل. وفى سنة ١٩٢٨ وجه العلماء الالمان اهتمامهم الى جنوب العراق للبحث عن آثار حضارة السومارين، وظلوا يعملون فى هذه المنطقة حتى عام ١٩٣٩، ثم عادوا الى مواصلة عملهم بها مرة اخرى منذ سنة ١٩٥٤ (راجع مقالة السيدة كاله فى النسخة الثالثة لهذه المجلة).

وتستحق كلتا الحكومتين العراقية والالمانية والسلطات المسئولة والعلماء والمثقفين الشكر العميق على جهودهم ونجاحهم فى اقامة هذا المعرض العظيم فى مدينة كولونيا.



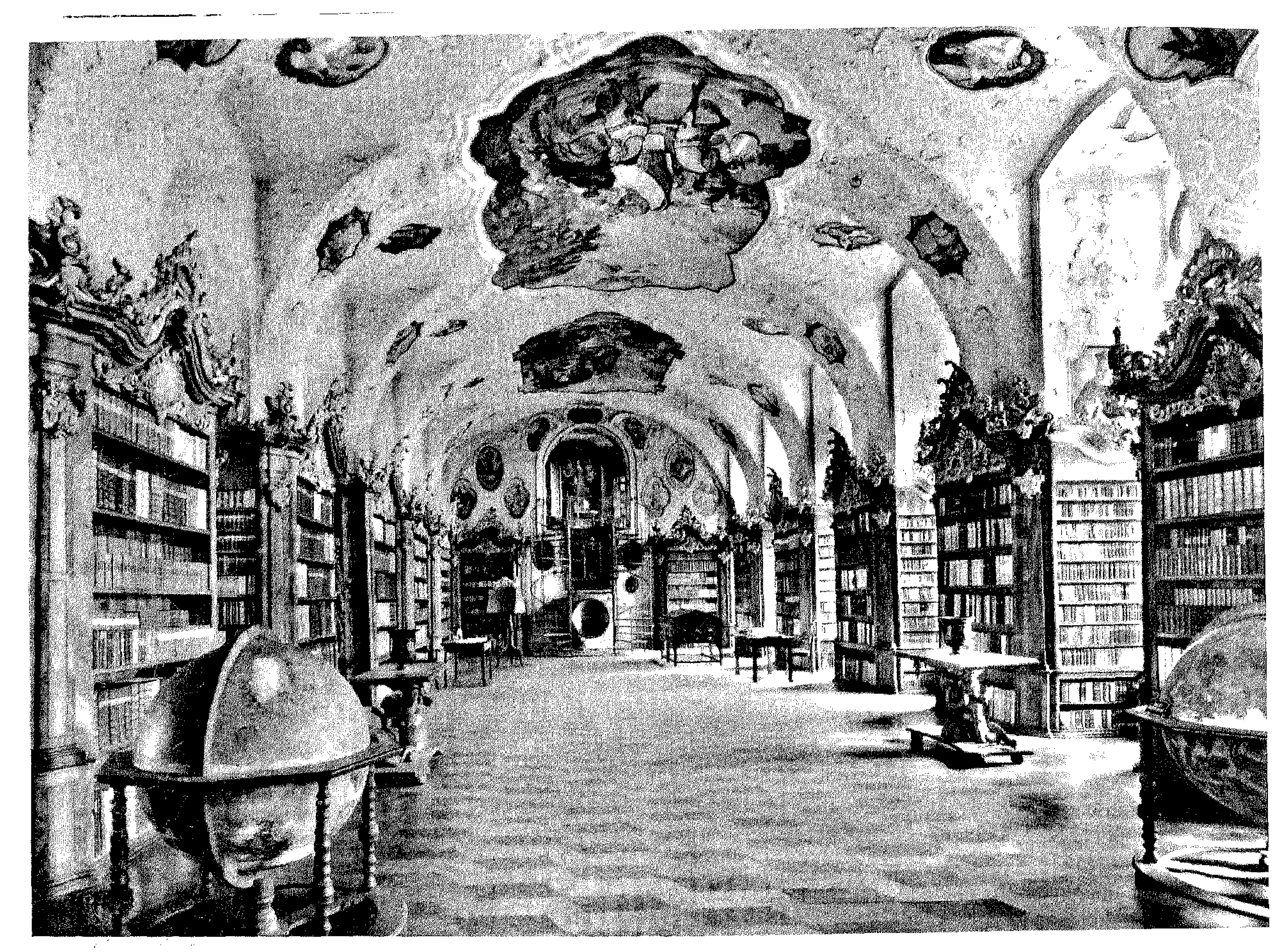
J. H. Schultze, Der Ostsudan. Entwicklungsland zwischen Wüste und Regenwald. Mit 16 Abbildungen und 17 Figuren. English contents. (Abh. des 1. Geographischen Instituts der Freien Universität Berlin). Dietrich Reimer Verlag in Berlin, 1963.

Die Grundzüge der Entwicklung eines festumrissenen Raumes — hier der „Republik vom Sudan" — nachzuzeichnen, hat exemplarische Bedeutung. Hier wird die Vielfalt der Entwicklungsprozesse in physischer, wirtschaftlicher, sozialer, politischer und kulturell-zivilisatorischer Art untersucht. Mit Recht erschien Prof. Dr. Schultze gerade der Sudan als „reizvolles Objekt". Denn hier hat sich seit der Eroberung durch die Ägypter 1820 und seit der Verwüstung durch die Mahdiya in den achtziger und neunziger Jahren die Entwicklung von Kulturlandschaft, Wirtschaft und Staat in der Erfüllung eines fast zum Vakuum gewordenen Gebietes vollzogen . . . „Beeindruckend ist die Fülle der Entwicklungsabläufe in diesem Gebiet mit einer Bevölkerung, die sich aus rund 450 verschiedenen ethnischen Gruppen, aus Mohammedanern, Heiden und Christen, aus heute 18 Millionen Menschen heterogenster Lebensstile zusammensetzt". (S. 15).
Das Erfreuliche an der imponierenden Untersuchung ist, daß sie mit viel kritischem Sinn und dennoch unkonventionell durchgeführt wurde (s. z.B. den 3. Abschnitt über die Vorstellungen vom Sudan und seinen Möglichkeiten, den 5. „Charakteristische Wirtschaftsgebiete", den 6. „Ausblick"). So kann das Buch mit seinem umfangreichen Literaturverzeichnis als grundlegend für den Ostsudan gelten.

Ludwig Ferdinand Clauss, Die Weltstunde des Islam. Neues forum, Schweinfurt, 1963.

F. L. Clauss ist seit Jahrzehnten den am arabischen Leben interessierten Kreisen bekannt; er gehört zu den wenigen, denen es gelungen ist, „als Beduine unter Beduinen" zu leben, und er schildert in dem vorliegenden Buch seine Eindrücke aus einer erneuten Begegnung mit seinen arabischen Freunden im Stamm der Howaitat wie auch in syrischen und jordanischen Städten. Aus den persönlichen Begegnungen werden dann die großen Probleme der modernen Araber verständlich gemacht: die Gefahr, daß die arabische Welt zugunsten einer westlichen Einheitskultur entarabisiert wird und sich der europäischen Zivilisation rühmt, statt ihre eigenständige Rolle zu betonen, die so wichtig für den Lauf der Weltgeschichte gewesen ist. Die besondere Liebe des Verfassers gilt der Wüste, aus deren Wesen heraus er den Sinn des Arabischseins und die großen einfachen Wahrheiten des Islams zu verstehen sucht — Wüste, die durch moderne Erschließungsmethoden ihren eigentlichen Charakter zu verlieren droht, so daß der Beduine heimatlos wird, statt seine Kraft für die Auseinandersetzung mit der neuen Lage aus der Wüstenheimat zu ziehen. Manches könnte einfacher gesagt werden, und sicher werden nicht alle Leser mit den „Wüstentheorien" einverstanden sein; aber das Buch ist die Frucht einer tiefen Liebe zu den Arabern und echter Sorge um das Geschick der arabischen Nationen. Deshalb ist seine Veröffentlichung warm zu begrüßen.

مآخذ: نقل مقالة ادوارد شبرانغر «هل نعاني ازمة حضارية» عن كتاب Wo stehen wir heute. Ein Symposion über die entscheidenden Fragen der Gegenwart، نشره هـ. والتربير H. Walter Bähr، دار نشر برتلسمان، C. Bertelsmann, Gütersloh ١٩٦٢، ونشكر دار النشر لتصريحها لنا بترجمة هذه المقالة.
تصاوير الحيوانات الخرافية:
ص ١٨ : قطعة من تصوير ايرانى من مجموعة بايسنغرميرزا (المتوفى سنة ١٤٣٣)، استانبول، طوب قابوسراى ٢١٩٥٢.
ص ٣٤ و ٣٥: صورة ذى القرن البرى وذى القرن البحرى. عن كتاب نشر فى فرانكفورت سنة ١٥٤٦.
ص ٤٠ : «كردن» من مخطوطة لكتاب «نعت الحيوان»، موطنه بغداد، النصف الاول للقرن الثالث عشر، وهى محفوظة فى المتحف البريتانى فى لندرا
ص ٤١ : اناء زجاجى مزين بالميناء، موطنه سوريا، القرن الرابع عشر، وهو محفوظ فى واشنطون، Freer Gallery of Arts.
الكتابة ص ٨٨: «... الرحمن الرحيم كل نفس ذايقة ا...» مأخوذة عن ضريح فى مدينة غزنى ،افغانستان؛ (القرن الثانى عشر).
الكتابة ص ٩٣: «انا لله وانا اليه راجعون» مأخوذة عن المدرسة الشفائية فى مدينة سيواس، تركية؛ (القرن الثالث عشر).



مكتبة الدير فى فوراو Vorau، منطقة ستيريا فى النمسا، القرن الثامن عشر.

ان دار الكتب للعالم جنة، وقال فيها الحريرى:
فلما أبت من غربتى – الى منبت شعبتى – حضرت دار كتبها التى هى منتدى المتأدبين – وملتقى القاطنين منهم والمتغربين ...

Doch nach Jahren, als ich nun wandersatt — heimkehrte zu meiner Vaterstadt — besuchte ich ihre Bibliothek, den Weisheitsschatz, — den Sammel- und Tummelplatz — gebildeter Männer, auserkorner, — fremder und eingeborner . . . .

وقال ياقوت فى معجم البلدان واصفا لمدينة مرو:
... فيها عشر خزائن للوقف لم أر فى الدنيا مثلها كثرة وجودة ...منهم العزيزية... وكان فيها عشر الف مجلدا اوما يقاربها ... والضميرية فى خانكاه هناك وكانت سهلة التناول لايفارق منزلى منها مائتا مجلد واكثر بغير رهن تكون قيمتها مائتى دينار فكنت ارتع فيها واقتبس من فوايدها وأنسانى حبها كل بلد وألهانى عن الاهل والولد ...

FIKRUN WA FANN

ÜBERSEE-VERLAG · HAMBURG 36



5